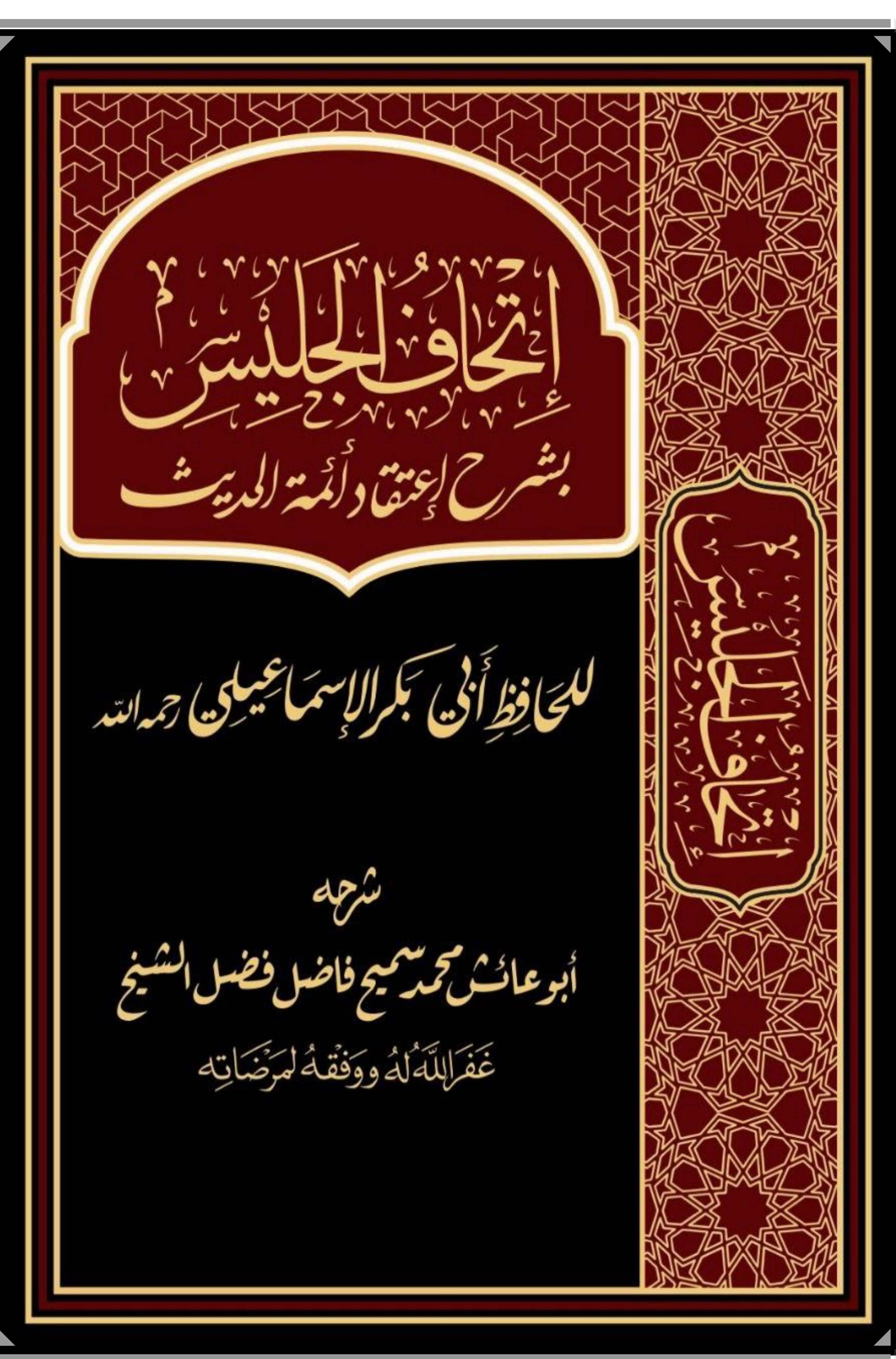

إتحاف الجليس
بشرح اعتقاد أئمة الحديث
إتحاف الجليس
للحافظ أبي بكر الإسماعيلي رحمه الله
شرحه
أبو عائش محمد سميح فاضل فضل الشيخ
غفر الله له ووفقه لمرضاته

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فاليوم إن شاء الله نبدأ في كتاب جديد من كتب الاعتقاد، وهو كتاب (**اعتقاد أئمة الحديث**) للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي -رحمه الله تعالى-.

وهذا الكتاب كغيره من كتب الاعتقاد من الأهمية بمكان، خاصةً أن هذا العَلَم الذي معنا معروف بمحبته للسنة، ودعوته إليها، فقد كان إمامًا في الحديث والسنة والفقه.

ودراسة العقيدة ما ينبغي للمرء أن يكتفي فيها على كتاب أو كتابين، ولا حتى على عشرة كتب، فبعض الناس إذا قرأ كتابًا في العقيدة أو كتابين أو سمع شرحًا أو شرحين ظن أنه بذلك قد حصَّن نفسه في جانب الاعتقاد، وأمَّن إيمانه ومعتقده، وأنه صار في حصن حصين من فتن الشهوات والشبهات، وهذا الأمر ليس بجيد، فالمرء لا بد أن يدرس هذا الباب مدة حياته، إلى أن يلقى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهذا هو الفقه الأكبر، وهو المقصود الأول من قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين**»، فأعظم الفقه في الدين الفقه في الإيمان بالله.

فعلى المسلم أن يحرص على هذه المجالس، على حضورها، والاستفادة منها، فإنه لا يدري متى تأتيه الكلمة التي تكون سببًا في دخوله الجنة، التي تقر في قلبه وتكون سببًا في ثباته إلى أن يلقى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فكتب الاعتقاد خاصة ينبغي أن يستكثر المرء منها، تحصيلًا، وشراءً، وسماعًا، وقراءةً، فهي تُقَدَّم على كل الكتب، خاصةً في أزمنة الفتن، ومن هذه الكتب كما قلنا هذا الكتاب: (**اعتقاد أئمة الحديث**).

ويكفي أن هذا الكتاب قد ضم بين دفتيه ما يزيد على ستين مسألة ما بين أصل من أصول الإيمان أو مسألة تتفرع على هذا الأصل، فهذا الكتاب الذي معنا والذي نشرع فيه الليلة إن شاء

الله قد شمل كثيرًا من مسائل الاعتقاد، والعقيدة الصحيحة لها ثمرات عديدة، يراها المرء في حياته وبعد مماته.

وقد كتب العلماء في هذه الثمرات، منهم من أفردها بالتصنيف، فأفرد ثمرة أصل واحد فقط بالتصنيف، كثمرة الإيمان بالملائكة، أو ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر، أو ثمرة الإيمان باليوم الآخر، وما يترتب على ذلك في حياة المسلم وفي أخراه، ومنهم من كتب في ثمرات العقيدة بوجه عام، ومن هؤلاء: العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- فقد ذكر بعض ثمرات دراسة العقيدة الإسلامية السليمة في كتابه (**تيسير اللطيف المنان**)، فمن هذه الثمرات:

- أن المرء بهذه العقيدة السليمة يُحقق خير الدنيا والآخرة، فيحيا حياة طيبة، وينجو من الشرور والمكائد، وما ينزل به من شدائد، فبالعقيدة السليمة يُحقق المرء خير الدنيا والآخرة، وينجو من الشرور والمكائد.
- والعقيدة السليمة سبب رضا الله تعالى عن العبد، لماذا؟ لأن العبد بهذه العقيدة حقق المراد منه، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ما يريد منك إلا أن تعبده كما أراد، على لسان نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأئمتنا في هذه الكتب قد سطّروا لنا كيفية الإيمان بالله الإيمان الصحيح.
- وكذلك من ثمرات العقيدة الصحيحة: نوال ثواب الآخرة، ودخول الجنة، والنجاة من النار، فالمرء إذا كانت عقيدته سليمة نال ثواب الآخرة، ودخل الجنة، ونجا من النار، وهذا أعظم مطلوب للعبد، أن يرزقه الله الجنة، وأن يُعيذه ويُجنبه النار، فهذه هي الثمرة الكبرى للامتحان في هذه الحياة الدنيا.
- وكذلك صاحب العقيدة السليمة الصحيحة يُدافع الله عنه، ويثبته، وينصره، ويكون معه في أشد أوقات احتياجه لربه.

ولذلك قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأبي بكر الصديق في الغار: «**ما بالك باثنين الله ثالثهما؟**»، وقال في الآية: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[التوبة: ٤٠]، وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لموسى وهارون: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[طه: ٤٦]، والله مع المحسنين، ومع الصابرين، ومع المستقيمين على هذه العقيدة السليمة، فالله يدافع عن الذين آمنوا، قال تعالى في سورة الحج: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[الحج: ٣٨].

ولذلك وجدنا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو خير من حقق المعتقد الصحيح في ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وجدناه دائمًا منصورًا مُدافعًا عنه من قبِل ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هو وسائر الأنبياء كذلك، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ينصر أنبياءه وأتباعهم دائمًا، يدفع عنهم كيد الإنس والجن.

ولذلك قال الله -عز وجل- عن عباده المؤمنين المخلِصين المخلَصين قال: ﴿إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلطانٌ عَلَى الَّذينَ آمَنوا وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ﴾[النحل: ٩٩]، فالشيطان لا سلطان له على صاحب المعتقد الصحيح، صاحب القلب السليم.

- وكذلك المعتقد الصحيح يدفع العبد عن الوقوع في الفاحشة، وإذا وقع في الفاحشة كان طريقه طريقًا وسطًا، لا إفراط ولا تفريط، فهذه نقطتان:

النقطة الأولى: أن المعتقد الصحيح يدفع العبد عن الوقوع في الفاحشة، لماذا؟ لأنه يؤمن بالله ربًا وإلهًا، وصاحب صفات وأسماء -سبحانه وتعالى- فلا يقع في الفاحشة، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، معنى ذلك: أن إيمانه يدفعه عن الوقوع في الزنا، «**ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**».

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه**»، فدل ذلك على أن الإيمان يحجز العبد عن الوقوع في المعصية، طيب.

إذا وقعت المعصية؛ فصاحب هذا المعتقد ذو طريق سليم في الخروج من هذه المعصية، فلا يركن إلى ما عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من المغفرة وما عنده من الرجاء في مغفرة ربه ، ومن ثَم يستمرئ المعصية، كما يفعل قليلو الإيمان من المرجئة وغيرهم، فإنهم لما خالفوا في المعتقد وظنوا أن كون الله غفورا رحيما، وأنهم طالما قالوا الكلمة، وصدقوا بقلوبهم، لن يعذبهم، لن يدخلهم النار، فاستمرأوا المعصية، وفعلوا كل فاحشة، فلا يركن صاحب المعتقد الصحيح إلى ذلك، لا إفراط ولا تفريط، لا ييأس من رحمة الله؛ لأنه يعلم أن الله غفور الذنوب -سبحانه وتعالى- ﴿قُل يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسرَفوا عَلى أَنفُسِهِم لا تَقنَطوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ﴾[الزمر: ٥٣]، فيسير صاحب العقيدة السليمة دائمًا هكذا بين جناحين، لا إفراط ولا تفريط، لا يقع في الفاحشة، وإن وقع يدفعه معتقده الصحيح لما ينبغي أن يفعله.

- كذلك العقيدة السليمة السلفية إذا انتشرت بين الناس، فإنها تكون سبيلًا لصلاح حال الأمة؛ لأن معاملات الخلق تنصلح بصلاح اعتقادهم.

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: "من هذه الثمرات: صلاح حال الأمة، فمعاملات الخلق لا تتم ولا تقوم على الصدق وعدم الغش إلا بإيمان صادق وعقيدة راسخة"، معاملات الخلق لا تتم على الصدق وعدم الغش إلا بإيمان صادق وعقيدة راسخة.

ولذلك وجدنا من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو جرير بن عبد الله، بايع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على النصح لكل مسلم، فما كان إلا دفعه إيمانه ومعتقده الصحيح يدفعه أنه با ع ذات يوم فرسًا، فلما باعه أو ابتاعه من رجل، سأل العبد أو الخادم: بكم اشتريته؟ قال: اشتريته بكذا، قال: هذا قليل، وظل يزيد في السعر إلى أن أوصله إلى ثمانمائة، فلما سأله البائع سبب ما يصنع، والأصل أن المرء يفرح بما يحصّله من سلعة مقابل مال قليل، فتعجب هذا الرجل البائع، يعطيه هذا المال ولا يفرح بهذه الصفقة قليلة الثمن، قال: "إني عاهدت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على النصح لكل مسلم" فكانت عقيدته السليمة تدفعه إلى ذلك، فكان في ذلك صلاح الأمة.

- كذلك من ثمرات هذه العقيدة: أنها سبب لوحدة الأمة، فدراسة العقيدة تُجمِّع ولا تُفرِّق، ولذلك لما كان السلف الصالح أصحاب عقيدة واحدة كانوا أمة واحدة، وما ظهرت فيهم الفرقة التي أخبر عنها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»** إلا بعد أن بدأ الخلل في العقيدة يدبّ في الأمة، فالعقيدة السليمة سبب في وحدة الأمة، لا تُفرقها كما يقول الجُهال، لأن العقيدة واحدة.
- كذلك تحمل العقيدة السلفية السليمة المرء على الشكر في السراء والصبر في الضراء؛ لأنه يؤمن بجانب مهم جدًا من جوانب العقيدة، وهو القضاء والقدر، إن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قدَّر وكتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فإن وجد السراء شكر، هذا مكتوب عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وإن وجد غير ذلك صبر؛ لأن ذلك أيضًا مكتوب عند الله، فكان موقفه في ذلك قائمًا على النظر الشرعي يسترجع إنا لله وإنا إليه راجعون، لا نقول إلا ما يُرضي الرب، العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يُرضي الرب، وهذا هو الجانب الشرعي.

وجانب قدري ينظر إلى أن ذلك تقدير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فيصبر أو يشكر ولا يقوم بذلك إلا صاحب العقيدة السليمة، هذه بعض ثمرات دراسة هذا المعتقد.

ولذلك قلنا: ما ينبغي لإنسان أن يُفرط في مثل هذه الدروس، دروس العقيدة خاصة، وما ينبغي لإنسان أن يكتفي كما قلنا بكتب يسيرة، ولكن عليه أن يستكثر من ذلك جدًا، وألا يمل، سماعًا، وقراءةً، وشراءً لكتب المعتقد، فهي أغلى ما يُحصِّله طالب العلم في مكتبته، أن يكون عنده هذه الكتب، ومن هذه الكتب هذا الكتاب: **(اعتقاد أئمة الحديث)**.

وهذه التسمية هي إحدى التسميات التي انتشرت لكتب المعتقد وكتب التوحيد، فالكتب التي صُنفت في هذا الباب، في باب أصول الدين، باب العقيدة، أسماؤها تدور بين تسمية شرعية وتسمية اصطلاحية.

ما الفرق بين التسمية الشرعية والتسمية الاصطلاحية؟

التسمية الشرعية: مأخوذة من من الشرع، من قول الله أو قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالله هو الذي سماها بذلك على لسان نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فتأتي التسمية نصا، أو مشتقة مما ورد في الشرع.

وأما التسمية الاصطلاحية: فليس اشتقاقها من ألفاظ الكتاب والسنة، ولكن هذا مما اصطلح عليه العلماء مما لا يخالف الكتاب والسنة، فأسماء الكتب التي صُنفت في الاعتقاد كما قلنا على **قسمين**:

- هناك أسماء شرعية، كتسمية بعض الكتب بالإيمان، يعنون بذلك الإيمان بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر، والكتب، الإيمان بالأركان الستة، فهذه تسمية شرعية؛ لأنها مأخوذة من الشرع، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَكفُر بِالإيمانِ فَقَد حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرينَ**﴾[المائدة: ٥]، وسمى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذلك في حديث جبريل إيمانًا، وكذلك قال تعالى: ﴿**وَكَذلِكَ أَوحَينا إِلَيكَ روحًا مِن أَمرِنا ما كُنتَ تَدري مَا الكِتابُ وَلَا الإيمانُ وَلكِن جَعَلناهُ نورًا نَهدي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهدي إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ**﴾[الشورى: ٥٢]، فمن التسميات الشرعية لهذه الكتب تسميتها بالإيمان.

وألف العلماء على هذا المنوال، فهناك الإيمان لابن منده، والإيمان لابن أبي شيبة، والإيمان لعبيد الله القاسم بن سلام، والإيمان لابن تيمية، فهذه تسمية شرعية.

ومنها تسمية هذه الكتب بالسنة، تسمية كتب العقيدة بالسنة، ولا يعنون بذلك السنة التي ترد في الاصطلاح، ما يُثاب فاعلها امتثالًا ولا يُعاقب تاركها، لا يعنون به ذلك، ولكن يعنون السنة التي تقابل البدعة، وهذه مأخوذة من حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»، وكذلك من قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

ومن الكتب التي أُلفت على هذا المنوال: كتاب أصول السنة للإمام أحمد، ويُعرف بالسنة، والسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة لأبي بكر الخلال تلميذ الإمام، وصريح السنة للإمام الطبري، الإمام الطبري له كتاب في العقيدة مطبوع اسمه صريح السنة.

ومن الأسماء الشرعية كذلك: تسمية هذه الكتب بالتوحيد، وهذه مأخوذة من قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث معاذ في إحدى الروايات: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله**».

ومن هذه الكتب: التوحيد لابن منده، والتوحيد لابن عبد الوهاب، والتوحيد لابن خزيمة، وكتاب التوحيد في صحيح البخاري، وهو آخر كتب الصحيح، فهذه الأسماء الثلاثة أسماء شرعية، إذًا تسمية كتب العقيدة بالإيمان والسنة والتوحيد هذه أسماء شرعية.

- **ومن التسميات الشرعية أيضاً** تسمية هذه الكتب بكتب العقيدة، فتسميتها بكتب العقيدة تسمية شرعية، مأخوذة من عقد القلب عليها، وقد جاء في الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم – قال: ((نضر الله امرأ سمع منا حديثا, فحفظه, فأداه إلى من هو أحفظ منه, فربَّ حامل فقه ليس بفقيه, ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه, **لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال, إلا دخل الجنة**، قال: قلت: ما هي؟ قال:" إخلاص العمل, والنصيحة لولاة الأمر, ولزوم الجماعة, فإن دعوتهم تحيط من ورائهم, ومن كانت الآخرة نيته جعل الله غناه

في قلبه, وجمع له شمله, وأتته الدنيا, وهي راغمة، ومن كانت الدنيا نيته, فرق الله عليه شمله, وجعل فرقه بين عينيه, ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"

ومن الكتب التي سُميت بذلك: (**العقيدة الطحاوية**)، للإمام الطحاوي، (**واعتقاد أئمة الحديث**) للإمام الإسماعيلي، و (**العقيدة الواسطية**) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و (**عقيدة السلف أصحاب الحديث**) للإمام الصابوني، وقد اعتمد بشكل كبير على كتاب الإمام أبي بكر الإسماعيلي، أخذ من عقيدته الكثير.

وأما التسمية الاصطلاحية: فمنها تسمية هذه الكتب بكتب أصول الدين، إلا أن هذه التسمية غلبت على كتب المتكلمين، فالذين سموا كتبهم بأصول الدين غالبا هم المتكلمون، وأرادوا بأصول الدين المبادئ العقلية التي وضعوها وردوا بها ما جاء في الكتاب والسنة، بنفي، أو تأويل، أو تحريف، أو غير ذلك.

وأيًا ما كان المسمى فإنه لم يخل زمان من مصنفات أهل السنة في هذا الجانب، أعني بالمصنفات: ما وضعه الأئمة بعد جيل الصحابة، وكان أول هذه المصنفات كتاب الصفات لحماد بن سلمة، فهو أول من وضع كتابًا في المعتقد، أول من أفرد المعتقد بكتاب، تُوفي –رحمه الله– سنة سبع وستين ومائة، أي: في القرن الثاني من الهجرة، مرورًا بالقرون اللاحقة إلى يومنا هذا، وما زال الأئمة يضعون كتبًا في المعتقد.

والشيخ عبد السلام بن برجس –رحمه الله– له كتاب نافع جدًا مطبوع اسمه: (**تاريخ تدوين العقيدة السلفية**)، ذكر فيه أربعة وثلاثين وثلاثمائة مصنفاً، رتبها ترتيبًا تاريخيًا حتى القرن الثامن فقط، وقال أنه سيُقسم الكتاب نصفين، ومات قبل أن يُحرر الكتاب، لكن نظر فيه أخوه وأخرجه، فذكر أربعة وثلاثين وثلاثمائة مصنفًا في العقيدة حتى القرن الثامن فقط، ولم يذكر ما بعد القرن الثامن إلى الآن، مع أنه كان قد نوى أن يُقسم الكتاب نصفين: إلى عام سبعمائة، هذا النصف الأول، ثم ما بعد عام سبعمائة إلى عام أربعمائة وألف من هجرة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

التعريف بالحافظ الإسماعيلي:

هذا الكتاب الذي معنا هو للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي -رحمه الله- وهذا الإمام هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، وُلد سنة سبع وسبعين ومائتين من هجرة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو من علماء القرن الثالث، وطلب العلم مبكرًا، ونشأ في أسرة فضل وعلم، رحل في طلب العلم وسماع حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأكثر من الرحلة جدًا، حتى قال عنه ابن كثير: الرحال الجوال، والرحلة في طلب العلم لا غنى لطالب العلم عنها، ينبغي لطالب العلم أن يستكثر من الشيوخ، وأن يسمع من أكثر من عالم، فهذا من الأهمية بمكان، ولا يقتصر على شيوخ بلدته، خاصةً إذا كان شيوخ بلدته صغار السن، فعليه بالأكابر، فهم الأصل، فالأكابر عندهم الحكمة، والرزانة، ألفاظهم قليلة وتحمل المعاني الغزيرة، والبركة مع الأكابر.

وقد قالوا: صاحب الشيخ الواحد كالرجل صاحب االزوجة الواحدة، إذا حاضت حاض معها، فعليه أن يستكثر من الشيوخ، وقد رأينا بأعيننا أن الذي يستكثر من الشيوخ لا تجد له تلك العصبية الممقوتة الموجودة عند بعض طلبة العلم، الذي يقتصر على شيخ واحد يكون كلام شيخه كالقرآن، يوالي ويعادي عليه، أما الذي يستكثر من الشيوخ السلفيين يطلب العلم عندهم تجد عنده مرونة وسعة صدر، ولا حرج في أن يُخطِّئ شيخه أو أن يُخطَّأ شيخه أمامه بحق مع حفظ الكرامة له، لا حرج عنده في ذلك، فعنده الأصل: كل يُؤخَذ منه ويُرَد إلا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأما صاحب الشيخ الواحد فلا يقبل ذلك في شيخه، يجعل شيخه كالمعصوم.

فكان إمامنا كثير الرحلة، يسعى في طلب العلم، حتى سماه ابن كثير أو قال عنه ابن كثير: الرحال الجوال، وحتى شهد العلماء له بالإمامة والعلم، يقولون عنه الإمام، والحافظ، حتى قال الحاكم -رحمه الله-: واحد عصره، وشيخ الفقهاء والمحدثين، وأجلّهم بلا خلاف، كان محدثًا بارعًا، وفقيهًا متفننًا -رحمه الله-.

كان -رحمه الله- إمامًا في الحديث، والعلل، والفقه، والجرح والتعديل، وغير ذلك، وهذه العقيدة التي بين أيدينا اشتُهرت عنه، فنقل عنها كثير من العلماء، منهم الصابوني، وكذلك ابن

تيمية، وابن قدامة، وغيرهم، وهذا يدل على أنها عقيدة سلفية مرضية، ينبغي لطالب العلم أن يحفظها وأن يتعلمها.

تُوفي –رحمه الله– سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة من هجرة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

سمى كتابه بـ (**اعتقاد أئمة الحديث**):

والاعتقاد مأخوذ من العقد، وهو: الشد والتوثيق، قال ابن فارس في مقاييس اللغة: العين والقاف والدال "عَقَدَ" أصل واحد يدل على شَد وشِدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، فأي اشتقاق من هذا الأصل يدل على هذا المعنى، ومنه: عقد اليمين، قال الله تعالى: ﴿**لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ في أَيمانِكُم وَلكِن يُؤاخِذُكُم بِما عَقَّدتُمُ الأَيمانَ**﴾[المائدة: ٨٩]، أي: بما عقَّدتم عليه الأيمان في قلوبكم، ومنه: عقد قلبه على كذا، فلا ينزع عنه، ومنه العقد الذي يكون بين المتبايعين، وعقد النكاح، وهو الميثاق الغليظ، ﴿**وَأَخَذنَ مِنكُم ميثاقًا غَليظًا**﴾[النساء: ٢١]، لأنه عقد فيه شَد وشِدة وثوق، ومما سبق يمكن لنا أن نقول:

إن العقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله وما يجب له في توحيده بأنواعه، وبملائكته، وكتبه، إلى آخر أركان الإيمان، والإيمان بكل ما جاء في النصوص من أصول الدين، وأمور الغيب، وما أجمع عليه السلف، مع التسليم والرضا بذلك.

قال: (**اعتقاد أئمة الحديث**) الأئمة مفردها: إمام، وهي مشتقة من الفعل، أمم، أو أمَّ، وتعني التقدم.

والإمامة: هي التقدم في أمر بالناس إلى معرفة حاجة، أو التقدم في أمر يحتاج الناس إليه، فمن تقدمهم في حاجة يحتاجون إليها سُمي إمامهم.

والإمام: هو القدوة الذي يُؤتَم به، وأئمة الحديث هم أهله، وهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة، وإن اختلفت مسمياتهم على مر العصور فأصولهم واحدة، فمن أهل السنة والجماعة في زماننا؟ السلفيون، أهل السنة والجماعة في زماننا السلفيون، هذه التسمية قد لا تكون مشتهرة في زمن من الأزمان، كان السلفيون يُسمون بالفرقة الناجية في زمن

من الأزمان، بأهل السنة والجماعة، بأهل الحديث والأثر، أو أهل الحديث، بالطائفة المنصورة، اختلفت أسماؤهم، وأسماؤهم مُستقاة من الكتاب والسنة، ولكن مشربهم واحد، وأصولهم واحدة، فالفرقة الناجية والطائفة المنصورة في هذا الزمان هم السلفيون.

لماذا أُضيف الاعتقاد لهم؟ قال: (**اعتقاد أئمة الحديث**)، ما قال: اعتقاد الناس، أو اعتقاد الفقهاء، قال: (**اعتقاد أئمة الحديث**)، ذلك لأمور:

أولًا: هذه الإضافة من إضافة المصدر لفاعله، المصدر هو الاعتقاد، اعتقد اعتقادًا، والذي اعتقد هذا الاعتقاد من؟ أئمة الحديث، فالإضافة ها هنا من إضافة المصدر لفاعله.

لماذا كانت هذه الإضافة وهذا التقييد؟ لِمَ لم يقل: كتاب الاعتقاد؟ أو أضاف الاعتقاد لغيرهم، فقال: اعتقاد الناس، أو اعتقاد الفقهاء؟ ذلك لأمور كثيرة، منها:

- أن اعتقاد أئمة الحديث -هذا أولًا- ثابت عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاعتقادهم اعتقاد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهم أعلم الناس به وبسنته، وهم أتبع الناس له، لماذا سُموا بأهل الحديث؟ كنت أظن أن تسميتهم بأهل الحديث نسبة إلى حديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقط، حتى قرأت كلامًا للإمام اللالكائي في أصول الاعتقاد نسبهم للقرآن كذلك، فقال -رحمه الله- في وجه تسميتهم بأهل الحديث قال: "لأن اسمهم مأخوذ من الكتاب والسنة"، لأن الكتاب حديث، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَديثِ كِتابًا﴾[الزمر: ٢٣]، فسماه حديثًا، فهم حملة القرآن، وأهله، وحفظته، فنُسبوا إليه، ومن حديث رسول الله -صلى الله وسلم- لأنهم نقلته، وحملته، المنافحون عنه، ما رأينا أحدًا يذب عن سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كأئمة الحديث، حُراس الدين، أهل الاتباع لا الابتداع، في كل صغيرة وكبيرة، حتى إن بعضهم لا يحك رأسه إلا بقدر الأثر الوارد في ذلك.

ولذلك نُردد كثيرًا الأثر المشهور عن سفيان: "إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل"، ما المقصود بالأثر؟ بأثر أي بشيء ثابت عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو عن أصحابه أو التابعين، هذا هو المقصود من هذا الأثر، فهذا أول سبب أن أُضيف الاعتقاد لهم.

- والسبب الثاني –كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–: أن المعتقد بهم ظهر لا صدر، احفظ هذه الجملة، جملة قيمة جدًا، تُبين لك الفرق بين أهل السنة والجماعة والخلفي، أن المعتقد بهم ظهر لا صدر، فهم الذين أظهروا هذا المعتقد، ما صدر المعتقد من أنفسهم، ولذلك أنت لو نظرت في حال أهل البدع؛ **الماتريدية**، نسبة إلى أبي منصور الماتريدي الحنفي، فصدرت العقيدة عنه، **الأشعرية**، نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، أما اعتقاد أئمة الحديث فما صدر عنهم، وإنما ظهر بهم، فالعقيدة بهم ظهرت، وعقيدة غيرهم عنهم صدرت.
- والسبب الثالث في سبب نسبة الاعتقاد لهم: لأنهم جمعوا شرائط الإمامة، والقدوة، فهم العدول الذين حملوا هذا الدين، وهم أهل الحق في كل زمان، وكلامهم إجماع.

ولذلك قول المصنف: "ونرى أهل السنة والجماعة" هذا نقل للإجماع، وإن لم يقل: وأجمعوا، كلامهم إجماع.

- وكذلك من أسباب هذه النسبة: ليعرف المرء أين يضع قدمه خاصةً في أوقات الفتن، في أوقات الفتن تحتاج إلى العقيدة، إلى المنهج، عقيدة من ومنهج من؟ فقال لك: اعتقاد أئمة الحديث، فإذا أردت الفلاح فابحث عن هذا الاعتقاد.

لكل هذه الأمور سماها المصنف –رحمه الله–: **(اعتقاد أئمة الحديث)**، ونبدأ أن شاء الله هذه الرسالة في الدرس القادم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

هذه رسالة مطبوعة طبعتين، الرسالة "المتن" مطبوع طبعتين، وإن شاء الله هي متوفرة لمن أراد ألا يقتصر على هذا المصور ، والطبعتان جيدتان: طبعة الشيخ الدكتور مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخُميس، وهو من علماء العقيدة ومشايخها في المملكة، ولا أذكر مُحقق الطبعة الثانية.

وأما عن الشروح فقد تجد لها شروحًا كثيرة، شروحًا صوتية، أما المكتوب فلا أعلم إلا شرحًا قيمًا طيبًا نفيسًا كبيرًا للشيخ حمد آل عثمان الكويتي، وهذا مطبوع، طبعته مكتبة دار العاصمة، لا أدري هو موجود أم لا، إنما هذا أفضل شرح لهذا الكتاب، يعني شرحه في مجلد كبير، طبعة دار العاصمة، لا أعلم غير هذا الشرح يعني من الشروح المكتوبة لمن أراد أن يقتنيه، وقد أفدت منه كثيرا.

الدرس الثاني

هو المجلس الثاني من قراءة هذه الرسالة الطيبة "اعتقاد أئمة الحديث" للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي –رحمه الله–.

كنا في الدرس الماضي قد تناولنا الكلام عن سيرة هذا الحافظ الإمام، وعن عنوان هذه الرسالة باعتبار مُفرداته وباعتبار الإضافة، وعن أهمية أن يكون المرء صاحب عقيدة سلفية سليمة، واليوم إن شاء الله نشرع في هذه الرسالة المباركة.

قال المصنف –رحمه الله–: (**بسم الله الرحمن الرحيم، اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى وما صحت به الرواية عن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– لا معدل عما ورد به، ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونًا لهم الهدى فيهما، مشهودًا لهم بأن نبيهم –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يهدي إلى صراط مستقيم، مُحذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم**).

هذا الجزء من الرسالة هو ما يدور عليه كلامنا اليوم، قال المصنف: (**اعلموا رحمنا الله وإياكم**)، فبدأ بقوله: "اعلموا"، وفيه أن هذه الأمور لا يكفي فيها الظن، بل لا بد من علم لا يتطرق إليه الشك، لأن تعريف العلم: هو إدراك الشيء إدراكًا جازمًا على ما هو عليه في الواقع، فمقتضى قوله: "اعلموا" أن تكون في هذه الأمور المذكورة على يقين جازم وعلم تام لا يتطرق إليه شك.

ولذلك قال الله تعالى في كتابه: ﴿**فَاعلَم أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[مُحَمَّد: ١٩]، فذكر العلم.

قال: (**اعلموا رحمنا الله وإياكم**)، وهذا دعاء بالرحمة، ففيه شفقة المعلم بطلابه، وهي سنة أهل العلم في مصنفاتهم، يبدأون بالدعاء لأنفسهم أولًا ثم لمن صنَّفوا لهم هذه الكتب، يقولون: اعلموا رحمنا الله وإياكم، اعلم رحمك الله، اعلم رحمني الله وإياك، والعلم رحِم بين أهله، وأعظم الرحمة أن تبين الطريق المستقيم المؤدي إلى الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–.

قال: (**اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل السنة**)، قوله: "مذهب" مصدر ميمي، مأخوذ من الفعل ذهب، يقال: ذهب ذهابا وذهوبًا ومذهبًا، بمعنى مر، ومضى، وقصد، وتوجه، وله معان أخر.

ومذهب الرجل: طريقته وقصده ومسلكه، فقوله: مذهب أهل السنة والجماعة أي: الطريقة والمسلك الذي يسلكه أهل السنة والجماعة، وهذا اللقب "أهل السنة والجماعة" و "أهل السنة" خاصة له إطلاقان:

- إطلاق عام.

- وإطلاق خاص.

فيقال: أهل السنة في مقابلة الروافض، فيدخل فيه كل من حفظ مكانة أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلم يغلُ ولم يجفُ، وله إطلاق خاص، وهو المقصود غالبًا في كتب الاعتقاد، وهذا لا يكون إلا في مقابلة المبتدعة والمتكلمين وأهل الأهواء، فلا يدخل فيه إلا أهل السنة الخُلَّص، فيخرج بذلك الأشاعرة، والمعتزلة، والجهمية.

والمراد بأهل السنة أي: أصحاب الطريقة المسلوكة في الدين، وما كان عليه النبي الأمين -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحابته الغُر الميامين، فهذه هي السنة، الطريقة المسلوكة التي كان عليها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه من بعده، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وسُموا بأهل السنة: لأنهم أقرب الناس إليها، وأشد الناس نشرًا لها، وذبًا عنها، ونصرًا لها.

قال: (**أهل السنة والجماعة**)، والجماعة: الاجتماع، الذي هو ضد الفُرقة، فالسنة قرينة الاجتماع دائمًا، لأن أهل السنة لما اجتمعوا على الحق وأخذوا به صاروا لا فرقة بينهم، بخلاف غيرهم، ولذلك تجدهم جميعًا على قلب رجل واحد، وإن اختلفت أمصارهم، لأن مشربهم واحد.

قال: (**اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل السنة**)، والمراد بالمذهب ها هنا: المذهب العقدي لا الفقهي، فهناك مذهب عقدي ومذهب فقهي، المذهب الفقهي: هو الذي يتناول الأحكام الشرعية الفقهية، كالمذاهب الأربعة: مذهب الحنفية والمالكية، والشافعية، والحنبلية، هذه

مذاهب فقهية، وليست مقصودة ها هنا، وإنما المقصود ها هنا: المذهب العقدي، الذي تكون المخالفة فيه بدعة، وخلاف السنة.

وقوله: **(مذهب أهل السنة والجماعة)** ترى الأئمة يقولون: قول أهل السنة والجماعة، أو رأي أهل السنة والجماعة، أو يرى أهل السنة والجماعة، هذا كله كما قلنا فيه حكاية للإجماع، فليس شرطًا أن ينص على الإجماع بلفظه، يعني ليس شرطًا أن يقول: وأجمع أهل السنة والجماعة كذا، فيكفي أن يقول: ويرى أهل السنة والجماعة، لأن بعض المبتدعة لما ناقشناه في مسألة الخروج وقلنا إن المسألة عليها إجماعات كثيرة مذكورة في كتب الاعتقاد كأنه استهزأ بقولنا إن قول أئمتنا في كتب الاعتقاد: "ويرى أهل السنة والجماعة" حكاية للإجماع استهزأ بهذا القول، مع أن المعروف عند العلماء أن ذلك نقل للإجماع، وإن لم يُنص على هذه اللفظة.

ما مذهب أهل السنة والجماعة؟ قال: **(الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله)** وهذا الترتيب مقصود، الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وهو الذي جاء في كتاب الله كما في آخر سورة البقرة، وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث جبريل، لأن الرسالة من الله تعالى، ينزل بها المَلَك على النبي الموحَى إليه.

فمذهب أهل السنة والجماعة: الإقرار بالله ربًا، وإلهًا، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهذا مبني على أنواع التوحيد الثلاثة المعروفة بالاستقراء من الكتاب والسنة، وتقسيمها ليس بدعة من القول، ولا هو قول بالتثليث كما يقول المبتدعة، لأن هذا التقسيم مأخوذ من استقراء الكتاب والسنة، نظرنا في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فوجدنا أن توحيد الله يقوم على أنواع ثلاثة:

- **توحيد الربوبية**: أي: توحيد الله بأفعاله هو -سبحانه وتعالى- فكل ما يقوم به من الأفعال نُصدق به ونثبته، من الخلق، والرّزق، والتدبير، والملك، والإحياء، والإماتة، والنفع، والضر، وغير ذلك، هذا يسمى بتوحيد الربوبية.

- **وتوحيد الألوهية**، وهو توحيد الله بعبادتنا نحن، فلا نقصد بها إلا هو سبحانه.

- **وتوحيد الأسماء والصفات** -كما تعلمون-: أن نُثبت لله ما أثبته، وأن ننفي عنه ما نفاه عن نفسه -سبحانه وتعالى- من غير تمثيل، ولا تكييف ، ولا تعطيل، ولا تحريف، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[الشورى: ١١].

قلنا: إن هذا التقسيم مأخوذ من استقراء الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَما بَينَهُما﴾، هذا توحيد الربوبية، ﴿فَاعبُدهُ وَاصطَبِر لِعِبادَتِهِ﴾، هذا توحيد الألوهية، ﴿هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥]، هذا توحيد الأسماء والصفات، آية واحدة في سورة مريم ضمت أنواع التوحيد الثلاثة، والقرآن مليء بالكلام عن أسماء الله وصفاته، بل قلما تخلو آية من ذكر لاسم من أسماء الله أو صفة من صفاته.

فأهل السنة والجماعة يُقرون بالله ربًا، ويُقرون بألوهيته وأسمائه وصفاته، وهذا الإجمال يُفصله المصنف بعد ذلك.

وكذلك يؤمنون بالملائكة، والمَلَك مأخوذ من الألوكة، وهي الرسالة، والإيمان بالملائكة يقتضي أمورا، **من هذه الأمور**:

- التصديق بوجودهم، فنحن نُصدق بوجود الملائكة، هناك ملائكة موجودون معنا، رآهم الأنبياء، ورآهم نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل ورآهم بعض أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان جبريل يتمثل في صورة دحية بن خليفة الكلبي -رضي الله عنه- وجاء كذلك في صورة الأعرابي في حديث جبريل المشهور، ورآه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد سد الأفق، رآه مرتين -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على صورته، وأخبرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بوجودهم، وببعض أسمائهم، وكذلك نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فأول واجب تجاه الملائكة: أن نؤمن بوجودهم، أن نُصدِّق بوجودهم، وهذا تصديق الخبر.

- : أن نؤمن أنهم عالم غيبي مخلوقون من نور، لأننا لا نرى الملائكة، فهم عالم غيبي، وخلقهم من نور، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وخُلقت الملائكة من نور»، وهذا يُخرج إبليس من الملائكة، فلم يكن من الملائكة على الراجح، بل كان من الجن،

﴿إِلَّا إِبليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَن أَمرِ رَبِّهِ﴾[الكهف: ٥٠]، هم مخلوقون من نور أما الجن فمخلوقون من نار.

- أن نؤمن بأنهم وُصفوا بأكمل أوصاف العبودية، من الخشية، كما قال: ﴿وَهُم مِن خَشيَتِهِ مُشفِقونَ﴾[الأنبياء: ٢٨]، ومن الاجتهاد في التسبيح والعبادة، ﴿يُسَبِّحونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لا يَفتُرونَ﴾[الأنبياء: ٢٠]، ومن عدم المعصية، فهم مجبولون على الطاعة، كما قال تعالى: ﴿لا يَعصونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُم﴾[التحريم: ٦]، ومع كل ذلك ليس لهم من خصائص الألوهية شيء، أي: لا يُصرَف لهم شيء من العبادة، ويتبرأون من عابديهم يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَومَ يَحشُرُهُم جَميعًا ثُمَّ يَقولُ لِلمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيّاكُم كانوا يَعبُدونَ * قالوا سُبحانَكَ أَنتَ وَلِيُّنا مِن دونِهِم بَل كانوا يَعبُدونَ الجِنَّ أَكثَرُهُم بِهِم مُؤمِنونَ﴾[سبأ: ٤٠-٤١]، فعلى هذه الأوصاف العظيمة وما سيأتي من عِظم خلقهم ليس لهم من الربوبية ولا الألوهية شيء.

- والملائكة هم الواسطة بين الله ورسله، في تبليغ الوحي والشرائع، فجبريل ينزل بالوحي إلى أنبياء الله ورسله، حتى إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رجا من جبريل أن يزوره كثيرًا، لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يحب الوحي، وتلقي الوحي عن ربه، فأنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَما نَتَنَزَّلُ إِلّا بِأَمرِ رَبِّكَ﴾[مريم: ٦٤]، أي: أن الأمر كله لله -سبحانه وتعالى- وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمينُ﴾[الشعراء: ١٩٣]، فهم واسطة شرعية بين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وبين رسله، والوسائط وإن كان ليس هذا مما يدخل في هذا الباب ولكن الشيء بالشيء يُذكَر.

الوسائط على أنواع ثلاث:

- هناك واسطة شرعية.
- وواسطة شركية.
- وواسطة بدعية.

الواسطة الشرعية: كواسطة الملائكة بين الله ورسله، وكواسطة الأنبياء بين الله وخلقه، في تبليغ الرسالة، هذه واسطة شرعية.

والواسطة الشركية: كواسطة الآلهة الباطلة بين الله وخلقه، ﴿مَا نَعبُدُهُم إلّا لِيُقَرِّبونا إلَى اللهِ زُلفَى﴾[الزمر: ٣]، كانوا يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله، هذه واسطة شركية.

والواسطة البدعية: أن يتوسل المرء بجاه أحد من الخلق، فيقول: اللهم إني أسألك بجاه فلان، فهذا ليس شركًا وإنما هو بدعة.

فهم الوسائط من الجهة الشرعية ومن الجهة الكونية القدرية، أما الجهة الشرعية ففي تبليغ الوحي والشرائع، وأما الجهة الكونية القدرية ففي تدبير هذا الملك وإنفاد مراد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

ولذلك لما أراد الله أن يقلب قرى قوم لوط عليه السلام أرسل جبريل -عليه السلام- فنفذ أمر الله الكوني القدري، وهناك مدبرات في هذا الكون، قال تعالى: ﴿فَالمُدَبِّرات أَمرًا﴾[النازعات: ٥]، والمدبرات أي: الملائكة، فالملائكة لها وظائف شتى، منهم من هو مُوكل بقبض الأرواح، ملك الموت، ولا يسمى بعزرائيل، ولا عبد الرحمن، وإنما اسمه ملك الموت، كما سماه الله وسماه نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهناك خازن الجنة، وليس اسمه رضوان كما هو مشهور عند الناس، فلا تثبت هذه التسمية لا في كتاب الله ولا في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهناك خازن للنار وهو مالك، سماه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهناك ملائكة مُوكلة بأرزاق العباد، وبكتب العمل والعمر، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود، وملائكة مُوكلة بالقطر، وهو ميكائيل، وبالنفخ في السور، وهو إسرافيل، وغير هؤلاء من الملائكة.

والملائكة خلقهم عظيم، فجاء وصف جبريل على لسان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**له ستمائة جناح، كل جناح سد الأفق**»، وهذا وصف لا يستطيع المرء أن يتصوره، لا يستطيع المرء أن يعرف كيفيته.

ولذلك لما كان بعض أبناء الخلفاء أو الأمراء يتفكر في صفات الله وفي كيفيتها كلّمه عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله في هذا الأمر، قال: دعنا من الخالق وتعال لنتكلم في المخلوق، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر لنا أن جبريل له ستمائة جناح، لو أنني جئت لك بطائر، والطائر له جناحان، وجئت لك بجناح ثالث، وقلت لك: ضع هذا الجناح، أين تضعه؟ فاحتار الرجل، أيضعه على رأسه، أم فوق ظهره، أم في بطنه، أم عند ذيله، تحير، قال: تحيرت في جناح واحد،

فكيف بستمائة جناح؟! هل تستطيع أن تعرف كيفيتها؟ فقال الرجل: لا، قال: هذا في المخلوق، فكيف تستطيع أن تعرف كُنه صفات الخالق؟! فتاب الرجل وكف عن ذلك.

فوصف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منهم جبريل، ووصف منهم ملكًا رأسه مُنثنية تحت العرش، ورجلاه قد مرقت في الأرض السفلى، على هيئة ديك، يقول: سبحانك ما أعظمك! فيقول الله تعالى: ما عرف ذلك من حلف بي كذبًا.

وصفهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في كتابه أن لهم أجنحة، ﴿**فاطِرِ السَّماواتِ وَالأَرضِ جاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلًا أُولي أَجنِحَةٍ مَثنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزيدُ فِي الخَلقِ ما يَشاءُ**﴾[فاطر: ١]، فلهم أجنحة.

ولم يصفهم -سبحانه وتعالى- لا بذكورة ولا بأنوثة، فنتوقف عن ذلك، وإن كان بعض الناس قد يقول:لما أنكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على المشركين أن جعلوا الملائكة بنات الله وقال: ﴿**وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذينَ هُم عِبادُ الرَّحمنِ إِناثًا أَشَهِدوا خَلقَهُم**﴾[الزخرف: ١٩]، لما أنكر الله على المشركين وصْفهم الملائكة بالأنوثة دل ذلك على أنهم ذكور، وهذا القول مرجوح، لماذا هو مرجوح؟ لأن هذا عالم غيبي، ولا يُقاس على المخلوق، ولا يُقاس الغائب على الشاهد، في أمور الغيب لا يُقاس الغائب على الشاهد، يعني نقول في جنس البشر: إناث وذكور، فكذلك لما أنكر الله على المشركين أن ذكروا أن الملائكة إناث، فبالتالي نقول أنهم ذكور؟! نقول: هذا لا يصح؛ لأن الأصل في وصف ما هو غيب التوقيف، ولم يأتِ ذلك في كتاب الله ولا في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فيجب علينا أن نقتصر على ما جاء في الكتاب والسنة من الإجمال والتفصيل، نؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا.

قال: (**الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله**)، والإيمان بالكتب يعني التصديق الجازم بأن هذه الكتب كلها مُنزلة من عند الله على رسله، وأنها ما احتوت إلا على الحق المبين والهدى المستقيم، لا زيغ فيها ولا ضلال، وأما ما هو مذكور الآن في التوراة المنسوبة إلى موسى -عليه الصلاة

والسلام- فهذا من تحريف اليهود، من نسبة النقائص إلى الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وإلى أنبياء الله ورسله، فحاشا أن يكون هذا كلام الله تعالى.

ونؤمن أن هذه الكتب كلام الله لا كلام غيره، تكلم بها حقيقة، فالله تكلم بالتوراة، وتكلم بالزبور، وتكلم بسائر الكتب، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ موسى تَكليمًا﴾[النساء: ١٦٤]، والله فاعل، فهو المتكلم، وقال -سبحانه وتعالى- عن القرآن: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ المُشرِكينَ استَجارَكَ فَأَجِرهُ حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبلِغهُ مَأمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَعلَمونَ﴾[التوبة: ٦]، فسمى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- القرآن كلامه، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة، وسيأتي الكلام على القرآن وأنه غير مخلوق.

وهذه الكتب يُصدِّق بعضها بعضًا، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على لسان نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّوراةِ﴾[المائدة: ٤٦]، وقال: ﴿مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ﴾[المائدة: ٤٨]، فالتوراة تُصدق الإنجيل، والتوراة والإنجيل يُصدقان القرآن، كما عند البخاري أن عبد الله بن عمرو بن العاص ذكر أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- موصوف في التوراة، وأن الله قال: سميتك المتوكل، وجعلتك حرزًا للأميين، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، كل ذلك كان موجودًا في التوراة، وليس موجودًا الآن لتحريف اليهود، وكذلك بشَّر عيسى -عليه الصلاة والسلام- بأحمد نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

وهذه الكتب كذلك ينسخ بعضها بعضًا، وآخر الكتب الناسخة القرآن، نسخ ما قبله من الكتب، ولذلك نؤمن بما سبق القرآن إيمانًا إجماليًا لا تفصيليًا، نؤمن أن التوراة نزلت على موسى، وأنها كلام الله، تكلم بها، ولكن لا نؤمن بشيء من تفاصيلها إلا ما جاء على لسان نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا نعمل بشيء منها، وكذلك الإنجيل، لأن القرآن نسخ كل هذه الكتب، وصار مهيمنًا عليها، فكان آخرها القرآن، لا يأتي كتاب بعده، ولا يسع أحدًا الخروج عن أحكامه إلى غيره، كما قال صاحب المعارج رحمه الله.

ما الذي يقتضيه الإيمان بالقرآن آخر الكتب؟ هذا يقتضي امتثال أوامره، أن نمتثل الأوامر التي جاءت في القرآن، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، أن نُصدق الخبر ونُنفذ الطلب، لأن

القرآن نزل بلسان عربي مبين، وكلام العرب إما خبر وإما طلب، فلا بد من تصديق الخبر وتنفيذ الطلب، من فعل ذلك كانت له الحسنى واليسرى، كما قال الله تعالى فيمن صدّق الخبر ونفذ الطلب قال: ﴿فَأَمّا مَن أَعطى وَاتَّقى﴾، هذا تنفيذ الطلب، ﴿وَصَدَّقَ بِالحُسنى﴾، هذا تصديق الخبر، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرى * وَأَمّا مَن بَخِلَ وَاستَغنى﴾، هذا لم ينفذ الطلب، ﴿وَكَذَّبَ بِالحُسنَى﴾، لم يُصدق الخبر، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرى﴾[الليل: ٥-١٠].

قال تعالى في سورة القيامة: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلّى﴾[القيامة: ٣١]، لماذا ذكر التصديق والصلاة؟ لأن هذا هو الخبر والطلب، ﴿وَلكِن كَذَّبَ وَتَوَلّى﴾[القيامة: ٣٢]، فنُصدق الخبر الذي جاء فيه ونُنفذ الطلب، نحل حلاله، ونحرم حرامه، ونعتبر بأمثاله، ونتعظ بقصصه، ونعمل بمُحكمه، ونُسلّم لمتشابهه، ونذب عنه، وننصح له ظاهرًا وباطنًا، كما جاء في حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الدين النصيحة لكتاب الله.

وأعظم الكتب المنزلة على المرسلين التوراة والقرآن، ولذلك يقرن الله بينهما كثيرًا في كتابه، للتشابه الكبير بينهما في الأحكام، كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله-.

والكتب السماوية كلها نزلت جملة واحدة، بخلاف القرآن فإنه نزل مُنجمًا، ولذلك تجد في القرآن: ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ﴾[الفرقان: ١]، وهذا يقتضي أنه نزل مُنجمًا، فالإيمان بالكتب يقتضي الإيمان بها إجمالًا وتفصيلًا، كذلك على ما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال: **(ورسله)**، **والرسل**: جمع رسول، بمعنى: مرسَل، فعول بمعنى مُفعل، أي: مبعوث بإبلاغ شيء، وهذا من جهة اللغة.

وأما ها هنا: **فالمراد**: من أُوحيَ إليه من البشر، وأُمر بتبليغ رسالته.

ولا يكون الرسول إلا ذكرًا، فليس هناك رسل من الإناث، كما مال إلى ذلك ابن حزم، والقرطبي صاحب التفسير، وأشار بعضهم إلى أن هذا قد يكون مذهب الإمام البخاري -رحمه الله- لأن الله تعالى قال: ﴿وَما أَرسَلنا قَبلَكَ إِلّا رِجالًا نوحي إِلَيهِم﴾[الأنبياء: ٧]، فذكر أن الرسالة ما نزلت إلا على الرجال، وأما ما جاء فيه ﴿وَأَوحَينا إِلى أُمِّ موسى﴾[القصص: ٧]، فهذا وحي

إلهام وليس وحي رسالة، فالرسل ذكور من خيرة الخلق، ومن خيرة البشر، أوحى الله إليهم وأمرهم بالتبليغ، وهم هداة الخلق، كما سيأتي في قوله بأن نبيهم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يهدي إلى صراط مستقيم.

وحاجة الخلق إلى الرسل أعظم من حاجتهم إلى كل شيء؛ لأن الإيمان بالرسل ثمرته النجاة في الدنيا والآخرة؛ ولأنه لا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة بينهم، ولا نعني بالآثار ثياب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو سيف النبي أو غير ذلك، ولكن نعني بذلك السنة، وما كان عليه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طالما أن هذه الآثار موجودة فالأرض باقية، فإذا مُحيت هذه الآثار كان نهاية العالم، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، وحتى لا يقال: الله الله**»، أي تنمحي كل آثار الرسل، فلا بقاء لأهل الارض ما دامت آثار الرسل موجودة بينهم، فإذا درست وانمحت قامت القيامة، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

والرسل -كما قلنا- اصطفاهم الله من الإنس دون الجن، فليس في الجن رسل، فيهم نُذر، وليس في النساء رسل.

والإيمان بالرسل يستلزم **أمورًا**،

- الإيمان بجميعهم، كما قال تعالى: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ**﴾[البقرة: ٢٨٥]، فمن كفر بواحد من الرسل كفر بجميع الرسل، ولذلك قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نوحٍ الْمُرسَلِينَ**﴾[الشعراء: ١٠٥]، مع أن قوم نوح ما كذبوا إلا برسول واحد، ولكن لما كذبوا بهذا الرسول كأنهم كذبوا بجميع الرسل، وقال هذا في أكثر من نبي أو رسول، فلا نُفرق بين أحد منهم.

ولذلك لو اعتبرنا النصارى مُوحدين، لا يقولون بالتثليث، فليسوا من أهل الجنة، وليسوا من أهل الوعد، كما يقول المخرفة والضُلال في هذا الزمان، لماذا؟ لأنهم لا يؤمنون بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونبوته، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار**»، فكيف يقال إنهم من أهل الوعد لا من أهل الوعيد؟!

- أن نُصدق أن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا، كان أهم ما يدعو إليه ﴿وَاعبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا﴾[النساء: ٣٦]، فكل رسول يأتي قومه يدعو إلى التوحيد، ﴿وَإِن مِن أُمَّةٍ إِلّا خَلا فيها نَذيرٌ﴾[فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَد بَعَثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولًا أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجتَنِبُوا الطّاغوتَ فَمِنهُم مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنهُم مَن حَقَّت عَلَيهِ الضَّلالَةُ فَسيروا فِي الأَرضِ فَانظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبينَ﴾[النحل: ٣٦]، فنؤمن بأن الله بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم لعبادته، وإلى نبذ الشرك، وأن هذا أصل دعوتهم، أصل دعوة الأنبياء والرسل التوحيد.

ولذلك دائمًا نُدندن، التوحيد، التوحيد، التوحيد، نكرر، وقلت لكم في الدرس الماضي ما ينبغي لطالب العلم أن يقتصر على شرح كتاب أو كتابين أو ثلاثة، بل ولا على عشرة كتب من كتب التوحيد، ولكن عليه أن يُكثر من ذلك سماعًا وقراءةً وشراءً لكتب العقيدة، فهي أنفس ما يُحصّله المرء، هذه دعوة الرسل، والخلل في جانب التوحيد عظيم، يؤدي إلى أمور عظام، قد يؤدي إلى الخلود في النار، بخلاف الخلل في غيره، هب أن إنسانًا ظل طيلة حياته يسرق ويزني ويعصي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولكنه مات ومعه أصل الإيمان، لا بد أن يدخل الجنة يومًا ما، هب أنه عمل كثيرًا من أعمال البر والخير، وكان يطوف حول القبور أو يذبح لغير الله، كان جاهلًا بالتوحيد جهلًا لا يُعذر به، ما مصيره؟ مصيره إلى جهنم وبئس المصير، خالدًا مُخلدًا فيها، فعلى الإنسان أن يستكثر من هذا الأمر، وأن يُدندن حوله باستمرار.

- أن تؤمن أن أول الرسل نوح -عليه الصلاة والسلام- وأول الأنبياء آدم -عليه الصلاة والسلام- فأول الرسل نوح، جاء إلى قوم يُشركون بالله ويعبدون الأصنام، فدعاهم لعبادة الله الواحد القهار، وآدم كان نبيًا مُكلمًا، وأن آخرهم مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا نبي بعده، ولذلك كل من ادعى النبوة بعده دجال، كما أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يكون من بعدي دجالون ثلاثون، كلهم يقول أنه نبي».
- أن نُصدق أن الله فضّل بعضهم على بعض، فالرسل ليسوا على درجة واحدة من الفضل، كما قال تعالى: ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنا بَعضَهُم عَلى بَعضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وكما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»، فأفضلهم وسيدهم نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم أولوا العزم: إبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى.

وقد جاء التفضيل بين الأنبياء قال تعالى: ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنا بَعضَهُم عَلى بَعضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وجاء من جهة أخرى النهي عن التفضيل بينهم، فجاء عند البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «لا تُفضلوا بين أنبياء الله»، وجاء كذلك: «لا تُفضلوني على موسى»، وجاء: «لا يقل أحدكم: أنا خير من يونس بن متى»، وقال رجل للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يا خير البرية، فقال: «ذاك إبراهيم»، فجاء قوله تعالى: ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنا بَعضَهُم عَلى بَعضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وجاء نهي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن التفضيل بين الرسل، ولا تعارض بين الآية وكلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فجمع العلماء بين الآية وهذه الأحاديث بأكثر من طريق، قالوا: إما أن يكون النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى عن التفضيل قطعًا للنزاع والشقاق والخلاف، أو أن يكون نهى عن ذلك لأن التفضيل قد يكون بمجرد الهوى والعصبية، اليهودي يُفضل موسى؛ لأنه يؤمن به، والمسلم يُفضل محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنه نبيه، لمجرد أنه نبيه، لا لما حباه الله من الفضائل، فهذا تفضيل قائم على العصبية والهوى، وإما أن يكون النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى عن ذلك لما قد يُؤدي إليه من التنقص.

أنا سمعت مرة بعض التبليغيين أراد أن يرفع من قدر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقدح في آدم -عليه الصلاة والسلام- فأخذ يتكلم عن أكل آدم من الجنة، وعن عصيانه لربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأما نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكان سيد المتوكلين، وأخذ يقدح في آدم -عليه الصلاة والسلام- فأحيانًا التفضيل يؤدي إلى تنقص بعض الأنبياء، وإما أن يكون النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال ذلك تواضعًا منه، خاصةً لما قيل له: يا خير البرية قال: «ذاك إبراهيم»، وإما أن يكون قال ذلك قبل إعلامه بأنه سيد ولد آدم، فهناك أكثر من طريقة تستطيع أن تجمع بها بين الآية وهذه الأحاديث.

- أن تؤمن بأنهم معصومون فيما يُخبرون به عن الله، الأنبياء والرسل معصومون فيما يُخبرون به عن الله، لا يقع نقص مطلقًا في بلاغهم.

ولذلك لما تكلم العلماء عن سحر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكروا أن سحره أصاب بدنه، ولم يُصب عقله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يُؤثر على تبليغه الرسالة، كيف وقد قال له ربه

-تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دينًا﴾[المائدة: ٣]، وقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]، أي: في البلاغ، فنؤمن أن الأنبياء معصومون فيما يُخبرون به عن الله.

ولذلك ابن القيم له كلمة عجيبة في الكلام على من ادعى الرسالة خاصة، قال: "ما من رجل يدعي الرسالة إلا ولا بد أن يفضحه الله قبل أن يموت"، هو ابتداءً قال: ما من رجل كذب على الله وتجبَّر وظلم إلا ولا بد أن ينتقم الله منه شر انتقام-هذا معنى كلامه - فأُشكل عليه بأن الناس رأوا كثيرًا من الظالمين ماتوا ولم ينتقم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- منهم، قال: "قد يتركهم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأما مدعي الرسالة فلا بد أن يفضحه الله قبل أن يموت"، مدعي الرسالة خاصة لا يتركه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بل لا بد أن يفضحه قبل أن يموت، وأن يكشف زيفه، ورأينا ذلك في مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وفي كل مدعٍ للرسالة يفضحه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهم معصومون فيما يخبرون به عن الله، معصومون من الشرك قبل وبعد الرسالة، لا يقعون في الشرك مطلقًا على الصحيح من أقوال أهل العلم، معصومون من الكبائر كذلك، لا يقعون في الكبائر ؛ لأن هذا ينافي التبليغ وينافي الرسالة، وهذا يُرَد به على اليهود المحرِّفة فيما نسبوه إلى الأنبياء والرسل، وكذلكلا يُقرّون على الذنوب، يعني لو وقعوا في صغائر الذنوب فإنهم لا يُقرّون عليها، بل لا بد أن يُنبههم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهذا معتقدنا اختصارًا في الإيمان بالرسل.

ثم قال: (**وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى، وما صحت به الرواية عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**)، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة، يقبلون كل ما جاء في كتاب الله وما صح عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأن هذا مقتضى الإيمان، ومقتضى شهادة التوحيد ألا يُعبَد إلا الله، وألا يُعبَد إلا بما شرع على لسان نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نقبل كل ذلك، لأن الاسلام قنطرة لا تُعبَر إلا بالتسليم، كما قال السلف، وكما قال ابن بطة في الإبانة، قال: الإيمان: "إقرار لله تعالى بالربوبية، وخضوع له في العبودية، وتصديق له في كل ما قال وأمر ونهى".

وقال الزهري: "من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم".

(**فنقبل كل ما نطق به الكتاب، لا نجد حرجًا في صدورنا تجاه ذلك، بل نرضى ونُسلِّم، وما صحت به الرواية عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا معدل -أي: لا محيد- عما ورد**

به، ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين)، إذ ها هنا تعليلية، لماذا يقبلون كل ذلك؟ لأننا مأمورون باتباع الكتاب والسنة، **(مضمونًا لهم الهدى فيهما)**، أين الدليل على أن من اتبع الكتاب والسنة فقد هُدي؟ قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور: ٥٤]، هذا بالنسبة للسنة، ﴿فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]، نعم، قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب والله وسنتي**»، يقال: كتابَ الله وسنتي، وكتابُ الله وسنتي، كلاهما صحيح، أعني كتابَ الله وسنتي، أو هما كتابُ كتاب الله وسنتي، خبر حُذف مبتدؤه.

قال: **(إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، من فعل ذلك مضمونًا لهم)**، هذا حق على الله أوجبه على نفسه، **(مضمونًا لهم الهدى فيهما، مشهودًا لهم بأن نبيهم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يهدي إلى صراط مستقيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢])**، والهداية ها هنا هداية إرشاد وبيان، فهذه هي الهداية المكفولة لنبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأما المنفية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص: ٥٦]، فهي هداية التوفيق، فهذه لا تكون لأحد من الخلق.

فقال: **(بأن نبيهم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يهدي إلى صراط مستقيم، مُحذَّرين في مخالفته)**، اسم مفعول، **(مُحذَّرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣])**.

ولذلك لما جاء رجل إلى إمام دار هجرة إلى أنس بن مالك وقال له: من أين أُحرم؟ قال: "من حيث أحرم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"، فأعاد الرجل عليه ذلك مرارًا، ثم قال: فإن زدتُ على ذلك؟ قال مالك: "لا تفعل، فإني أخاف عليك الفتنة"، قال: وما في هذه من فتنة، إنما هي أميال أزيدها، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾، **الفتنة**: أن ترى أنك سبقت إلى شيء قصّر فيه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو لم يسبق إليه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فجماع مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يُصدّقون الخبر، وينفذون الأمر، ويقرون ويؤمنون بكل ما نطق به كتاب الله تعالى، وما صحت به الرواية.

الدرس الثالث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

فقد قال المصنف الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي -رحمه الله-في رسالته (**اعتقاد أئمة الحديث**) في الفقرة الثالثة من فقرات هذه الرسالة الطيبة: (**ويعتقدون أن الله تعالى مدعوٌّ بأسمائه الحسنى، وموصوفٌ بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**).

إذًا هذه الفقرة تدور حول توحيد الأسماء والصفات، أهل السنة والجماعة يقسمون التوحيد إلى أقسامٍ ثلاثة، أو إلى قسمين:

فإما أن يقسموه إلى توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، وإما أن يجعلوا توحيد الأسماء والصفات مع توحيد الربوبية قسمًا واحدًا، فيسمون توحيد الألوهية: توحيد القصد والإرادة، وتوحيد الأسماء والصفات مع توحيد الربوبية: توحيد الإثبات والمعرفة؛ لأن توحيد الإثبات والمعرفة مداره على إثبات ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا يتضمن إثبات أفعال الله وهو توحيد الربوبية، من الخلق، والرزق، والتدبير، والملك، وغير ذلك، ويتضمن إثبات ما أثبته الله لنفسه من أسماءٍ حسنى، وصفاتٍ عليا، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الأسماء والصفات أحد أفراد توحيد الله تعالى وهو: أن تثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من أسماءٍ حسنى، وصفاتٍ عليا على الوجه اللائق به، وأن تنفي عنه ما نفاه عن نفسه، وكل ذلك تحت قوله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[الشورى: ١١]، فالذي ينظر في هذه الآية يجد أن مدارها على النفي والإثبات، على التخلية والتحلية، على التسبيح والتحميد، فقال: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾، فنفى ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يكون مشابهًا أو أن يكون مماثلًا لأي شيء، ثم أثبت لنفسه بعض أسمائه -سبحانه وتعالى- منوهًا على باقي الأسماء، فقال:

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، والأسماء تتضمن الصفات، فنثبت الأسماء والصفات لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهذا الباب قائمٌ على قواعد عدة استنبطها أهل السنة والجماعة من كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نكتفي منها اليوم بقواعد عشرة، وإن كان قد أوصلها بعضهم إلى ما يقارب الثلاثين قاعدة.

- **أول هذه القواعد**: أنه قد دل على ثبوت أسماء الله وصفاته كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإجماع السلف.

فأما الكتاب: فقد دل على ثبوت ذلك إجمالًا وتفصيلًا، أما الاجمال ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعلى وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾[النحل: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأَعلى فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾[الروم: ٢٧].

قال ابن القيم: المثل يرد كثيرًا في كتاب الله ويعني الصفة، وقال تعالى: ﴿سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفونَ * وَسَلامٌ عَلَى المُرسَلينَ * وَالحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ﴾[الصافات: ١٨٠-١٨٢]، وقال في الأخرى: ﴿سُبحانَ اللَّهِ عَمّا يَصِفونَ * إِلّا عِبادَ اللَّهِ المُخلَصينَ﴾[الصافات: ١٥٩-١٦٠]، وهم الذين يثبتون لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ما يليق به من الأسماء والصفات.

وأما التفصيل فهو أكثر من أن يُذكر؛ فلا تكاد تجد آيةً في كتاب الله إلا وبها اسمٌ من أسماء الله أو صفةٌ من صفاته، حتى قال ابن تيمية -رحمه الله-: "إن ذكر الأسماء والصفات في كتاب الله أكثر من ذكر الجنة وما فيها من النعيم والطعام والشراب وغير ذلك؛ لأن المقصود الأول أن تتعرف على خالقك -سبحانه وتعالى- لأن الله قال: ﴿وَما خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعبُدونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، فكيف تعبد ربًا لا تعرف ما له من الأسماء والصفات؛ ولذلك من عرف الله بأسمائه وصفاته عبده على مراده -سبحانه وتعالى- ومن عرف الله بأسمائه وصفاته أحبه".

والواحد منا -كما يقول قوام السنة- يقول: "إذا أراد الواحد منا أن يعامل رجلًا، أو أن يخطب ابنته ماذا يصنع؟ لا يقدم على هذه المعاملة، أو على هذه الخطبة إلا بعد أن يسأل عن هذا الرجل، وعن اسمه، واسم أبيه، واسم جده، وعن أصله، ثم بعد ذلك يقدم على هذه المعاملة،

وهو يعامله في أمرٍ من أمور الدنيا، والله الذي خلقنا، ورزقنا، ونرجو رحمته ونخشى عذابه -سبحانه وتعالى- أحق أن يُعرف، ولا يُعرف إلا من خلال أسمائه وصفاته الواردة في الشرع، فدل على اتصافه بالأسماء والصفات كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كما قلنا إجمالًا، وتفصيلًا، وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".

قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما سأل عن سبب قراءة الرجل لسورة الإخلاص في كل ركعة، قال الرجل: هي صفة الرحمن وأنا أحبها، فبين هذا الصحابي الذي أقره النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن لله صفة، وليست له صفةٌ واحدة؛ لأن قوله: "هي صفة الرحمن"، صفة من المفرد المضاف، صفة الرحمن، فتعم كل صفةٍ ثبتت لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نثبتها على الوجه اللائق به، ولو نظرنا في السورة نفسها لوجدنا إثبات الأسماء لله، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَد * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١-٤]، أنزلها الله تبارك وتعالى لما سأل المشركون نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن ينسب لهم ربنا، أو أن يصف ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وللحافظ ابن حجر بحث جيد في الفتح رداً على ابن حزم في طعنه على هذه اللفظة الواردة في الحديث فليراجع.

وأما الإجماع فقد نقله أكثر من واحد، قال الأوزاعي: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق سمواته، ونؤمن بما وردت السنة من أسماءٍ وصفات".

فهذه أول قاعدة: أن أسماء الله وصفاته دل عليها الكتاب والسنة، والإجماع، والله تعالى يقول: ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ لَهُ الأَسماءُ الحُسنى﴾[طه: ٨]، في سورة طه، فقوله: ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ﴾ معناه: لا معبود حق إلا الله، ثم عطف عليها عطف بيانٍ لاستلزام توحيد الألوهية توحيد الأسماء والصفات، قال: ﴿لَهُ الأَسماءُ الحُسنى﴾، فالإله الحق والألوهية الحق تستلزم أن يكون هذا الإله متصفًا بالأسماء الحسنى؛ لأن الجملة الأولى جاءت بالنفي والإثبات، قال: ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ﴾، وهذا يفيد قصر الألوهية الحقة على ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والجملة الثانية كذلك جاءت بصيغة القصر والحصر ولكن بأسلوبٍ آخر، قال: ﴿لَهُ الأَسماءُ الحُسنى﴾، فشبه الجملة في محل رفع خبرٍ مقدم، الأسماء الحسنى له، كأنه -سبحانه وتعالى- قال: لا أسماء حسنى إلا لربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فدل ذلك على أن توحيد الألوهية يستلزم توحيد الأسماء والصفات.

- **وأما القاعدة الثانية فهي**: أن أسماء الله وصفاته توقيفية، وليست توفيقية، ما معنى التوقيف؟ أي: أن نقف على النص، لا نتعداه، نثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في صحيح سنته، من غير تمثيلٍ، ولا تكييف، وننفي عنه كذلك ما نفاه عن نفسه، ونفاه عنه نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من غير تعطيلٍ ولا تحريف.

إذًا الإثبات لا بد فيه من أمرين: من غير تمثيلٍ ولا تكييف، أي: لا نمثل، لا نقول: يد الله كأيدينا، سمع الله كسمعنا، لا نمثل صفات ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وذلك لأمورٍ ثلاثةٍ ذكرها أهل العلم:

• **الأمر الأول**: أننا لم نر ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لن يرى واحدٌ منا ربه في هذه الحياة الدنيا، وإنما الرؤية تكون في الآخرة، رؤيا أو رؤية ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في الحياة الدنيا جائزة، ولكن منعنا الله إياها ابتلاءً واختبارًا، وأما في الآخرة فقد أخبرنا نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أننا سنرى ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كما نرى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب.

فنثبت من غير تمثيلٍ ولا تكييف، ما معنى التكييف؟ أن نكيّف، أن نقول: صفة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كيفيتها كذا وكذا، نثبت لها كيفًا معينًا، هل لصفات الله كيفية؟ نعم، لها كيفية، ولكن لا نعلمها، لماذا؟ لأننا لم نر الله، هذا أولًا،

•**ولم نر شبيهًا له**، لأنه ليس كمثله شيء سبحانه.

•**ولم يأتنا خبرٌ صحيحٌ عن مُصدّق، وهو النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكيفية الصفات**، وبالتالي نثبت المعنى، ونفوّض الكيف، وهذا معنى قول السلف: "أمرّوها كما جاءت"

وأما في النفي فننفي ما نفاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن نفسه من غير تعطيلٍ ولا تحريف؛ لأننا لو عطّلنا الله -تبارك تعالى- عن صفاته أصبحنا نعبد عدمًا، المعطّل يعبد عدمًا، الذي يقول: إن الله ليس له سمعٌ، ولا بصرٌ، ولا يدٌ، ولا يأتي، ولا يجيء يوم القيامة، ولا ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يستوي على عرشه، وينفي صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهذا ضيّع ربه، ويعبد عدمًا، وأما

المثل فيعبد صنمًا، فننفي من غير تعطيلٍ ولا تحريف، وهو الذي يسميه بعضهم التأويل، والأولى أن يسمى تحريفًا.

- **القاعدة الثالثة:** أننا إذا نفينا عن ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بعض الصفات اعتقدنا ثبوت كمال الضد، وهذه قاعدة مسلكية طيبة جدًا تنفع العبد في عبادة ربه، ما معنى هذا الكلام؟ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: ﴿وما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾[فصلت: ٤٦]، وفي حديث أبي ذرٍ -رضي الله عنه- يقول: «إني حرمت الظلم على نفسي»، وكذلك في آية الكرسي يقول: ﴿لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَومٌ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وفي سورة مريم يقول: ﴿وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم: ٦٤]، فنفى عن نفسه السنة، والنسيان، وكذلك الظلم، وفي حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن الله لا ينام»، فنفى عن نفسه النوم، هذه صفاتٌ منفيةٌ عن ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

العلماء يقولون: النفي المحض لا مدح فيه، يعني إذا قلت: محمدٌ ليس بظالمٍ، وليس ببخيلٍ، وليس بكسولٍ، واقتصرت على هذا النفي المجرد فهذا لا مدح فيه. متى يكون المدح؟ إذا أثبت كمال ضد المنفي، وهذا هو الواجب في صفات الله المنفية عنه، أنك إذا نفيت صفةً عن الله واجبٌ عليك أن تثبت كمال الضد، فإذا قال الله: ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾[فصلت: ٤٦]، أثبت ماذا؟ ما ضد الظلم؟ العدل، لكن لا تثبت العدل فقط، ولكن تثبت كمال العدل؛ لأنك لو قلت: محمدٌ لا يظلم أحدًا، ربما كان لا يظلم أحدًا لعجزه عن الظلم، يعجز عن الظلم، فالنفي المحض لا كمال فيه، متى يكون الكمال؟ إذا أثبتنا كمال الضد.

وإذا قال ربك: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم: ٦٤]، فهذا فيه إثبات كمال قيومية الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وكمال علمه، لا ينسى ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهذا الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق، إذا أردت أن تعبد ربك -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بهذا الباب العظيم- وهو بابٌ عظيم باب الأسماء والصفات، قصّر بعض الناس في معرفته ودراسته، في الوقوف على أسماء الله وصفاته ومعرفة معانيها، وما تقتضيه من العبودية- إذا وقفت على هذا الباب انفتحت لك مجالاتٌ عظيمةٌ جدًا من العبادات، ومن دعاء ربك -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ومن حسن الظن بالله، ومن رؤية تمام عدله وغير ذلك، فالله إذا قال: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أثبتنا له كمال العلم والقيومية، وهذا كما قلنا فرقٌ بين صفة الخالق وصفة المخلوق.

والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- ضرب لنا مثالًا ونحن نقيس عليه، يعني قال: "لو أننا نظرنا إلى حياة الخالق وحياة المخلوق، حياة المخلوق سبقها ماذا؟ سبقها عدم"، يعني أنت قبل ستين عامًا لم تكن موجودًا، "ويتبعها فناء، ﴿كُلُّ مَن عَلَيها فانٍ * وَيَبقى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكرامِ﴾[الرحمن: ٢٦-٢٧]، وأما حياة الخالق فلا يسبقها عدم، ولا يتبعها فناء"، ﴿وَتَوَكَّل عَلَى الحَيِّ الَّذي لا يَموتُ﴾[الفرقان: ٥٨]، وقال: "أولٌ بلا ابتداء"، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ﴾[الحديد: ٣]، فسرها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، أي: أولٌ بلا ابتداء -سبحانه وتعالى- تعالى في العلم، أنت عليمٌ، وأنا عليم، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وصف الإنسان بأنه عليم، ﴿وَبَشَّروهُ بِغُلامٍ عَليمٍ﴾[الذاريات: ٢٨]، صحيح؟ والله وصف نفسه بأنه عليم -سبحانه وتعالى- ما الفرق بين علمك وعلم الله؟ علمك سبقه جهل، ويتبعه نسيان، وأما علم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فلم يسبقه جهل، ولا يتبعه نسيان، وقس على ذلك في سائر صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

ولذلك أهل السنة والجماعة وضعوا قاعدةً مستنبطةً من الكتاب والسنة، هذه القاعدة تقول: الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق كالفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق، وكذلك الصفات، فرقٌ عظيمٌ بين صفة الخالق وصفة المخلوق، وهذا يرد به على المعطلة الذين يقولون: إننا ننفي الصفات الواردة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كاليد، والسمع، والبصر، والمجيء، والإتيان، والغضب، والفرح، وغير ذلك؛ لأننا لو أثبتناها لشبّهنا الله بخلقه، فيقال لهم: الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق كالفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق.

فصفات الله توقيفية، ما معنى توقيفية؟ كما قلنا: نتوقف على النص، وكذلك إذا نفينا عن الله صفة فهذا يستلزم منا إثبات كمال الضد، الكلام سهل وميسور، واضح، الكلام في باب الأسماء والصفات يحتاج إلى تيسيرٍ؛ حتى يدخل القلوب، ولا يستصعبه الناس.

- **كذلك من قواعد أهل السنة والجماعة:** النفي المجمل لصفات النقص، والإثبات المفصل لصفات الكمال، أننا إذا أردنا أن ننفي عن الله صفة نقصٍ نجمل ولا نفصّل، وأما عند الاثبات فنفصّل؛ لأن هذا ما يقتضيه المدح، إذا أردت أن تمدح إنسانًا تقول: فلان هذا كريم، شجاع، قوي، مقدام، عالم، فهّامة، هذه صفات مدح، الاستكثار منها

مطلوب، وأما في صفات النقص فالكمال أن تجمل، لا أن تفصّل؛ لأنك لو فصّلت وقلت: فلان ليس ببخيلٍ، ولا جبانٍ، ولا كسولٍ، ولا بليدٍ إلى غير ذلك من الصفات، لو فصّلت في صفات النقص فهذا يؤدي إلى الذم لا إلى المدح، ولذلك وجدنا في كتاب الله التفصيل في صفات الإثبات، انظر إلى آخر سورة الحشر تجد أن الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– أثبت كثيرًا من أسماء الله التي تدل على الإثبات، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ المَلِكُ القُدّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَيمِنُ العَزيزُ الجَبّارُ المُتَكَبِّرُ سُبحانَ اللَّهِ عَمّا يُشرِكونَ * هُوَ اللَّهُ الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسماءُ الحُسنى﴾[الحشر: ٢٢-٢٤]، هذا تفصيلٌ في ماذا؟ في الإثبات، وأما في نفي النقائص قال: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾[الشورى: ١١].

والتفصيل في النقائص لا يرد إلا في موضعين، يعني أحيانًا نجد تفصيلًا في الصفات المنفية عن الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– يعني انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَم يَلِد وَلَم يولَد * وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١-٤]، هذا تفصيل وليس إجمالًا، صحيح؟ الإجمال قال: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾، لماذا فصّل ها هنا؟ قال لنا العلماء: الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– إذا فصّل في النفي فذلك لسببين:

• **السبب الأول**: فلنفي ما ادّعاه الكاذبون في حق الله تعالى، فقال: ﴿لَم يَلِد وَلَم يولَد * وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، كل ذلك ردٌ على ما ادّعاه الكاذبون في حق الله تعالى.

•**وأما السبب الآخر**: فلدفع توهم النقص في كماله، إذًا لدفع توهم النقص، ولرد ما ادّعاه الكاذبون في حق الله تعالى، دفع توهم النقص كمثل ماذا؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَد خَلَقنَا السَّماواتِ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما في سِتَّةِ أَيّامٍ وَما مَسَّنا مِن لُغوبٍ﴾[ق: ٣٨]، فهذا نفيٌ للنصب والتعب، ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾[فصلت: ٤٦]، هذا نفيٌ للظلم، ﴿وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هذا نفيٌ للنسيان، هذا تفصيلٌ في النفي، لماذا هو تفصيل؟ كما قلنا: لدفع توهم النقص في كماله –سبحانه وتعالى– أما بخلاف ذلك فإننا نجمل في النفي، ونفصّل في الإثبات، بخلاف أهل البدع فإنهم يفصّلون في النفي، ويجملون في الإثبات، فإذا أرادوا نفي النقائص عن الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– فصّلوا في ذلك، فقالوا: الله ليس بجسمٍ، ولا عرضٍ، ولا جوهر، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يظلم، ولا .. فصّلوا في النفي، وأما في الإثبات فإنهم يقتصرون على صفاتٍ معينة، فإذا نظرت مثلًا إلى

الأشاعرة وجدتهم لا يثبتون إلا أسماءً سبعة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وما أثبتوها إلا لأن العقل دلهم عليها، ما رجعوا إلى السمع، وإنما حكّموا العقل في ذلك، فلا يثبتون إلا السمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والقدرة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والعلم، نعم، يثبتون هذه الصفات السبعة أو الأسماء السبعة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لأن العقل دل عليها، لا يوجد إلهٌ إلا وقد اتصف بهذه الصفات، وأما في النفي فإنهم يفصّلون في النفي.

فمنهج أهل السنة والجماعة: التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي.

- **القاعدة التي بعد ذلك**: أنك لو أثبت لله اسمًا من أسمائه فهذا يقتضي منك أمورًا، يعني أنت أثبت لله اسمه الرحمن، هل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من أسمائه الرحمن؟ ما الدليل؟ ﴿بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾[الفاتحة: ١]، كيف أثبتّه؟ بالنص ، هل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من أسمائه الحي؟ نعم، ما الدليل؟ ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الحَيُّ القَيّومُ﴾، طيب، لماذا ذكرتُ هذين الاسمين؟ ذكرت اسمه الرحمن واسمه الحي، لماذا ذكرتُ هذين الاسمين؟

لأن اسمه الرحمن يتضمن صفةً يتعدى أثرها إلى غيره، إلى مخلوقاته -سبحانه وتعالى- ﴿فَانظُر إِلى آثارِ رَحمَتِ اللَّهِ كَيفَ يُحيِي الأَرضَ بَعدَ مَوتِها﴾[الروم: ٥٠]، وأما اسمه الحي فهو اسمٌ لازمٌ لا يتعدى أثره إلى خلقه.

إذًا أسماء الله على قسمين:

- إما أن يكون اسمًا متعديًا.
- أو أن يكون اسمًا لازمًا لا يتعدى أثر الصفة إلى خلقه.

أنت أثبتّ لله اسمه الرحمن واسمه الحي، على مقتضى ما جاء في النص؛ لأن أسماء الله توقيفية، هذا يستلزم منك ماذا؟ يستلزم منك في اسمه الرحمن: أن تثبت تضمنه لصفة الرحمة، فالرحمن أي: ذو الرحمة الواسعة فتضمن صفة ذات، الرحيم: ذو الرحمة الواصلة، وتضمن صفة فعل تتعلق بمشيئة الله وحكمته.

أثبتّ اسمه الحي، وهذا يتضمن صفة الحياة له -سبحانه وتعالى- إذًا كل اسمٍ لا بد أن يتضمن صفة، ومن هنا لم يكن الدهر من أسماء الله الحسنى.

نأتي إلى الاسم الأول وهو اسمه الرحمن:

يقتضي منك أيضًا أن تثبت أثر الصفة في خلقه، فلو طالعت هذا الكون العجيب لأيقنت بوجود رحمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وبأثر رحمة الله التي شملت البر والفاجر، المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا﴾[غافر: ٧]، فكما أنه لا يخرج عن علمه شيء، فكذلك لا يخرج عن رحمته الواسعة شيءٌ في هذه الحياة الدنيا، وهذا هو السبب في قرن الرحمة بالعلم، أن علمه يصل لكل شيء، فكذلك رحمته تصل لكل مخلوقٍ من مخلوقاته -سبحانه وتعالى- في هذه الحياة الدنيا، وهي الرحمة العامة.

فإذا أثبتّ اسمًا لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- متعديًا اقتضى منك أمورًا ثلاثة - أن تثبت الاسم، والصفة، والأثر، وإذا كان الاسم لازمًا: أن تثبت الاسم، والصفة.

- **كذلك من قواعد أهل السنة والجماعة**: أن أسماء الله وصفاته لا حصر لها، والدليل على ذلك:

الدليل الأول قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث عبد الله بن مسعود: «**اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سمّيت به نفسك**»، أين سمى نفسه؟ سميت به نفسك أي: اخترت هذا الاسم لك، «**أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدًا من خلقك**»، وهذا العلم لا يكون إلا عن طريق الوحي، يعني علّم نبيًا من أنبيائه، أو ملكًا من الملائكة، الشاهد قوله: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، فدل ذلك على أن من الأسماء والصفات ما لا يعلمه إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- استأثر به، هذا الدليل الأول.

الدليل الثاني: ما جاء في حديث الشفاعة من أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا سجد تحت العرش فتح الله عليه بمحامد يعلمه إياها في هذا الموضع، يعني يثني على ربه بثناءاتٍ ومحامد لم يكن تعلمها قبل ذلك.

والدليل الثالث: قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، ولو كنا نعرف كل الأسماء والصفات لكان سيد الخلق وأعبد الناس -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكمل الناس إحصاءً للثناء على ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-

وأما قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»، فهذا كما يقول القائل: إن لي مائة درهم أعددتها للصدقة، فليس معنى ذلك أنه ليس معه غير هذه المائة، فالصحيح أن أسماء الله وصفاته لا حصر لها.

ومن هذا الباب نقول: أضيق شيءٍ في هذا الباب أسماؤه -سبحانه وتعالى- ثم الأوسع منها صفاته، ثم باب الأخبار أوسعها، يعني كم عدد الأسماء المراد إحصاؤها في الكتاب والسنة؟ تسعةٌ وتسعون اسمًا، «**إن لله تسعةً وتسعين اسمًا**»، يعني الواردة في الكتاب والسنة، صحيح؟ الصفات؟ أوسع من ذلك؛ لأنه قد تكون الصفة ثابتةً لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولا يُشتق منها الاسم، كصفة الكلام، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- موصوفٌ بالكلام، وليس من أسمائه المتكلم، صفة الإرادة، وليس من أسمائه المريد -سبحانه وتعالى- لماذا؟ لأن الأسماء حسنى من كل وجه، وأما الكلام فيشتمل على ما هو حسنٌ وما هو قبيح، وكذلك الإرادة، فلا نسمي ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بها، وأوسعها باب الإخبار، أن تخبر عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بصفةٍ أو بخبرٍ لا يتضمن نقصًا، يعني إذا قلت مثلًا: قال تعالى: ﴿**وَهُم يَكفُرونَ بِالرَّحمنِ قُل هُوَ رَبّي لا إِلهَ إِلّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ مَتابِ**﴾[الرعد: ٣٠]، هل لو قلت: عاب الله على المشركين في هذه الآية وكفّرهم؛ لأنهم كفروا باسمه الرحمن، تقول: عاب الله، كلمة عاب، هل وردت في الكتاب؟ وردت في السنة كاسمٍ أو صفة؟ أما قولنا: عاب الله فهذا من باب الإخبار عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هل تتضمن نقصًا؟ لا تتضمن نقصًا، إذًا يجوز أن نخبر عنه بأنه عاب على المشركين، ولكن باب الإخبار مقيدٌ بقيدين:

- **القيد الأول**: ألا يكون قد ورد في الكتاب والسنة ما ينوب عن هذا الإخبار، يعني لو جاءت صفة بالكتاب والسنة تنوب عن هذا الإخبار فهي أولى.

- **القيد الآخر**: ألا يشتمل هذا الإخبار على نقص، فقول الجمهور -أقول قول الجمهور؛ لأن المسألة فيها خلاف، من العلماء من منع الإخبار عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بخلاف الوارد في الكتاب والسنة- وأما قول الجمهور فالجواز، وهو الصحيح، وكتب التفسير طافحةٌ بالإخبار عن

الله بما لم يرد في كتاب الله ولا في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بدءًا من تفسير الطبري إلى آخر التفاسير السنية.

- **كذلك من قواعد أهل السنة والجماعة**: أن ما يضاف إلى الله -تبارك وتعالى نوعان: إما أن يكون المضاف لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بائن عنه -سبحانه وتعالى- فهذه من إضافة المخلوق إلى الخالق، وإما أن يكون غير بائن أي: غير منفصل عنه -سبحانه وتعالى- ما ذكرها إلا مضافةً إليه، فهذه من إضافة الصفة إلى الموصوف، ما معنى هذا الكلام؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية -وهذه العقيدة كتبها أحد الأشاعرة، وطُلب من شيخ الإسلام أن يشرحها، فشرحها في مجلدٍ متوسط- قال شيخ الإسلام: "وما ذُكر في القرآن أنه منه، أو ما أضيف إليه، فإن كان عينًا قائمًا بنفسها، أو أمرًا قائمًا بتلك العين كان مخلوقًا، كقوله في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِنه﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ جَميعًا مِنهُ﴾[الجاثية: ١٣]، فما في السماوات وما في الأرض عينٌ قائمةٌ بذاتها، الشمس، والقمر، والجبال، والأشجار، وفي الآية التي قبلها قال عن عيسى وهو عينٌ قائمة بذاتها قال: ﴿وَرُوحٌ مِنه﴾، بائنة يعني منفصلة، ومع ذلك أضافها إلى نفسه إضافة تشريفٍ، أو إضافة خلق، فإذا كانت العين قائمةً بنفسها فالإضافة ها هنا إما أن تكون إضافة تشريف أو إضافة خلق، قال تعالى: ﴿ناقَةَ اللَّهِ وَسُقياها﴾[الشمس: ١٣]، ونقول: المسجد الحرام بيت الله، صحيح؟ طيب، بيت الله قائمٌ بنفسه؟ نعم، قائمٌ بنفسه، مستقلٌ عن غيره، صحيح؟ هذه الناقة ناقة صالح قائمةٌ بنفسها مستقلةٌ عن غيرها؟ نعم، ومع ذلك أضافها الله إلى نفسه، فهذه الإضافة تسمى إضافة تشريف.

وفي قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ جَميعًا مِنهُ﴾ فهذه الإضافة إضافة خلق، فالإضافة إلى الله على نوعين في كتابه، إما أن تكون إضافة خلق، أو إضافة تشريف.

"وأما ما كان صفةً -هكذا يقول ابن تيمية- وأما ما كان صفةً لا تقوم بنفسها"، لا يُتصور أن تقوم هذه الصفة بنفسها، "ولم يُذكر لها محلٌ غير الله كانت هذه الصفة صفةً له، كالقول، والعلم، والكلام"، قال تعالى: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ المُشرِكينَ استَجارَكَ فَأَجِرهُ حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾[التوبة: ٦]، هل نتصور أن الكلام من الممكن أن يقوم بنفسه في الهواء؟ عينٌ قائمة

بنفسها؟ لا، وإنما هو صفةٌ أضافها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لنفسه دائمًا في كتابه، هل هي إضافة تشريف، أم إضافة صفةٍ لموصوف؟ إضافة صفةٍ لموصوف.

قال: "وبهذا يُفرّق بين كلام الله سبحانه وعلم الله وبين قولنا: عبد الله، وبيت الله، وناقة الله، فالأول من إضافة الصفة إلى الموصوف، والثاني من إضافة الخلق أو التشريف".

- **كذلك من القواعد المهمة عند أهل السنة والجماعة:** أنهم يراعون الألفاظ الواردة في إثبات الأسماء والصفات، ويتوقفون عما لم يرد به نصٌ نفيًا ولا إثباتًا، فلو قلنا: هل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فوق عرشه؟ نعم تثبت أن الله فوق عرشه ، هل استوى على عرشه؟ نعم ، هل يتكلم؟ نعم، هل يجيء؟ هل يأتي؟ هل يفرح؟ هل يغضب؟ طيب لماذا نقول: نعم؛ لأن ذلك ورد في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فأهل السنة يراعون الألفاظ الواردة في إثبات الأسماء والصفات، ويجسرون على ذكرها دون توقف، لماذا؟ لأن الذي ذكرها الله، والله أعلم بنفسه من غيره.

ولذلك لو سألت واحدًا أين الله فقال لك: في كل مكان، تقول له: الله فوق عرشه، فوق خلقه مستوٍ على عرشه، يقول: هذا كلام باطل، تقول: قال الله تعالى: ﴿الرَّحمَنُ عَلَى العَرشِ استَوى﴾[طه: ٥]، أأنتم أعلم أم الله؟ هو أخبر عن نفسه أنه على العرش استوى، فكل ما ورد في الكتاب والسنة تجسر على القول به دون توقف.

أما ما لم يرد في الكتاب والسنة نفيًا ولا إثباتًا؟ نتوقف فيه، ونستفصل عنه، فلو قال لك الأشعري: لا أثبت استواءً الله على عرشه، لماذا لا تثبت استواء الله على عرشه؟ يقول: لأنني لو أثبت استواء الله على عرشه لأثبت الجهة لله؛ ولأنني لو أثبت الصفات لله من السمع، والبصر، واليد، والرجل، وغير ذلك لأثبت الجسم لله، ولشبّهته بخلقه، فأنا أنزه الله عن إثبات الجهة، والجسم، والحيّز وغير ذلك، فهل ننفي هذه الألفاظ التي ذكرها؟ يعني ننفي الجسم، والحيز، والجهة وغير ذلك؟ لا، نستفصل، نقول له: ماذا أردت بقولك: الجسم، إذا قال: أردت بذلك ما وصف به نفسه من سمعٍ، وبصرٍ، وصفاتٍ هي أبعاضٌ وأجزاءٌ بالنسبة لنا نحن، فهذا جزء، وهذا جزء، وهذا جزء، أبعاضٌ وأجزاء بالنسبة لنا، فأردت نفي ذلك، نفي الجسمية، نقول: هذا لا يجوز، لماذا؟ لأن الله أثبت ذلك لنفسه، وإذا قال: أردت بنفي الجسمية أنه إن كان من أبعاضٍ وأجزاء

فبعضها يفتقر إلى الآخر، ويفتقر إلى من يركّبها، نقول له: قد يكون قصدك صحيحًا، قد يكون -كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- ولكن لا نطلق هذا الاسم، أو هذا الوصف على ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

وكذلك في الجهة، ماذا تقصد بالجهة؟ إن قال: أقصد أنه فوق السماوات نقول: إثبات ذلك حق، وهو الوارد في الكتاب والسنة، وإن قال: أريد أن أنفي الجهة أي أنه متحيزٌ في مكانٍ معينٍ يحيط به نقول: هذا المعنى الصحيح، ولكن لا نسميه جهةً، فنستفصل في الألفاظ المجملة التي لم ترد في كتاب الله ولا في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

- **آخر قاعدةٍ من قواعد أهل السنة والجماعة -والقواعد كثيرة كما قلنا-**: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، ما معنى هذا الكلام؟ الأشعري يقول .. لماذا نركز على الأشعرية؟ لأن المذهب المعتمد في الأزهر هو المذهب الأشعري، ويقولون إنه مذهب أهل السنة والجماعة، فالأشعرية يقولون .. قلنا القاعدة ماذا؟ القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، الأشعرية يقولون: لا نثبت صفة الغضب لله، مع أن الله يغضب، قال النبي -صلى وسلم-: **«إن الله قد غضب غضبًا»**، يعني يوم القيامة **«لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»**، فأثبت لربنا الغضب، هم لا يثبتون الغضب، لماذا لا تثبتون الغضب؟ يقولون: لأن الغضب غليان الدم في العروق، وهذه صفة نقص، لماذا لا تثبتون المحبة؟ لأن المحبة تعني الميل للآخر، وتقتضي المناسبة وهذه صفة نقص، فماذا تثبتون لله؟ يقولون: نثبت له السمع، والبصر، نقول لهم: قد أثبت الله السمع والبصر للمخلوق، قال تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسانَ مِن نُطفَةٍ أَمشاجٍ نَبتَليهِ فَجَعَلناهُ سَميعًا بَصيرًا**﴾[الإنسان: ٢]، فوصف المخلوق بالسمع والبصر، يقولون: ولكن سمع الله وبصره ليس كسمع وبصر المخلوق، قل: وكذلك غضب الله، ومحبة الله، وإرادة الله، وفرح الله ليس كصفات المخلوق، لماذا أثبتم هذه الصفات وأنكرتم الصفات الأخرى؟ لا بد أن تكون القاعدة مطردة؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، وهذا يُرد به على من ينكر بعض الصفات، تدخل عليه من هذا الباب، من إثباته لبعض الصفات، لماذا أثبتها؟ لأنها لا تشبه المخلوق، فكذلك هذه الصفات لا يشبه الخالق -سبحانه وتعالى- فيها المخلوق.

فهذه بعض القواعد التي كان ينبغي أن نقدمها بين يدي هذه الفقرات التي سيذكرها المصنف -رحمه الله- في الكلام على بعض صفات ربنا -سبحانه وتعالى- وهذا ما نبدأ به في الدرس القادم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.

الدرس الرابع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في التعليق على **(اعتقاد أئمة الحديث)** للحافظ أبي أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي -رحمة الله عليه-.

كنا قد تناولنا في الدرس الماضي بعض القواعد التي تتعلق بمبحث الأسماء والصفات، وذلك عند قول المصنف -رحمه الله-: **(ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي سمى، ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف، وأنه -عز وجل- استوى على العرش بلا كيف، فإن الله تعالى أنهى)**، وفي بعض النسخ: (انتهى)، **(فإن الله تعالى انتهى إلى أنه استوى على العرش، ولم يذكر كيف كان استواؤه، وأنه مالك خلقهم وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق، ولا لمعنى دعاه إلى أن خلقهم، لكنه فعال لما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يُسأل عما يفعل والخلق مسئولون عما يفعلون، وأنه مدعو بأسمائه الحسنى وموصوفٌ بصفاته التي سمى، ووصف بها نفسه وسماه، ووصفه بها نبيه -عليه السلام- لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يُوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة، فإنه -عز وجل- تعالى عن ذلك)**.

قال: **(وخلق آدم -عليه السلام- بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف، ولا يُعتقد فيه الأعضاء والجوارح، ولا الطول والعرض، والغلظ والدقة، ونحو هذا مما يكون مثله في الخلق، فإنه ليس كمثله شيء، تبارك وجه ربنا ذي الجلال والإكرام)**.

ثم قال: **(ولا يقولون: إن أسماء الله غير الله كما يقوله المعتزلة والخوارج وطوائف من أهل الأهواء، ويُثبتون أن لله وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرة، وقوة، وعزة، وكلامًا، لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم، ولكن كما قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ**

﴿رَبِّكَ﴾[الرحمن: 27]، وقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء: 166] وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة: 255]، وقال: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: 10]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[الذاريات: 47]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[فصلت: 15]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: 58]، فهو تعالى ذو العلم، والقوة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه: 39]، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[هود: 37]، وقال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة: 6] وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: 164]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: 82]).

وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل: ٤٠].

ثم دخل في باب جديد من أبواب الاعتقاد، وهو الإيمان بالقدر.

إذًا هذه القطعة التي قرأناها كلها تتعلق بمبحث صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ثبتت صفاته المثلى في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأجمع على ذلك سلف هذه الأمة، ونقلنا ذلك فيما سبق.

قال: (**ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى**).

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠]، سمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى ؛ لأنها حسنة في الأسماع والقلوب ؛ فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله، فأمرنا -سبحانه وتعالى- أن ندعوه بأسمائه، فالذي يدعو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يدعوه بأسمائه وصفاته، ولا يجوز له أن يدعوه بخلق من خلقه، أو أن يتوسل إليه بخلق من خلقه، ذلك أن الحُسن الموجود في أسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى- لا يوجد في شيء من خلقه.

وقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي اطلبوا منه بأسمائه ، فيطلب بكل اسم ما يليق به ، تقول : يا رحيم ارحمني ، يا حكيم احكم لي ، يا رازق ارزقني ، يا هاد اهدني، وهذا يدل على أن أسماء الله غير مخلوقة، فإن المخلوق لا يُدعى، وإنما يُدعى ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وتُدعى كذلك سائر أسمائه.

قال: (**موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه**).

فالله -عز وجل- هو الذي سمى نفسه، ووصف نفسه، وهو أعلم بنفسه من خلقه -سبحانه وتعالى- فإذا سمى نفسه باسم من الأسماء أو وصف نفسه بصفة من الصفات ما علينا إلا أن نقول: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، ولا يجوز لنا أن نخوض بعقولنا في هذا الباب، فننفي عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- اسمًا من أسمائه، ولا صفة من صفاته، لأن الأعلم بنفسه -سبحانه وتعالى- هو الذي أخبرنا بذلك.

قال: (**ووصفه بها نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**).

والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو أعلم الخلق بربه، وأنصح الخلق لأمته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصدق الناس خبرًا، اجتمع في النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثلاثة أمور لم تجتمع في أحد من غيره من الخلق، وهو:

- أنه أعلم الخلق بربه -سبحانه وتعالى-.

- وأصدق الناس لهجة -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

- وهو أنصح الناس لهذه الأمة.

ومن ثم اقتضت هذه الأمور قبول كل ما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الخبر.

قال العثيمين -رحمه الله- في (**القواعد المثلى**) قال: "وهكذا نقول فيما أخبر به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الله تعالى، فإن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعلم الناس بربه".

والدليل على ذلك: قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«أما إني أعلمكم بالله»**، فأخبر عن نفسه أنه أعلم الناس بربه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال العثيمين: "وأصدقهم خبرًا"، ووُصف بذلك قبل النبوة، فكان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل النبوة موصوفًا بالصادق الأمين.

قال: "وأنصحهم إرادة وأفصحهم بيانًا"، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنصح الخلق إرادة، بل هو في الحديث قال: «الدين النصيحة»، فجعل النصيحة من أصول الدين، فكان أنصح الخلق لهذه الأمة وأفصحهم بيانًا.

والذي يُدلل على فصاحة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **أمور**:

- آتاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- القرآن ومثله معه، فهو لا ينطق عن الهوى، وإنما هو وحي يُوحى، والوحي معصوم.

- وآتاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- جوامع الكلم، وهذه من خصائص النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول الكلمات اليسيرات التي تحمل المعاني الكثيرة.

- وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- له مبينًا فضله: ﴿**وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُن تَعلَمُ وَكانَ فَضلُ اللَّهِ عَلَيكَ عَظيمًا**﴾[النساء: ١١٣].

فهو أعلم الناس، وأنصح الناس، وأصدق الناس خبرًا، وهو النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واجب علينا أن نأخذ كل ما أخبر به عن ربه -سبحانه وتعالى.

إذًا من خلال هذه القطعة نستطيع أن نقول: إن معرفة الله بأسمائه وصفاته تدور على النص والسمع؛ لأنه ها هنا قال: وصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

والناس لهم طرق أربعة في إثبات صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأسمائه، ذكر هذه الطرق ابن تيمية -رحمه الله- في شرحه على العقيدة الأصفهانية للأصفهاني الأشعري، فذكر تحت قول المصنف: "والدليل على كونه سميعًا بصيرا السمعيات"، فذكر طرق الناس في إثبات صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

أول هذه الطرق: السمع، ما المقصود بالسمع؟ يعني الكتاب والسنة، فأول طريق من طرق إثبات الأسماء والصفات: الكتاب والسنة، فالكتاب والسنة مليئان بذكر الأسماء والصفات، ومن ذلك: السمع والبصر، فجاء في كثير من الآيات وصف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بأنه يسمع، ويرى،

ويُبصر، وأنه –سبحانه وتعالى– سميع عليم، قال: ﴿وَإِمّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزغٌ فَاستَعِذ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَميعٌ عَليمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠].

قال: وفي موضع آخر: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ﴾[الأنفال: ٦١]، وقال لموسى وهارون: ﴿إِنَّني مَعَكُما أَسمَعُ وَأَرى﴾[طه: ٤٦]، ولما قرأ النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهلِها وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَميعًا بَصيرًا﴾[النساء: ٥٨] وضع النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إبهامه على أذنه، وسبابته على عينيه، لما قرأ النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ سَميعًا بَصيرًا﴾ هكذا فعل النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بيده الشريفة، وأراد النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ها هنا تحقيق الصفة، لا تمثيل الخالق بالمخلوق.

قال: فلو كان السمع والبصر بمعنى العلم العلم لم يصح ذلك، لماذا؟ لأن المعتزلة يردون كل الصفات الواردة لله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– إلى صفة العلم، والنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ها هنا في هذه الآية قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ سَميعًا بَصيرًا﴾، ما أراد أن يُشبه الخالق بالمخلوق، ولكن أراد أن يقول لنا: إن الصفة على حقيقتها، وأما الكيف فلا نعلمه، هذا هو الطريق الأول.

الطريق الثاني: أن الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– لو لم يتصف بهذه الصفات لاتصف بضدها، وهذا نقص لا كمال فيه، إذًا هذا هو الطريق الثاني، أن الله لو لم يتصف بهذه الصفات لاتصف بضدها، يعني الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– وصف نفسه في كتابه بالسمع، والبصر، والكلام، والحياة، والقدرة، وغير ذلك، لو لم يتصف ربنا –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– بهذه الصفات لاتصف بضدها، فاتصف بالعمى، وبالصمم، واتصف بالموت، والعجز، وغير ذلك، فهذا هو الطريق الثاني، أن الله لو لم يتصف بهذه الصفات لاتصف بضدها سبحانه وتعالى

الطريق الثالث: أن هذه الصفات لما كانت كمالًا في المخلوق من غير نقص كانت في الخالق من باب أولى، وهو الذي يُسمى بقياس الأولى، الكلام بالنسبة للمخلوق كمال، والقدرة بالنسبة للمخلوق كمال، والسمع والبصر بالنسبة للمخلوق كمال، فإذا كانت كمالًا في المخلوق فهي في الخالق من باب أولى، وهذا الذي ذكره الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– في كتابه، بقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعلى﴾[النحل: ٦٠]، وهذا هو القياس الذي يصح في حق الله، فالقياس الذي

يصح في حق الله هو قياس الأولى، ما المقصود بقياس الأولى؟ كل كما ثبت للمخلوق من غير وجه نقص فالخالق أولى به، وكل نقص ثبت للمخلوق من غير وجه كمال يتنزه عنه المخلوق فالخالق أولى أن يتنزه عنه.

والطريق الرابع في إثبات الصفات خاصة: أن الأسماء إذا كانت أعلامًا وجامدات لا تدل على معنى لم يكن فرق فيها بين اسم واسم، فلا يُلحد أحد في اسم دون اسم، ولا ينكر عاقل اسمًا دون اسم، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه، وإنما امتنعوا عن بعضهم، ما معنى هذا الكلام؟

لو قلنا كما تقول المعتزلة بأن الأسماء هي التي تثبت لله دون الصفات، فنقول: الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، لو قلنا ذلك لكانت أسماء الله كلها واحدة، متساوية، مترادفة، ولما امتنع المشركون عن تسمية الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ببعض الأسماء، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما قال لعلي بن أبي طالب في صلح الحديبية: «اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ» ماذا قال سهيل بن عمرو؟ ما ندري ما الرحمان، ولكن اكتب باسمك اللهم، والله -عز وجل- أخبر عنهم في القرآن، قال: ﴿وَهُم يَكفُرُونَ بِالرَّحمنِ﴾[الرعد: ٣٠]، فلما أنكر المشركون وصف الله أو تسمية الله بالرحمن دل ذلك على أن هذه الأسماء قد اشتملت على صفات تدل عليها.

ولذلك قال المصنف -رحمه الله- بعد ذلك ليُبين أننا لا نثبت الأسماء دون الصفات، قال: (**فهو تعالى ذو العلم، والقدرة، والقوة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك**).

فهذه هي الطرق التي تثبت بها صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

قال: (**خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف**).

إذًا في هذه القطعة يتكلم المصنف -رحمه الله- عن إثبات اليد لله -سبحانه وتعالى-.

(**وربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- له يدان تليقان به،** ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، **ولا تؤول اليد بالنعمة ولا القدرة، خلافًا لأهل الكلام والبدع**)،

لماذا؟ لأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لما أخبرنا أن له يدين وجب أن نثبت ما أثبته الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لنفسه والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبرنا بذلك والإجماع قام على ذلك.

إذًا إثبات اليدين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قام الدليل عليه من الكتاب والسنة والإجماع، السنة أثبتت أن لله يدين، والإجماع قام على ذلك، نقله غير واحد من أهل العلم في كتب الاعتقاد، وقبل ذلك قال الله -عز وجل- لإبليس: ﴿ما مَنَعَكَ أَن تَسجُدَ لِما خَلَقتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، هذا أولًا.

الذي يدل على أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- له يدان كذلك: أنه يستحيل أن نؤول اليد بالنعمة أو القدرة فيما وصف تعالى به نفسه، لماذا؟ لأنه ليس من المعهود تثنية القدرة والنعمة، مع الإضافة، وبيان ذلك أنه لما قال الله -عز وجل- لإبليس: ﴿ما مَنَعَكَ أَن تَسجُدَ لِما خَلَقتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، هذه تثنية اليد، فهل لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قدرتان فقط؟ هل لله نعمتان فقط؟ لا، الله -عز وجل- قال: ﴿وَإِن تَعُدّوا نِعمَةَ اللَّهِ لا تُحصوها﴾[النحل: ١٨]، فليس من المعهود تثنية القدرة والنعمة.

ومما يرد ذلك كذلك: أن اليد إن جاءت بمعنى القدرة أو النعمة مضافة فإنها لا تستعمل كذلك إلا في حق من له يد حقيقية، لو قلت: (لفلان عليَّ يد) ما أردت أن له يدًا فوق كتفك، وإنما أردت أن له فضلًا عليك ونعمة، صحيح؟ إذًا اليد من الممكن أن تأتي بمعنى النعمة، فلان هذا ذو يد، أي: ذو قدرة وقوة ولكن لا تُضاف اليد التي هي بمعنى النعمة أو القدرة إلا لمن كان صاحب يد حقيقية، يعني لا أستطيع أن أقول: للجدار هذا عليَّ يد، لهذا المقعد عليَّ يد، لأنه ليس له يد حقيقية، وإنما تُضاف لمن له يد حقيقية، صحيح؟ طيب.

ونقول أيضا: إن هذا يُبطل تخصيص آدم بذلك، لو قلنا: إن اليد بمعنى القدرة، الله -عز وجل- خلق كل شيء بقدرته -سبحانه وتعالى- فلماذا خص آدم بذكر اليدين؟ فدل ذلك على أن خلق آدم مغاير لخلق سائر ما خلقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

والخلق يأتون آدم- عليه السلام- يوم القيامة يقولون: خلقك الله بيده، وفي محاجة آدم لموسى موسى يقول: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، صحيح؟ فدل ذلك على أن اليد ليست بمعنى القدرة.

كذلك -وهذا من أقوى الوجوه-: أن اليد قد وُصفت بأوصاف في الكتاب والسنة تمنع تأويلها بالنعمة والقدرة، فمن ذلك: القبض، والبسط، والأصابع، والطي، «**يطوي الله السماوات بيمينه**»، «**يقبض الله سماواته بيمينه، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن، ويقول: أنا الملك**»، الحبر لما جاء إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: يا مُحَمَّد، إن الله يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، فأثبت الإصبع.

وأثبتنا الطي، عائشة أخبرت عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال في المتصدق بالصدقة قال: «**هذه الصدقة تقع في كف الرحمن قبل أن تقع في كف المتصدق عليه**»، فأثبت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الكف للرحمن.

وكذلك الأنامل في حديث الصورة، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فوجدت برد أنامله**»، فتُوصف اليد بالأنامل، والأصابع، والطي، والبسط، والقبض، كل ذلك يمنع تأويلها بالنعمة والقدرة.

ولذلك أهل السنة يقولون: يد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يد حقيقية، ﴿**لَيسَ كَمثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ**﴾[الشورى: ١١].

قال: (**ويداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف**).

لا نعرف كيفية صفات الله -سبحانه وتعالى- لأنه:

- لم يأتنا خبر مُصدق عن معصوم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما جاء في القرآن والسنة بيان كيفية الصفات،
- ولن نرى ربنا -سبحانه وتعالى- «**اعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت**»،
- ولم نرى مثيلًا له -سبحانه وتعالى- ﴿**لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ**﴾[الشورى: ١١]، ﴿**هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم: ٦٥]، ﴿**وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا**

أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٤]، فهذه الأمور الثلاثة تجعلنا لا نُكيف صفات ربنا -سبحانه وتعالى- لكن هل للصفات كيف؟ نعم، الصفات لها كيف، ولكنا لا نعلم هذا الكيف لهذه الأمور الثلاثة التي ذكرناها.

وقوله: **(بلا اعتقاد كيف)** مأخوذ من هذه القاعدة السامية التي وضعها لنا الإمام مالك -رحمه الله- في جوابه المسدد لما سُئل عن الاستواء، قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، ولك أن تستبدل الاستواء بكل صفة من صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- اليد معلومة، وكيفها غير معقول، لا تدركه العقول، صحيح؟ والإيمان بالكيف والمعنى واجب، والسؤال عن الكيف بدعة، وهذا في سائر الصفات.

قال: **(وأنه -عز وجل- استوى على العرش بلا كيف، فإن الله تعالى انتهى إلى أنه استوى على العرش، ولم يذكر كيف كان استواؤه).**

استواء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على العرش معناه: العلو والارتفاع، فالاستواء بمعنى: العلو والارتفاع، هذا هو المعروف في لغة العرب، والقرآن نزل بلسان عربي.

والقرآن تفسيره على وجوه أربعة، من القرآن ما يعلمه جميع الناس، لأنه نزل بلسان العرب، لا يحتاج إلى تفسير، كالألفاظ الواردة في القرآن، كالاستواء، والأرض، والسماء، والقمر، وغير ذلك من الأمور، هذه ما تحتاج أن يتعرض لها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمن ذلك: الاستواء، ما المقصود بالاستواء في لسان العرب؟ المقصود به: العلو والارتفاع، هذا هو المعروف في لسان العرب.

ثم إن هذا الاستواء ورد في آيات سبعة، في كل الآيات يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى﴾[طه: ٥]، ﴿ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ﴾[الأعراف: ٥٤]، هذه الآيات السبعة ما جاءت إلا بلفظة الاستواء، فلو كان الاستواء في موضع من هذه المواضع بخلاف المعنى المعهود في لسان العرب لذكره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولما تركه مجملًا.

ولذلك ابن القيم -رحمه الله- له كلمة طيبة في صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: "إن الصفات من باب النص لا من باب الظاهر"؛ لأن الظاهر هو الذي احتمل معنيين هو في

أحدهما أرجح من الآخر، وهذا هو الباب الذي ولج منه المبتدعة، فقالوا: إن اليد بمعنى النعمة والقدرة، وبمعنى اليد الحقيقة، صحيح؟ فهناك معنى راجح ومعنى مرجوح، المعنى الراجح المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق اليد الحقيقية، ولكن لما استحال أن نُثبت لله يدًا حقيقية تُشبه يد المخلوقين أوَّلناها إلى النعمة أو القدرة، قالوا: لأن اللفظ من باب الظاهر!!

ابن القيم –رحمه الله– يقول: لا، صفات الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– ليست من باب الظاهر، وإنما هي من باب النص، لماذا؟ قال: لأن النص يُعرَف بأمور، من هذه الأمور: الاستعمال المضطرد، الذي لم يتغير لا في الكتاب ولا في السنة، ما هو الاستعمال المضطرد؟ يعني الاستعمال المستمر، فاستُعملت هذه الصفات في الكتاب والسنة بشكل مضطرد في حقيقة الصفة، لا فيما تُؤول به من نعمة، وقدرة، وحفظ، ورعاية، وغير ذلك، فدل ذلك على أن صفات الرب من باب النص لا من باب الظاهر؛ لأنها لو كانت من باب الظاهر لذُكرت في موضع من المواضع بالمعنى الآخر، فلما لم تُذكَر بالمعنى الآخر دل ذلك على أن ذلك نص في حقيقتها.

وأما ما استدل به أهل البدع من نفي الاستواء من بيت شعر مجهول لا تُعرف نسبته، أو من الممكن أن نؤوله بما لا يخالف اعتقادنا الصحيح، أو بأوهام قامت في عقولهم، فكل ذلك مردود؛ لأن الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– هو الذي أخبرنا عن نفسه، فهذا أسلم، فطريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، لأن الخلف يقولون: طريقة السلف أسلم، كأن السلف كانوا لا يفقهون شيئًا، كأنك لو قلت لهم: ما معنى ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى﴾[طه: ٥]؟ أعجمي لا يفهم، فجاء الخلفي ففهم ما لم يفهمه السلف، فقالوا: وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فجهَّلوا السلف، وجعلوا أنفسهم أعلى حكمة وعلما من السلف، طيب، قالوا: طريقة السلف أسلم، وهل تكون الطريقة أسلم إلا إذا كانت أعلم وأحكم؟! فقولهم متناقض.

قال ها هنا: (**وأنه –عز وجل– استوى على العرش بلا كيف، فإن الله تعالى انتهى إلى أنه استوى على العرش**).

ما معنى قوله: (**انتهى إلى أنه استوى على العرش**)؟ أي أن الاستواء وقع بعد خلقه للعرش، فالاستواء أخص من العلو، فالله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– استوى بعد أن لم يكن مستويًا، فالاستواء

صفة فعل، صحيح؟ الاستواء صفة فعل ، وأما العلو فهو صفة ذات، فالاستواء من هذه البابة أخص من العلو، وهذا معنى قوله: **(إن الله انتهى إلى أنه استوى على العرش)**.

ولذلك في سورة البقرة قال: ﴿ثُمَّ استَوى إِلَى السَّماءِ﴾[البقرة: ٢٩]، و "ثم" تفيد التراخي، فدل ذلك على استوائه بعد العرش بعد أن لم يكن مستويًا –سبحانه وتعالى–.

قال: **(ولم يذكر كيف كان استواؤه)**.

قال: **(وأنه مالك خلقه وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق)**.

لأنه هو الغني الحميد –سبحانه وتعالى–.

(ولا لمعنى دعاه إلى أن خلقهم).

لا يريد المؤلف –رحمه الله– في هذه القطعة نفي التعليل لأفعال العباد –سبحانه وتعالى– كما تقول الجهمية الأشعرية، أو أن الحكمة مخلوقة كما تقول المعتزلة؛ لأن الله تعالى أثبت التعليل في مواضع كثيرة من كتابه، وأجلها قوله تعالى: ﴿وَما خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعبُدونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، فبيَّن العلة التي من أجلها خلق الخلق، فإن أراد هذا المعنى نفي التعليل فهو خطأ، وإن أراد المعنى الآخر أنه ما خلقهم لحاجة إليهم فهذا المعنى صحيح.

قال: **(لكنه فعَّال لما يشاء)**.

فهو سبحانه فعَّال لما يشاء، وفي نفس الوقت يفعل لعلة وحكمة –سبحانه وتعالى–.

(ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل، والخلق مسؤولون عما يفعلون، وأنه مدعو بأسمائه الحسنى، وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، وسماه ووصفه بها نبيه –عليه السلام–).

وهذا مضى.

قال: **(ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء)**.

هكذا أخبر عن نفسه؛ لأنه القوي المقتدر سبحانه وتعالى.

(ولا يُوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة، فإن الله –عز وجل– تعالى عن ذلك).

فلا تجد وصف نقص أو عيب أو آفة في صفات ربنا –سبحانه وتعالى–.

ولذلك له الأسماء الحسنى والصفات العليا، أي: التي بلغت الكمال في الحسن والعلو والمثالية –سبحانه وتعالى– لا منتهى لحسنها، فلا يُوصف ربنا –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– بصفات فيها نقص، أو فيها عيب، أو فيها آفة.

ولذلك قال ابن القيم في البدائع قال: "إن الصفات ثلاثة أنواع"، الصفات التي يُوصف بها ثلاثة أنواع:

- "صفات كمال"، كالحلم، والرأفة، والغنى، والقوة، هذه صفات كمال، لا نقص فيها،
- "وصفات نقص"، كالجبن، والبخل،
- "وصفات لا تقتضي كمالًا ولا نقصًا".
- والقسمة التقديرية تقتضي قسمًا رابعًا، وهو: ما يكون كمالًا ونقصًا باعتبارين، فالصفات: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالًا ولا نقصًا، وصفات تقتضي كمالًا ونقصًا باعتبار.

قال: "والرب تعالى مُنزه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول"، ما القسم الأول؟ صفات كمال لا نقص فيها.

قال: "وصفاته كلها كمال محض، وله من الكمال أكمله"، فالله –عز وجل– صفاته كلها كمال، والكمال درجات، ليس درجة واحدة، فالله له من الكمال أكمله وأعلاه.

ولذلك قال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسنَى﴾ ما قال: ولله الأسماء الحسنة، وإنما قال: ﴿الحُسنَى﴾، و "الحسنى" مؤنث أحسن، وأحسن أفعل تفضيل، فهي أحسن من غيرها، فصفات الله أكمل من غيرها، بلغت في الكمال أكمله وأعلاه .

قال: (**ولا يُوصف بما فيه نقص**).

أما الصفات التي تحتمل كمالًا من وجه ونقصًا من وجه فهذه لا تُطلق، وإنما يُوصَف الله بها على وجه التقييد، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾[الأنفال: ٣٠]، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق: ١٥-١٦]، لا تُطلق هذه الصفات، وإنما هي صفات مقيدة، الله يمكر بمن مكر بالمسلمين، ويخادع من خادع عباده المؤمنين، ويستهزئ بمن استهزأ بهم، وأما الخيانة فلا يُوصف بها -سبحانه وتعالى- لأنها صفة ذم ونقص من كل وجه.

قال: (**وخلق آدم -عليه السلام- بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**).

بعض الفقرات تتكرر، لعلها من النُساخ، ونفقته سبحانه لا تنقطع ويده ملأى، وخزائنه لا تنفد، ومن ثم كان إنفاقه كما يشاء ربي سبحانه.

(**بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف**).

وهذا فيه إثبات النطق لله -سبحانه وتعالى-؛ إذ إن كتابه كلامه سبحانه.

قال: (**ولا يُعتقد فيه الأعضاء والجوارح، ولا الطول والعرض، والغلظ والدقة، ونحو هذا مما يكون مثله في الخلق، فإنه ليس كمثله شيء**).

هذا النفي المفصل الذي ذكره المصنف ها هنا مما يُعاب على هذه الرسالة المباركة؛ لأن هذه الطريقة ليست طريقة السلف، فطريقة السلف وطريقة القرآن النفي المجمل والإثبات المفصل، والشرع لم يُفصل في النفي إلا في موضعين:

أما الموضع الأول: ففي نفي ما ادعاه الكاذبون المفترون في حقه، فإذا ادعى مدعٍ أن لله ولدًا، وأن لله زوجة، أو أنه وُلد، أو ادعى غير ذلك، يأتي النفي رادًا على هؤلاء، يأتي التفصيل، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾، هذا نفي مجمل، وأما نفي كل شيء أو كل صفة على حدة هذا نفي مُفصل، صحيح؟ متى يُؤتى بهذا النفي المفصل؟ في رد ما ادعاه المفترون على الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَم يَلِد وَلَم يولَد * وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١-٤].

والموضع الثاني: لدفع توهم النقص في كماله، يأتي النفي مفصلًا لدفع توهم النقص في كماله، فخلْقُ السماوات والأرض في ستة أيام أمر عظيم، ودليل على الكمال، ولكن قد يتوهم المتوهم أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في هذه المدة تعب وكلَّ -سبحانه وتعالى- قد يرد هذا الوهم وهذا الخاطر يُلقيه الشيطان في ذهن بعض الناس، كما يقول اليهود عن ربنا -سبحانه وتعالى- يقولون إنه بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام ارتاح في اليوم السابع، ويجعلون يوم السبت يوم العطلة والراحة، فقال الله -عز وجل-: ﴿وَلَقَد خَلَقنَا السَّماواتِ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما في سِتَّةِ أَيّامٍ وَما مَسَّنا مِن لُغوبٍ﴾[ق: ٣٨]، هذا نفي مفصل في هذه الجزئية، لماذا؟ لدفع توهم النقص في كماله -سبحانه وتعالى-.

إذًا الأصل في الشرع: أن يكون النفي مُجملًا، وأن يكون الإثبات مُفصلًا إلا في الموضعين المذكورين يكون فيهما النفي مُفصلًا، هذا أولًا.

الأمر الآخر الذي يؤخذ على المصنِّف ها هنا: أن هذه الألفاظ التي استخدمها ألفاظ مُوهمة مجملة، تحتمل الحق والباطل، يعني وصف الله بالجسم، هل لله جسم؟ هذا لا يُنفى ولا يُثبت، وإنما يُستفسَر: ما الذي تريده بالجسم؟ أجزاء وأبعاض يفتقر بعضها إلى بعض؟ فهذا يُنفَى عن الله -عز وجل- طيب، تريد السمع والبصر والعين وغير ذلك؟ هذا مما يُثبت، ولكن ليس بهذا الطريق، فهذا اللفظ يحتمل المعنى الحق والمعنى الباطل، والألفاظ الموهمة ينبغي أن نجتنبها، كلفظة الجسم، والعرض، والحيز، وغيره ذلك، فلا يُقال بمثل الأعضاء، والجوارح، والطول، والعرض، والغِلظ، والدقة، والحيز، وغير ذلك.

وهذه العبارات لم ترد في الكتاب والسنة، وهي عبارات مُحدثة، لم يستخدمها السلف الصالح، وهم أهل البيان والفصاحة، وإنما استخدمها النُفاة المعطلة الذين درجوا على النفي المفصل للصفات والإثبات المجمل لها، فكان الأولى بالمصنف أن يستغني عنها وأن يسلك منهج السلف في الإثبات المفصل والنفي المجمل.

والمصنف له حكاية ذكرها الإمام الشاطبي في كتابه **(الاعتصام)** تبين أنه لم يكن مهتمًا بعلم العقيدة ودراسته على طريقة السلف، كما كان مهتمًا بالحديث والفقه، وأنه لما وقعت له مناظرة مع بعض الناس وتذكر قول بعضهم واستدلال بعضهم بطريقة المتكلمين كأنه عاب على نفسه أنه

لم يكن مشتغلًا بعلم الكلام، فكأنه لما أراد أن يتعلم هذا العلم –علم الاعتقاد– أصابه بعض شوائب علم الكلام، فكان منها هذا الأمر.

قلنا: وهذه ليست طريقة السلف، ومثل هذه الألفاظ يُستفصل عنها.

قال: (**ولا يقولون إن أسماء الله غير الله، كما يقوله المعتزلة، والخوارج، وطوائف من أهل البدع**)، وفي نسخة: (**ولا يقولون إن أسماء الله مخلوقة**)، عندكم (**ولا يقولون إن أسماء الله غير الله كما يقوله المعتزلة، والخوارج، وطوائف من أهل البدع**).

هذه المسألة تُسمى بمسألة الاسم والمسمى، وهذه المسألة لم تكن معروفة عند المتقدمين، أي: هل أسماء الله هي الله أم غير الله؟ إن قلنا إن أسماء الله هي الله فهل الألف واللام والراء والحاء والميم والنون "الرحمن" هذه الحروف هي الله؟ وإن قلنا إنها غير الله، فكيف نقول: يا الله، يا رحمن؟ ننادي الحروف، والحروف مخلوقة، فأُثيرت هذه المسألة، وكل مسألة لم يُثرها السلف لا تجد فيها غالباً خيرًا، وإن تكلم بها من تكلم بعد ذلك ممن انتسب لأهل السنة؛ لأن هذه المسألة وإن أثارها المعتزلة فقالوا إن أسماء الله غير الله ويريدون بذلك أن أسماء الله مخلوقة، فتكلم من تكلم من أهل السنة، منهم من يقول: أسماء الله هي الله، وأسماء الله غير الله، والصحيح من ذلك أن نقول ما قال به القرآن، ففيه الغَناء والشفاء، ماذا قال القرآن؟ اقرأ الآية، ﴿**وَلِلَّهِ الأَسماءُ الحُسنى فَادعُوهُ بِهَا**﴾، اقرأ الحديث، «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**».

إذًا القول الصحيح: أن الاسماء لله، لا نقول هي الله، ولا هي غير الله، قال: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسماءُ الحُسنَى**﴾، وقال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**»، واللام ها هنا للاستحقاق، فلا نقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى، وإنما نقول: الاسم للمسمى.

قال الشافعي والأصمعي: "إذا رأيت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة"، يريد بذلك أن الذي يقول الاسم غير المسمى يريد أن يقول إن أسماء الله مخلوقة، وليست لله، ولكن كما قلنا الصحيح أن نقول أن الأسماء لله.

الدرس الخامس

بسم الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في التعليق على الرسالة النافعة في اعتقاد أئمة الحديث للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي –رحمة الله عليه–.

قال –رحمه الله– عن أهل السنة والجماعة: **(ولا يقولون: إن أسماء الله غير الله كما يقوله المعتزلة والخوارج وطوائف من أهل الأهواء، ويُثبتون أن لله وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرة، وقوة، وعزة، وكلامًا، لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم، ولكن كما قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن: 27]، وقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء: 166] وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة: 255]، وقال: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: 10]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[الذاريات: 47]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[فصلت: 15]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: 58]، فهو تعالى ذو العلم، والقوة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه: 39]، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[هود: 37]، وقال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة: 6] وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: 164]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: 82]).**

هذه هي القطعة التي ختم بها المصنف –رحمه الله– الكلام على أسماء الله وصفاته، ففي هذه القطعة يتكلم عما يعتقده أهل السنة والجماعة من إثبات صفة الوجه، والسمع، والبصر، والعلم، وغير ذلك لله –سبحانه وتعالى– وهذه الصفات صفات خبرية، أي: إن طريق العلم بها هو الخبر الوارد في كتاب الله وفي سنة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فالوجه صفة ثابتة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كما استشهد ها هنا بقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، فربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- موصوف بأن له وجهًا يليق به، هذه الصفة جاءت في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقام عليها إجماع الأمة، أما الكتاب ففي هذه الآية: ﴿وَيَبقى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكرامِ﴾[الرحمن: ٢٧]، وهذا النعت ﴿ذُو الجَلالِ وَالإِكرامِ﴾ مصروف للوجه لا لربنا -سبحانه وتعالى- وأما ﴿تَبارَكَ اسمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ وَالإِكرامِ﴾[الرحمن: ٧٨] فهذا موصوف به ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أما الوصف بذي الجلال والإكرام هذا للوجه، لأنه قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، ف "وجه" مرفوع على الفاعلية، والصفة كذلك مرفوعة، بخلاف "ربك"، فهي مجرورة بالإضافة.

وأما في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد جاء في صحيح مسلم وغيره أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، يُرفَع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، ويُرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه**»، فأثبت نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجهًا لربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهو أعلم الخلق بربه، قال: «**لأحرقت سُبحات وجهه**» أي: أنوار وجهه، «**ما انتهى إليه بصره من خلقه**»، فأثبت الوجه، وأثبت البصر له -سبحانه وتعالى-.

وأما الإجماع: فهو مذكور في كتب الاعتقاد التي ألَّفها أهل العلم.

ولا يُقال ها هنا: إن الوجه مجاز عن الثواب، كما يقول المعطلة، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ويبقى ثواب ربك، فيُعطلون صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الخبرية، أو يؤولونها، يحرفونها، فيقولون في مثل هذه الآيات والأحاديث: إن المراد بالوجه: الثواب، وهذا باطل، لماذا؟ لأنه لا يُعرف في لغة العرب، هذا أولًا.

والثاني: لأن الثواب مخلوق، وقد كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «أعوذ بوجهك»، لما أنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿قُل هُوَ القادِرُ عَلى أَن يَبعَثَ عَلَيكُم عَذابًا مِن فَوقِكُم أَو مِن تَحتِ أَرجُلِكُم أَو يَلبِسَكُم شِيَعًا وَيُذيقَ بَعضَكُم بَأسَ بَعضٍ﴾[الأنعام: ٦٥]، كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو يسمع هذه الآيات ويقرأها يقول: «**أعوذ بوجهك**»،

فإذا كان تفسير الوجه بالثواب أدى ذلك إلى استعاذة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمخلوق، ولا تجوز الاستعاذة بالمخلوق، لا يجوز للإنسان أن يستعيذ بمخلوق، وإنما يستعيذ بالخالق وبصفاته -سبحانه وتعالى- فلا نُؤول الوجه بالثواب.

قال: (**وسمعا وبصرا**)، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- له سمع وبصر يليق به، أثبتهما النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الحقيقة، لما قرأ قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهلِها وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَميعًا بَصيرًا**﴾[النساء: ٥٨]، ماذا صنع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما يذكر الصحابي الجليل أبو هريرة؟ وضع إبهامه على أذنه، على سمعه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ووضع السبابة أو السباحة على عينه الشريفة -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أراد أن يُثبت السمع والبصر الحقيقي لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وما أراد ذِكر الكيفية.

فجمع ها هنا بين السمع والبصر لأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كثيرًا ما يجمع بينهما في كتابه، يجمع بين السمع والبصر، أو بين فعل السمع والبصر، قال: ﴿**إِنَّني مَعَكُما أَسمَعُ وَأَرى**﴾[طه: ٤٦]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ كانَ سَميعًا بَصيرًا**﴾، يجمع بينهما ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهكذا أو كذلك جمع بينهما ها هنا.

وسمع الله وبصره -سبحانه وتعالى- يختلف عن سمع وبصر المخلوقات؛ لأن ذات الله تفارق ذات المخلوق، كما أن صفاته -سبحانه وتعالى- لا تماثل صفات المخلوق، فالله تعالى سميع لأصوات الخلق، مُبصر لحركاتهم، لا تختلف عليه أصواتهم، ولا يشغله سمع عن سمع، فهو سميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، سرها وجهرها، الله -عَزَّ وَجَلَّ- سميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات.

ولك أن تتدبر في حال الناس يوم عرفة، يقف الناس فوق عرفة، بكم لغة يتكلمون ويُناجون ربهم تبارك في وقت واحد بلغات لا يعلم عددها إلا الله -سبحانه وتعالى- والله يسمع كل هذه الأصوات، ولا تختلف عليه، ويُلبي الحاجات على اختلاف هذه الأصوات -سبحانه وتعالى-؟!

وهو كذلك مُبصر لكل شيء دق أو جلَّ، يُبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، يُبصر ذلك -سبحانه وتعالى- ويسمعه -سبحانه وتعالى-.

بل إن عائشة -رضي الله عنها- تحكي لنا قصة عجيبة في قصة المرأة التي جاءت تُظاهر من زوجها، وتجلس هذه المرأة مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حجرة ضيقة، وعائشة تسمع بعض الكلام ويخفى عليها بعضه، ومع ذلك يُنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿قَد سَمِعَ اللَّهُ قَولَ الَّتي تُجادِلُكَ في زَوجِها وَتَشتَكي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسمَعُ تَحاوُرَكُما إِنَّ اللَّهَ سَميعٌ بَصيرٌ﴾[المجادلة: ١]، انظر كم من المؤكدات في هذه الآية على سعة سمع الله وبصره -سبحانه وتعالى- قال: ﴿قَد سَمِعَ﴾، و "قد" تفيد التحقيق والتوكيد، ﴿قَد سَمِعَ﴾ والفعل الماضي كذلك يفيد تحقق وقوع الأمر، ﴿قَد سَمِعَ اللَّهُ قَولَ الَّتي تُجادِلُكَ في زَوجِها وَتَشتَكي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسمَعُ﴾ ثم جاء في آخر الآية وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَميعٌ﴾، فجاء بالفعل الماضي، والفعل المضارع، وجاء بالاسم الدال على ثبوت الاسم والصفة له -سبحانه وتعالى- وأكد هذا الاسم بأن جاء به في جملة اسمية، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَميعٌ بَصيرٌ﴾، فهو -سبحانه وتعالى- سميع بصير، لا يختلف عليه شيء.

وأما علمه: قال: **(وعلمًا)**، وأما علمه -سبحانه وتعالى- فعلمه محيط بكل شيء، قال: ﴿رَبَّنا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا﴾[غافر: ٧]، وكل هذه لا مُخصص لها ولا مُقيد، فكل ما يصدق عليه وصف الشيء يصل إليه علم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بل علمه يتعلق بالممكنات والمستحيلات، أي: بالأمور التي لم تقع يعلم لو وقعت كيف كانت ستكون -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَلَو تَرى إِذ وُقِفوا عَلَى النّارِ فَقالوا يا لَيتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكونَ مِنَ المُؤمِنينَ﴾[الأنعام: ٢٧]، فقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَو رُدّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنهُ﴾ قال: ﴿بَل بَدا لَهُم ما كانوا يُخفونَ مِن قَبلُ وَلَو رُدّوا لَعادوا لِما نُهوا عَنهُ وَإِنَّهُم لَكاذِبونَ﴾[الأنعام: ٢٨]، مع أن الله لم يردهم -سبحانه وتعالى- وقال: ﴿وَلَو رُدّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنهُ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿قالَ رَبِّ ارجِعونِ * لَعَلّي أَعمَلُ صالِحًا فيما تَرَكتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، أي: لو رُد لما رجع وعاد للعمل الصالح، وإنما يبقى حاله هو هو، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- علمه يتعلق بكل شيء.

ولذلك جاءت هذه الصفات -أعني العلم والقدرة والقوة- في كليات في القرآن، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ﴾[الأنفال: ٧٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾[البقرة: ٢٠] -سبحانه وتعالى- جاءت من غير مخصصات لها، فعلمه وقدرته -سبحانه وتعالى- من الصفات الشاملة التي لا تخصيص لها -سبحانه وتعالى-.

بل يعلم هاجس الخواطر في القلوب، كما يقول ابن القيم -رحمه الله-:

وهو الرقيب على الخواطر وال ...... لواحظ كيف ذي الأفعال ذي الأركان

يعلم ما يخطر في القلوب مما لا تطلع عليه الملائكة" -سبحانه وتعالى-.

قال في آية عظيمة لو تدبرنا هذه الآية لفتحت لنا مجالًا عظيمًا في الخشوع وفي المراقبة، قال: ﴿وَعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إِلّا هُوَ وَيَعلَمُ ما فِي البَرِّ وَالبَحرِ﴾، وضع تحت كلمة "ما" ألف خط، لأنها اسم موصول، فهذه تدل على العموم، ﴿وَيَعلَمُ ما فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا يَعلَمُها﴾[الأنعام: ٥٩]، ما قال: وما تسقط ورقة، قال: ﴿وَما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾، فهذه "من" إذا جاءت قبل النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط فإنها نص في العموم، فعلمه -سبحانه وتعالى- متعلق بكل شيء.

قال: **(وقدرة وقوة)**، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كامل القدرة، وكامل القوة، كمالًا لم يُخصَّص ولم يُقيَّد في الشرع، لا يُعجزه شيء -سبحانه وتعالى- قال تعالى عن نفسه: ﴿ما مِن دابَّةٍ إِلّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبّي عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[هود: ٥٦]، ما من دابة إلا وهو يحكمها ويتصرف فيها -سبحانه وتعالى- وقال: ﴿إِنَّما أَمرُهُ إِذا أَرادَ شَيئًا أَن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾[يس: ٨٢]، بهذه الكلمة التي هي من حرفين يكون أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نافذًا واقعًا، فأمره بعد الكاف والنون وليس بين الكاف والنون، لأن بعض الناس يُخطئ ويقول: يا من أمره بين الكاف والنون، وهذا خطأ، لأن بين الكاف والنون الأمر لم يكتمل، وإنما يكتمل الأمر بعد خروج الكلمة "كن" بعد الكاف والنون، فأمره -سبحانه وتعالى- بعد الكاف والنون.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾[البقرة: ٢٠]، فقدرته مطلقة -سبحانه وتعالى- لا مُخصص لها، ومن أراد كذلك أن يعلم قدرة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأنه لا يُعجزه شيء فعليه أن

يقرأ أشرف حديث لأهل الشام، وهو الحديث الذي يرويه أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن رب العزة، **«يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرمًا، فلا تظالموا.....».الحديث**

في هذا الحديث يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: **«يا عبادي»**، في رواية أحمد يقول: **«لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم، وجنكم، وصغيركم، وكبيركم، وعيّيكم، وبيّنكم، اجتمعوا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندي شيئًا، إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر»**، هل يرجع بشيء؟ فهذا يدل على كمال قدرته وقوته وغناه -سبحانه وتعالى-.

قال: **(وعزة وكلامًا)**، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- موصوف بالعزة، ومن أسمائه: العزيز -سبحانه وتعالى- وله جميع معاني العزة، وهي ثلاثة:

- له عزة القوة.

- وعزة الامتناع.

- وعزة القهر.

ولذلك قال في الكتاب: ﴿**فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾[النساء: ١٣٩]، أي: جميع أنواع العزة لله -سبحانه وتعالى- فله عزة القوة، فهو عزيز لكمال قدرته وقوته -سبحانه وتعالى-.

وله عزة الامتناع، فلا يُغالبه أحد، ولا يبلغ ضره أو نفعه أحد، يمتنع عن أن يُغلَب أو أن يُضَر -سبحانه وتعالى- مُمتنع عن كل نقص يلحق به -سبحانه وتعالى- عما يصفون.

وله عزة القهر التي قهر بها وبقدرته كل شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لأن الأمر كله له، والحكم كله له -سبحانه وتعالى- لا إله غيره ولا رب سواه.

قال ابن القيم في بيان هذه الأنواع الثلاثة من العزة وبيان أن قدرته لا يُعجزها شيء، قال في نونيته قال:

وهو القدير وليس يُعجزه إذا ما رام شيئًا قط ذو سلطـــان

وهو القوي له القوى جمـعًا تعالى الله ذو الأكوان والسلطان

وهو العزيز فلن يُرام جنابـــه أنى يُرام جنــاب ذي السلطــان

وهو العزيز القاهر الغلَّاب لم يغلبـــه شيء هــــذه صفتـــان

وهو العزيز بقوة هي وصفــه فالعز حينئـــذ ثلاث معانـــي

وهي التي كملت له سبحانه من كل وجه عادم النقصــــان

فله العز -سبحانه وتعالى- في قوته، وفي امتناعه، وفي قهره، قال: **(وقوة وعزة)**، وهو ربُّ العزة سبحانه أي صاحبها كما في آخر سورة الصافات.

قال: **(ويثبتون أن له وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرة، وقوة، وعزة، وكلامًا)**.

وسيأتي البحث في مسألة الكلام.

(لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم).

لماذا ذكر المعتزلة خاصة؟ لأنهم يقولون أن الله له الأسماء دون الصفات، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فنص ها هنا على سمعه، وبصره، وعلمه، وقدرته، وقوته، وعزته، وكلامه، لنُخالف بذلك المعتزلة.

ثم بيَّن طريقة أهل السنة والجماعة، فإن طريقة أهل السنة والجماعة مبناها على الدليل، لا على الأهواء، ولا على التقليد، ولا على غير ذلك، فذكر الأدلة على ما ذكر، يذكر الاعتقاد أولًا ثم يذكر الدليل بعد ذلك.

قال: **(قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن: 27]، وقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء: 166] وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة: 255]، وقال: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: 10]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[الذاريات: 47]، وقال: ﴿أَوَلَمْ**

﴿يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[فصلت: 15]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: 58]).

فإذا وجدت قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في القرآن ذو أو ذي فهذه يُرد بها على أهل الاعتزال؛ لأن هذه فيها زيادة على مجرد ذكر الاسم، فيها ذكر الصفة، فسمى نفسه القوي، وهنا في هذه الآية قال: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾، فهو قوي ذو قوة، أي: صاحب قوة، سميع ذو سمع، بصير ذو بصر، فكيف يتصرف أهل الضلال والاعتزال في مثل هذه الآيات؟

ومن هنا نجد أن طريقة أهل السنة والجماعة قائمة على الوسطية دائمًا بين الجفاء والغلو، بين الإفراط والتفريط، فأهل السنة والجماعة دائمًا وسط في هذا الباب من أبواب الاعتقاد، أعني باب الأسماء والصفات، وفي غيره من الأبواب، وهذه الوسطية وهذا الاعتدال نابع من أمرين عظيمين:

- **أما الأمر الأول:** فلأن أهل السنة والجماعة نهلوا من معين صاف لم يُكدَّر، نهلوا من المنبع، منبع النهر لم يُكدَّر.

ولذلك أصفى ماء هذا الذي يكون في مبدأ النهر، عندنا في مصر حرسها الله نهر النيل كلما مشيت ناحية أسوان والسودان انظر في الماء، تكاد أن ترى قاع النهر، تعال هنا في الجيزة مثلًا وانظر في الماء!!!.

فأهل السنة والجماعة نهلوا من ماذا؟ نهلوا من معين صاف لم يُكدَّر، ما هذا المعين؟ هذا المعين الذي كان قريبًا جدًا من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو معين السلف الصالح، وعلى رأسهم من؟ أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيث اهتدى أهل السنة بهديهم، وفهموا الأدلة من خلال فهمهم، فكان عندهم السداد في النظر والاستقامة في المنهج، بسبب ماذا؟ أنهم لم يُخالفوا أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لماذا لم يخالفوا أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ لأن أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما تلقوا الألفاظ تلقوا المعاني، الصحابة كما تلقوا القرآن من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بألفاظه وكان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يضع يده في يد بعض الصحابة يُعلمهم السورة، فكذلك تلقوا المعاني من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تلقوا المعاني.

وهنا يرد سؤال: هل فسر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القرآن كاملًا؟ نعم، فسره كاملًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إما أن يأتي التفسير صريحًا، يُفسر الآية إذا نزلت، يُبين معناها، أو أن يُفسرها بفعله وتقريره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو أن تكون الآية لا تحتاج إلى تفسير لوضوحها، لأن القرآن نزل بلسان العرب، فالصحابة كما تلقوا الألفاظ تلقوا المعاني.

فهذا مجاهد -رحمه الله- يعرض المصحف على ابن عباس ثلاث مرات، يستوقفه عند كل آية ليسأله عنها، مجاهد، تلميذ ابن عباس، يعرض المصحف أي: يقرأ القرآن أمام ابن عباس، حبر هذه الأمة، الذي دعا له النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعرض عليه القرآن ثلاث مرات، يستوقفه عند كل آية يسأله عن معناها.

وهذا قتادة يقول: "ما من آية إلا وسمعت فيها شيئًا"، وقتادة من التابعين، سمعها مِن مَن؟ من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وهذا أبو عبدالرحمن السلمي -رحمه الله- يخبر أن أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما كانوا يتجاوزون عشر الآيات إلا إذا علموا وعملوا بها.

فهذا يُبين لنا لماذا كان أهل السنة والجماعة دائمًا وأبدًا يتمسكون بنهج أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الأمر الأول.

- **الأمر الثاني الذي أدى إلى وسطية أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد**: أنهم يأخذون بجميع النصوص مع التأليف بينها ودفع التعارض عنها، لماذا؟ لأنهم يستدلون أولًا ثم يعتقدون.

ليس عند أهل السنة والجماعة الاعتقاد أولًا ثم الاستدلال؛ لأن هذا يؤدي إلى ليّ أعناق النصوص، وإنما يستدلون أولًا، يبحثون عن الدليل في الكتاب والسنة، ثم بعد ذلك يبنون القاعدة والاعتقاد على ذلك، بينما تجد أهل البدع يخالفون أهل السنة في هذين الأمرين، فليس المعظم والمقدم عندهم فهم السلف الصالح، هذا أولًا، ولا يأخذون بجميع النصوص في الباب الواحد، انظر إلى المرجئة، الوعدية، يأخذون بالنصوص التي فيها الوعد دون الوعيد، وانظر إلى الوعيدية

من المعتزلة والخوارج، يأخذون بالنصوص التي فيها الوعيد دون الوعد، وأما أهل السنة والجماعة فيجمعون ويُؤلفون بين النصوص، ويدفعون التعارض الذي قد يظهر في بادئ الأمر.

ثم انتقل إلى ذكر بعض الصفات الأخرى، قال: (**فهو تعالى ذو العلم، والقوة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه: 39]، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[هود: 37]**).

إذًا هو ها هنا يُثبت العين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والعين جاءت في كتاب الله مُفردة ومجموعة، فقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وهذه عين واحدة، وقال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وهذه مجموعة، جمع عين: أعين، فهل بينهما تعارض؟ هل لله -عَزَّ وَجَلَّ- عين واحدة أم له أعين أم له عينان؟ فالقرآن أثبت العين لله، وأثبت الأعين، وأثبتت السنة العينين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لما أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الدجال قال: «**ألا إن ربكم ليس بأعور، وإن الدجال أعور**»، والعور لا يكون إلا لذي عينين، فمن كان ذا عين واحدة فإن ذهبت هذه العين فهو أعمى، أما إذا قيل أعور فلا يكون إلا في عينين، فالسنة أثبتت العينين، والقرآن أثبت عينًا وأعين، فكيف نجمع بينهما؟ بين القرآن والسنة؟

قال العلماء: جاءت العين في القرآن مفردة، وجاءت جمعًا، كما ذكرنا في الآيتين، وهذا باعتبار الضمير الذي أُضيفت إليه، فإن تكلم الله عن نفسه بضمير المفرد أفردها، قال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وإن تكلم عن نفسه -سبحانه وتعالى- بـ نا التي تدل على التعظيم جمعها، قال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، فهذا باعتبار الضمير الذي أُضيفت إليه، فهو من باب المشاكلة، وهو أسلوب معروف في فصيح لغة العرب، والمفرد المضاف والجمع المضاف يعم، يعني المفرد المضاف يشمل أكثر من عين، فتدخل فيه العينان، وكذلك الجمع يعم، فجاءت السنة لتُبين أنهما عينان، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن الله تعالى ليس بأعور**»، فنُثبت لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- العينين، وإثبات العينين لله من أصول أهل السنة والجماعة.

قال اللالكائي في أصول الاعتقاد: "سياق ما دل من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وسنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على أن من صفات الله الوجه، والعينين، واليدين"، وساق الأدلة التي تدل على ذلك.

فلا نؤول العين بمعنى الرعاية والحفظ وغير ذلك، فهذه ليست طريقة أهل السنة والجماعة، وإذا وجدت ذلك -انتبه- إذا وجدت ذلك في أحد التفاسير السلفية فلا تُسارعن بالحكم على صاحب التفسير بأنه مُفوض أو مُؤول؛ لأنه لا يلزمه في كل موضع يفسر فيه الآية أن يقول: وفي الآية إثبات العينين، إذا أشار إلى ذلك في موضع.

نأتي مثلًا على تفسير ابن كثير -رحمه الله- لما يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، فمثلًا: قد يقول في هذه الآية: إثبات العين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فيأتي ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فلا يكرر قوله في هذه الآية إثبات العين لله، وإنما يقول: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بحفظنا ورعايتنا وكلاءتنا، فيأتي من لا يفهم ويؤلف مؤلَّفا "ابن كثير بين التفويض والتأويل"، ليخرج بأن ابن كثير كان مؤولًا مفوضًا، وما فهم طريقة السلف.

قال: (﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة: 6]).

إذًا في هذه القطعة يتكلم عن صفة الكلام لله -سبحانه وتعالى-.

وقال: (﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: 164]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: 82]).

ففي هذه القطعة يتكلم عن صفة الكلام، هل الله يتكلم؟ نعم، يتكلم كلامًا حقيقيًا، يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب يوم القيامة، كما جاء في حديث جابر، أو حديث عبد الله بن أنيس.

وصفة الكلام دل عليها الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: فهذه الآيات التي ذكرها، وغيرها كثير.

وأما سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فمتواترة، ومنها قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ألا رجل يحملني إلى قومي، فإن قريشًا قد منعوني أن أُبلغ كلام ربي**»، وهذا رواه البخاري في خلق أفعال العباد، وهو حديث صحيح.

وأما الإجماع: فقد نقله أكثر من واحد من أهل العلم، بل المحنة الكبرى كانت في مسألة الكلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المستقر في الفطرة والعقل أن المتكلم بالكلام لا بد أن يقوم به الكلام، كقيام الحياة والعلم والمحبة والإرادة وغير ذلك من الصفات به، وهذا من الضروريات"، يعني مما لا يدفعه العقل، ومما تُقر به الفِطر، أن المتكلم لا بد أن يقوم الكلام به، أهل البدع لما وضعوا أصلهم وهو أصل حلول الحوادث وما يخلو من الحوادث فهو حادث، قالوا: لو أننا قلنا إن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يتكلم بصوت وحرف، ويتكلم وقتما شاء -سبحانه وتعالى- فهذا دليل على التجدد والحدوث، وأنه يتكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، هذا يدل على التغير، وعلى قيام أمور حادثة به.

فنحى أهل البدع منحيين:

- من نفى الكلام مطلقًا، وهم المعتزلة، قالوا: الله لا يتكلم، وإنما يخلق كلامًا، فالقرآن مخلوق، ليس كلام الله.
- وأما الأشاعرة وهم مُخانيث المعتزلة، هكذا يُسميهم أهل العلم، لأنهم ما قالوا بقولة أهل السنة والجماعة، وما قالوا بقولة المعتزلة وإن كان مآلهم أن يقولوا بقول المعتزلة لكنهم جبنوا عن التصريح به، ماذا قالوا؟ يحكمهم أيضًا هذا الأصل وهذا الطاغوت، ما قالوا بقول أهل الاعتزال، وإنما قالوا: الله يتكلم بكلام أزلي قديم، لا بصوت ولا بحرف، إنما هو كلام قائم نفسه، كلام بداخل الرب، لا يتكلم وقتما شاء إذا شاء كيف شاء -سبحانه وتعالى- ينفون كل هذه الأمور، طب كيف وصل الكلام إلى جبريل؟ ألقاه في روعه، هذا قول بعضهم، كيف أخذ جبريل القرآن من ربنا لينزل به على مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قالوا: ألقى الله الكلام في روع جبريل، وفي نفس جبريل، لم يتكلم، جبريل لم يسمع كلامًا من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ومنهم من يقول: بل أخذه جبريل من اللوح المحفوظ، لما نزل القرآن بيت العزة أخذه جبريل من اللوح المحفوظ، وتكلم به، فصار جبريل هو المتكلم به لا ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

وهذا كله كلام باطل؛ لأن النبي أخبر: «**إن الله يتكلم بصوت وحرف**»، وكذلك أخبر ربنا وهو أعلم بنفسه من غيره -سبحانه وتعالى-.

جاء في الحديث: «فيُنادي بصوت: إن الله يأمرك»، يأمر آدم، «أن تُخرج من ذريتك بعثًا إلى النار»، وجاء في الحديث: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة»، الحديث الأول يدل على ماذا؟ «فيُنادي بصوت» يدل على إثبات الصوت، والحديث الثاني يدل على إثبات الحرف، قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله».

وعدم الكلام صفة نقص، يتنزه عنها المخلوق، يعني أيهما أكمل: الأبكم أم المتكلم الفصيح؟ المتكلم الفصيح أكمل حالًا من الأبكم، الأخرس، الذي لا يتكلم، فإذا كان هذا النقص يُنزَّه عنه المخلوق فالخالق من باب أولى.

ولذلك لما ناظر أنبياؤنا أقوامهم في عبادة الأصنام ذكروا أن من نقص الأصنام أنها لا تتكلم، موسى -عليه الصلاة والسلام- ماذا قال عن عجلهم؟ قال: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلّا يَرجِعُ إِلَيهِم قَولًا وَلا يَملِكُ لَهُم ضَرًّا وَلا نَفعًا﴾[طه: ٨٩]، ﴿أَفَلا يَرَوْنَ﴾، ألا يعقلون؟! ألا يرون بأبصارهم ويدركون بعقولهم أن هذا العجل لا يرجع إليهم قولًا؟! يكلمونه ولا يرد عليهم، ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا.

إبراهيم لما قالوا له: ﴿مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمينَ﴾[الأنبياء: ٥٩] ماذا قال إبراهيم؟ ﴿بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ﴾[الأنبياء: ٦٣]، فدلل بقوله: ﴿إِن كانوا يَنطِقونَ﴾ على أن عدم الكلام صفة نقص.

فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يتكلم بصوت وحرف.

قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: 164]، والمصدر ها هنا ينفي المجاز، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، فتكليمًا مصدر منصوب، مفعول مطلق، فالتوكيد ها هنا بالمصدر ينفي المجاز.

ومن باب ربطنا بكلام أئمتنا من أهل العلم المتقدمين- نقرأ شيئًا مما قاله عثمان بن سعيد الدارمي، في رده على من أراد أن ينشر مذهب بشر المريسي، وعثمان بن سعيد الدارمي قام بعض طلاب الأزهر من السلفيين بعمل رسالة ماجستير حول عقيدته، وقُدمت هذه الرسالة لتُناقش، هذا الكلام منذ شهرين أو ثلاثة أشهر، وظلت المناقشة من العاشرة صباحًا حتى العاشرة ليلًا، أو من العاشرة صباحًا حتى الثامنة ليلًا، كم ساعة؟ مناقشة عشر ساعات، يُناقشون فيها

الرسالة، ثم كان رفض الرسالة بالإجماع، لماذا؟ لأن عقيدة عثمان بن سعيد الدارمي تخالف عقيدة الأشاعرة، وعقيدة الأزاهرة، يعتبرون أئمتنا من المجسمة المشبهة، بل يُكفّره بعضهم، يُكفر أئمتنا بعض هؤلاء، ولذلك ردوا هذه الرسالة!!

ماذا قال عثمان -رحمه الله- في باب ما جاء في أن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق؟

قال: "وادعى المعارض أيضًا أن بعض علمائه وزعمائه قال: إن كلام الله مضاف إليه كما أضيف إليه روح الله، وبيت الله، وخلق الله، وهذا من قديم حجج المعتزلة، أو من قديم حجج الجهمية، وليس من حجج الواقفة"، الجهمية يقولون: كلام الله مخلوق، وأما الواقفة يقولون: لا نقول هو مخلوق ولا غير مخلوق، نقول: كلام الله وكفى، وهذا كان يسعهم قبل هذه الفتنة -فتنة خلق القرآن- أما إذا وقعت الفتنة فلا بد أن يقول القائل: هو كلام الله غير مخلوق.

فكان هذا المعارض يقول: إضافة الكلام إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من إضافة التشريف، والخلق، كقولنا: روح الله، وبيت الله، وخلق الله.

فقال عثمان: "فليكشف المعارض عن اسم هذا العالم الذي قال، فانه لا يكشفه إلا عن جهمي خبيث، وإنه لا يُقاس روح الله وبيت الله وعبد الله المجسمات المخلوقات القائمات المستقلات بأنفسهن، اللاتي كن بكلام الله وأمره، لم يخرج شيء منها من الله، ككلامه الذي خرج منه، لأن هذا المخلوق قائم بنفسه وعينه"، وهذا معنى قولنا الذي ذكرناه: إن معنى الإضافة إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على قسمين: إضافة صفات، وإضافة أعيان، إذا كان المضاف قائمًا بنفسه فهذه إضافة أعيان، إضافة عين، وأما إذا لم يكن قائمًا بنفسه فهذه من إضافة الصفة إلى الموصوف.

كثير من كلام الأئمة المتقدمين اشتُهر على ألسنة أئمة بعدهم، كابن تيمية وابن القيم، ولو فتشت لوجدت أن القائل بذلك هم المتقدمون، ولكن هذا رزق يسوقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إلى من شاء، هذه القاعدة إذا ذُكرت تُضاف أولًا إلى ابن تيمية، وهو من علماء القرن الثامن، وعثمان ابن سعيد من علماء القرن الثالث.

يقول: "لأن هذا المخلوق قائم بنفسه، وعينه، وحليته، وجسمه، لا يشك أحد في شيء منها أنه غير الله، وأنه ليس شيء منها لله صفة، والقرآن كلامه الذي خرج منه، وبه تكلم، لم يقم بنفسه جسمًا غير الله قائمًا يُحس حين تقيمه القراءة والألسن، فإذا زالت عنه القراءة خفي، فلم يُحس شيء منه بشيء، فلم يقم له عين إلا أن يُبيَّن بكتاب يُكتَب"، لأنها حروف وكلام، إذًا لم يتكلم به القارئ لا يظهر، وإذا لم يُكتب لا يظهر.

قال: "فبين روح الله وبيت الله وعبد الله والقرآن الذي هو نفس كلام الله الخارج من ذاته بون بعيد، فكيف تقلدت أيها المعارض كلام الواقفة بدءًا، ثم فزعت منه إلى أفحش كلام الجهمية أنه كعبد الله وبيت الله! ثم إدخال الحجج على تعطيل ما سواها من الصفات، إنما تقول الواقفة: إن القرآن كلام الله، ولا تقول مخلوق ولا غير مخلوق، ثم لا يُعرِّضون لهذه الحجج التي عرَّضت لها واحتجت بها، فلذلك قلنا إنك مستتر بالوقف، منافح عن التجهم، حتى صرحت به في غير مكان من كتابك، ولو لم يكن إلا تشبيهك إياه ببيت الله، أو عبد الله، وبقولك إنه غير الله، وإنه مفعول، وإن من قال: غير مخلوق فهو كافر عندك، لاكتفينا بهذا دون ما سواه، ثم تعلقت بعده بالوقف مستترًا به عن التجهم"، يعني ما جرى أن يصرح أنه مخلوق، "تتقدم إلى هؤلاء برجل وتتأخر عنهم بأخرى، فمرة تحتج بحجج الواقفة، ومرة بحجج الجهمية، كأنك تلاعب الصبيان وتخاطبهم، وكذلك تأولت في العرش، كما تأول جهم بن صفوان، وكنَّيت عن بعض علمائك وزعمائك، ولم تُصرح باسمه أن تفسير قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥] استولى عليه، تُرى من بين ظهريك أن هذا الذي رويت عنه هذا التفسير أحد العلماء، ولا يدري من حولك أنه أحد السفهاء، وقد فسرنا لك تفسيره في صدر هذا الكتاب، وبيَّنا لك فيه استحالة هذا المذهب وبُعده من الحق والمعقول، فاكشف عن رأس هذا المفسر حتى نعرفه، أمن العلماء هو؟ أم من السفهاء؟ فإنك لا تأثره إلا عن المريسي أو عمن هو أخبث منه، والعجب من المريسي صاحب هذا المذهب أنه يدعي توحيد الله بمثل هذا المذهب، وما أشبهه، وقد عطَّل جميع صفات الواحد الأحد، فادعى في قياس مذهبه أن واحده الذي يُوحده إله مجدع، منقوص، مشوه بشبح مقصوص، لا تتم وحدانيته إلا بمخلوق، ولا يستغني عن مخلوق من الكلام والعلم والاسم، ويلك! إنما الموحد الصادق في توحيده الذي يُوحد الله بكماله وبجميع صفاته، في علمه، وكلامه، وقبضه، وبسطه، وهبوطه، وارتفاعه، الغني عن جميع خلقه بجميع صفاته، من النفس، والعين،

والسمع، والبصر، واليدين، والعلم، والكلام، والقدرة، والمشيئة، والسلطان، القابض، الباسط، المعز، المذل، الحي، القيوم، الفعال لما يشاء، هذا إلى التوحيد أقرب من هذا الذي يُوحد إلهًا مُخدجًا، منقوصًا، مقصوصًا، لو كان عبدًا على هذه الصفة لم يكن يساوي تمرتين" لو أردنا أن نبيع عبدًا مخدوجًا –يعني مقطوع الأطراف– منقوصًا، لا سمع له ولا بصر ولا وجه، قال: "لم يكن يساوي تمرتين، فكيف يكون مثله إلهًا للعالمين! تعالى الله عن هذه الصفة".

قال: "واحتج المعارض أيضًا لمذهبه ببعض حجج الجهمية، وليست هذه من حجج الواقفة، فقال: تقولون: يا رب القرآن افعل بنا كذا وكذا"، الذين قالوا: القرآن مخلوق وليس كلام الله احتجوا ببعض ما جاء في سنة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يعني في بعض الروايات التي صححها الشيخ الألباني في الحديث المشهور: «القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة، فيقول الصيام: ربي منعته الطعام»، في الرواية المشهورة: «ويقول القرآن: منعته النوم»، في رواية صححها الألباني –رحمه الله– في صحيح الجامع: «ويقول القرآن: ربي منعته النوم».

وكذلك في حديث الترمذي الذي صححه الألباني قال: «يجيء القرآن يوم القيامة بصاحبه يقول: يا ربي حلِّه، يا رب ارضَ عنه»، القرآن يقول: يا رب، فالمعتزلة قالوا: هذا دليل على خلق القرآن، لماذا؟ قالوا: لأنه ما من مربوب إلا وهو مخلوق.

فرد عليهم ابن بطة في الإبانة ذكرها المحقق في الحاشية ، ورد عليه كذلك ها هنا عثمان، فماذا قال؟ قال له: "قد قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: ﴿سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفونَ﴾[الصافات: ١٨٠]، أفتحكم على عزة الله بقوله: ﴿رَبِّ العِزَّةِ﴾ كما حكمت على القرآن! ويحك! إنما قوله: رب العزة يقول: ذي العزة"، فالرب بمعنى الصاحب، فالله هو صاحب القرآن؛ لأنه هو الذي تكلم به، كلامه، صاحب السمع، والبصر، والقدرة، والمشيئة، والإرادة، والكلام –سبحانه وتعالى– فإذا جاء في النصوص: «فيقول القرآن: يا رب»، أي: يا صاحبي، لأن الله هو الذي تكلم به، هذا تفسير بعض السلف.

والتفسير الثاني: أن المقصود بالقرآن ها هنا: ثوابه، وهذا قول الإمام أحمد، واستدلوا على ذلك بما جاء في الصحيح من أن سورة البقرة وسورة آل عمران تأتيان يوم القيامة كغمامتين، أو كغيايتين، والغمامة مخلوقة، فكيف يأتي القرآن غمامة؟ فلما سُئل أحمد عن ذلك قال: "هذا

ثواب القرآن"، هو الذي يأتي يُظلل صاحبه، فإما أن يكون ها هنا الذي قال رب هو القرآن ويعني: يا صاحبي، كرب العزة، وإما أن يُقصد ها هنا الثواب.

ثم ذكر كلامًا بعد ذلك وحججًا لهم، نعم.

ثم تكلم المصنف بعد ذلك في باب عظيم جدًا، وهو باب القضاء والقدر، وهذا الذي نبدأ به إن شاء الله الدرس القادم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.

الدرس السادس

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فما زال الحديث موصولًا في قراءة (**اعتقاد أئمة الحديث**) والتعليق عليه، واليوم إن شاء الله نقف مع قطعة من هذا الاعتقاد تتعلق بالإيمان بالقضاء والقدر.

قال المصنف -رحمه الله-: (**ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون، كما قال الله تعالى: ﴿وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ﴾[التكوير: ٢٩]، ويقولون: لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله، ولا أن يغلب فعلُه وإرادتُه مشيئةَ الله، ولا أن يُبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يُغلب، ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنه كيفما تصرف بقراءة القارئ له، وبلفظه، محفوظًا في الصدور، متلوًا بالألسن، مكتوبًا في المصاحف، غير مخلوق، ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن، ويقولون: إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله -عَزَّ وَجَلَّ- وإن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولا عذر، كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُل فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَو شاءَ لَهَداكُم أَجمَعينَ﴾[الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿كَما بَدَأَكُم تَعودونَ * فَريقًا هَدى وَفَريقًا حَقَّ عَلَيهِمُ الضَّلالَةُ﴾[الأعراف: ٢٩-٣٠]، وقال: ﴿وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ﴾[الأعراف: ١٧٩]، وقال: ﴿ما أَصابَ مِن مُصيبَةٍ فِي الأَرضِ وَلا في أَنفُسِكُم إِلّا في كِتابٍ مِن قَبلِ أَن نَبرَأَها﴾[الحديد: ٢٢]، ومعنى نبرأها: نخلقها، بل بلا خلاف في اللغة**).

قال: (**وقال مُخبرًا عن أهل الجنة: ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣]، وقال: ﴿لَو يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النّاسَ جَميعًا﴾[الرعد: ٣١]، وقال: ﴿وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالونَ مُختَلِفينَ * إِلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٨-١١٩]**).

هذه القطعة التي ذكرها المصنف –رحمه الله– وختمها بقوله: **(ويقولون: إن الخير والشر والحلو والمر بقضاء من الله –عَزَّ وَجَلَّ– أمضاه وقدّره، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله، وإنهم فقراء إلى الله –عَزَّ وَجَلَّ– لا غنى لهم عنه في كل وقت)**.

يذكر المصنف –رحمه الله– فيها عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر، والإيمان بالقضاء والقدر واجب؛ إذ هو الأصل السادس من أصول الإيمان وأركانه، كما جاء في حديث جبريل: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره».

وبدأ المصنف ها هنا بالكلام عن أحد مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، وهي مرتبة المشيئة، لكن قبل ذلك نقف على معنى القضاء والقدر لغةً وشرعًا.

القضاء: بالمد، ويُقصَر، فيقال: القضاءُ، ويقال: القضا، وأصله: قضاي، فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة همُزت، وجمعه أقضية، قال ابن فارس في معجم المقاييس قال: "القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على إحكام أمر وإتقانه، وإنفاذه لجهته".

وقد ورد القضاء في القرآن بمعانٍ عدة، كلها ترجع لأصل الاشتقاق، فأصل الاشتقاق: إحكام الأمر وإتقانه وإنفاده، فورد في القرآن لفظة القضاء باشتقاقاتها، قضى، يقضي، جاء القضاء بمعنى الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَقضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣]، أي: أمر ووصى، وجاء القضاء بمعنى الحكم، كما قال السحرة لفرعون: ﴿فَاقضِ ما أَنتَ قاضٍ إِنَّما تَقضي هذِهِ الحَياةَ الدُّنيا﴾[طه: ٧٢]، أي: احكم بما شئت، وجاء بمعنى الفراغ والانتهاء، قال تعالى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبعَ سَماواتٍ في يَومَينِ﴾[فصلت: ١٢]، أي: فرغ منهن، من خلق السماوات في يومين، نعم.

وجاء بمعنى الإعلام، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَينا إِلى بَني إِسرائيلَ فِي الكِتابِ لَتُفسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَينِ وَلَتَعلُنَّ عُلُوًّا كَبيرًا﴾[الإسراء: ٤]، ﴿وَقَضَينا إِلى بَني إِسرائيلَ﴾ أي: أعلمنا وأوحينا إليهم في الكتاب.

وجاء بمعنى الموت والقتل، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ موسى فَقَضى عَلَيهِ﴾[القصص: ١٥]، أي: قتله وأماته وأنهى حياته.

لو نظرت في هذه المعاني تجدها تعود إلى المعنى الاشتقاقي، وهو إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، وهذه المعاني كما قلنا: متداخلة؛ لأنها تدل على هذا المعنى الذي ذكرناه، ولها ارتباط وثيق بالمعنى الشرعي.

فالقضاء والقدر من الجهة الشرعية: هو تقدير الله تعالى الأشياء في الأزل، أو نذكر هذا التعريف على ترتيب مراتب القضاء، علم الله تعالى الأشياء في الأزل، وتقديره إياها في اللوح المحفوظ على مقتضى هذا العلم، وكتابته لذلك، ومشيئته وخلقه لها على حسب ما قدَّر فيما سبق.

إذًا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- علم، فكتب، فشاء، فخلق -سبحانه وتعالى- هذا بالنسبة للقضاء من جهة اللغة ومن جهة الشرع.

وأما القدر: فيأتي كذلك بمعانٍ متداخلة، إذ أصله يرجع إلى القاف والدال والراء، التي تدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، القدر يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، والقضاء يدل على إحكام الشيء وإتقانه وإنفاذه، أي: بلغ كذلك المنتهى.

ومن هنا كان بين القضاء والقدر ترابط من جهة المعنى اللغوي ومن جهة المعنى الشرعي، فيأتي كل منهما بمعنى الآخر، فإذا ذُكر القضاء قُصد به القضاء والقدر، وإذا ذُكر القدر قُصد به كذلك القضاء والقدر، وأما إن اجتمعا فمن أهل العلم من قال إنه لا فرق بينهما، ومنهم من فرّق بينهما، فقال: القضاء: هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال، أي: فرغ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من قضاء العباد، مما كتبه، وعلمه، وشاءه -سبحانه وتعالى- على سبيل الإجمال، والقدر: الحكم بوقوع الجزئيات على سبيل التفصيل، فقدَّر لهذا كذا، وقدَّر لهذا كذا، وقدَّر لهذا كذا، ومنهم من عكس، فقال: القدر: هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال، والقضاء: الحكم بالجزئيات، والصحيح: أنه لا فرق بينهما.

والقضاء والقدر كما قلنا ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان العبد إلا به، فمن آمن بالأركان الخمسة ولم يؤمن بقضاء الله وقدره خرج من الإسلام، شك في ذلك، أو أنكره، أو

جحده، خرج من الإسلام، وقد دلت الأدلة المتواترة في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على وجوب الإيمان بهذا الأصل، أصل القضاء والقدر.

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في سورة الفرقان قال: ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ لِيَكونَ لِلعالَمينَ نَذيرًا * الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلَم يَتَّخِذ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَهُ شَريكٌ فِي المُلكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقديرًا﴾[الفرقان: ١-٢]، فهنا -سبحانه وتعالى- وصف نفسه بتقدير المخلوقات، ومن أسمائه كذلك: القادر، والمقتدر، والقدير، فسمى نفسه ووصف نفسه بهذه الصفة، التي هي تقدير أفعال العباد، وهو القادر المقتدر القدير -سبحانه وتعالى-.

قال تعالى: ﴿إِنّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، هذه الآية متى نزلت؟ لما جاء المشركون يخاصمون النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في القضاء والقدر، وهل يعلم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فعل العبد قبل أن يقع أم لا؟ يعلم الكليات والجزئيات أم يعلم الكليات فقط؟ جاء المشركون يُخاصمون النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويُجادلونه في القضاء والقدر، فأنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِنّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يستدل بهذه الآية أئمة السنة على إثبات قدر الله تعالى السابق لخلقه".

وأما في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعندنا حديث جبريل لما سأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»، فهذه هي أركان الإيمان.

وكذلك ما جاء عند الترمذي من حديث جابر -رضي الله عنه- مرفوعًا، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»، والنفي ها هنا نفي لأصل الإيمان لا لكمال الإيمان الواجب، فالذي لا يؤمن بالقضاء والقدر هذا ليس بمؤمن، «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله»، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هو خالق الخير والشر -سبحانه وتعالى- لكن الشر ليس إليه، كما سيأتي، ليس من فعله، وإنما من خلقه، أو في خلقه، ومفعولاته -

سبحانه وتعالى- وسنناقش هذه المسألة إن شاء الله في الدرس القادم، ونستفيض فيها في مسألة خلق الله للشر، واختلاف الفِرق في هذا الأمر، لأن الملاحدة يُلبِّسون على الشباب يقولون: إذا كان هذا الرب الذي تؤمنون به تقولون إنه موصوف بالرحمة والرأفة والحكمة، فكيف يكون هو خالق الشر، والشر منتشر في هذا العالم، من قتل، وتشريد، وغير ذلك، فهذا تناقض، سنذكر إن شاء الله كل ذلك في الدرس القادم.

فهذا هو معنى القضاء والقدر، ودليل ثبوته في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد قام الإجماع على ذلك.

والإيمان بالقضاء والقدر له فائدة عظيمة، إذ من آمن بالقضاء والقدر اطمأن قلبه وارتاح، لماذا؟ لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليُصيبه، فهذا يحمل المرء على عدم الجزع، وعلى الصبر، والرضا بقضاء الله وقدره، وأنه إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له.

وكذلك يحمل العبد على عدم الاغترار بأعماله وعبادته؛ لأن المرء إذا كان مؤمنًا بقضاء الله وقدره علم أن الامر كله بتوفيق الله وهدايته.

هنا يقول المصنف -رحمه الله- عند ذكره لهذه الآيات قال: ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهٰذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣]، فنسب الهداية أولًا وآخرًا لله -سبحانه وتعالى- العبد يأخذ بالأسباب، ثم يكون التوفيق من قِبل الله -سبحانه وتعالى- إن شاء أمضى ذلك، وإن شاء لم يُمضه -سبحانه وتعالى- هذا يحمل العبد على طمأنينة النفس، وعلى الأخذ بالأسباب، وعلى عدم التواكل، وعلى الرضا بقضاء الله وقدره -سبحانه وتعالى- وعلى دفع الوساوس التي يُوسوس بها الشيطان لابن آدم، فكثير من الوساوس تأتي من هذا الباب؛ من الخلل في باب القضاء والقدر.

قال ها هنا: **(ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)**.

قوله: **(ويقولون ما يقوله المسلمون)** أي: ويقول أهل القبلة وعلى رأسهم أهل السنة والجماعة، فهذا كما قلنا نقل للإجماع.

قلنا: **مراتب القضاء والقدر أربعة:**

- العلم.

- والكتابة.

- والمشيئة.

- والخلق.

هذه مراتب القدر الأربع، بدأ المصنف ها هنا بمرتبة المشيئة ولعل سبب ذلك مخالفة المعتزلة فيها وكذلك مسألة خلق القرآن، وسنسير على ما سار عليه المصنف -رحمه الله-.

ماذا تعني مرتبة المشيئة؟ مشيئة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قال ها هنا: **(ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)**، قال صاحب كتاب القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه قال في هذه المرتبة قال: "مرتبة الإرادة والمشيئة، أي: أن كل ما يجري في هذا الكون هو بمشيئة الله -سبحانه وتعالى- فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء".

ما الدليل على هذه المرتبة؟ هناك الكثير من الأدلة في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال تعالى: ﴿وَلَو شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدَةً وَلكِن لِيَبلُوَكُم في ما آتاكُم﴾[المائدة: ٤٨]، ﴿وَلَو شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدَةً﴾، إذًا الأمر كله يرجع إلى مشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

كذلك نوح -عليه الصلاة والسلام- لما قال له قومه: ﴿فَأتِنا بِما تَعِدُنا إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ * قالَ إِنَّما يَأتيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شاءَ وَما أَنتُم بِمُعجِزينَ﴾[هود: ٣٢-٣٣]، فالأمر كذلك يرجع إلى مشيئة الله.

وكذلك شعيب -عليه الصلاة والسلام- بعد أن طلب منه قومه أن يعود إلى ملتهم بيَّن أنه لا يمكن له أن يعود إلى ملتهم بعد أن نجاه الله منها، وأن المؤمنون معه، فقال: ﴿قَدِ افتَرَينا عَلَى

اللَّهِ كَذِبًا إن عُدنا في مِلَّتِكُم بَعدَ إذ نَجّانَا اللَّهُ مِنها وَما يَكونُ لَنا أَن نَعودَ فيها إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾[الأعراف: ٨٩].

وكذلك يوسف –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ادخُلوا مِصرَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ﴾[يوسف: ٩٩].

وهذا موسى –عليه الصلاة والسلام– يقول للخضر: ﴿قالَ سَتَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ صابِرًا وَلا أَعصي لَكَ أَمرًا﴾[الكهف: ٦٩].

وربنا –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– يُوجه نبيه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قائلًا له: ﴿وَلا تَقولَنَّ لِشَيءٍ إِنّي فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا * إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ وَاذكُر رَبَّكَ إِذا نَسيتَ﴾[الكهف: ٢٣-٢٤]، إلى غير ذلك من الأدلة، كقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلكِ تُؤتِي المُلكَ مَن تَشاءُ وَتَنزِعُ المُلكَ مِمَّن تَشاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]، فالإيمان بالقضاء والقدر ومنه مشيئة الله المطلقة سبيل الأنبياء والمرسلين، فمن حاد عن سبيلهم زل وضل عن سواء السبيل.

وأما في سنة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: فقد عقد الإمام البخاري بابًا في صحيحه في كتاب التوحيد عرض فيه نصوص تُثبت المشيئة والإرادة، قال: باب في المشيئة والإرادة، ثم أورد كثيرًا من الأحاديث، منها قول النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «ويقضي الله على لسان نبيه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ما شاء».

و كذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنه وعن أبيه– أنه سمع النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: «إن قلوب العباد كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يُصرفها حيث يشاء»، ثم قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «اللهم مُصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»، آمين.

فالدليل في قول النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «كقلب واحد، يُصرفها كيف يشاء» أو «حيث يشاء».

وكذلك ما جاء في حديث الرجل الذي قال للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أجعلتني لله ندًا؟! بل ما شاء الله وحده**»، إلى غير ذلك.

وقام الإجماع من علماء هذه الأمة على إثبات هذه المرتبة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

والمشيئة لا تنقسم، بخلاف الإرادة، أحيانًا نُعبِّر عن هذه المرتبة بمرتبة الإرادة، وأحيانًا نُعبِّر عنها بمرتبة المشيئة، لكن المشيئة تفارق الإرادة في أنها لا تنقسم، فالمشيئة واحدة، مشيئة كونية قدرية، إذا شاء الله أمرًا لا بد أن يقع، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وأما الإرادة فتنقسم إلى:

- كونية قدرية.

- وإلى شرعية.

والشرعية تُرادف الرضا والمحبة، فكل شيء شرعي يحبه الله ويرضاه، وأما المشيئة الكونية القدرية تتعلق بإنفاذ الله لفعله -سبحانه وتعالى- فإذا شاء الله شيئًا لا بد أن يقع.

وجانب الصواب من قسَّم المشيئة إلى كونية قدرية وإلى شرعية، تجد ذلك مثلًا في تفسير ابن كثير، في موضع من المواضع ذكر ابن كثير أن المشيئة تنقسم إلى: كونية قدرية، وإلى شرعية، هذا خطأ، وتجد ذلك كذلك في شرح معارج القبول للشيخ حافظ حكمي، هذا خطأ كذلك، المشيئة لا تنقسم، وإنما هي نوع واحد، وأما الإرادة فهي التي تنقسم، طيب.

متى تجتمع المشيئة والإرادة الشرعية؟ أريد منك اليوم أن تخرج بفائدة، وهي: التفريق بين المشيئة والإرادة الشرعية، ذكرنا الفرق الأول: أن الإرادة الشرعية تُرادف ماذا؟ المحبة والرضا، فكل شيء يحبه الله ويرضاه هذا داخل في الإرادة الشرعية، وأما المشيئة فلا يُشترط فيها محبة الله ورضاه، فقد يشاء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وقوع شيء ولا يحبه ويرضاه، كخلق إبليس، الله يحب إبليس؟ لا، يرضى عنه؟ خلق المسيح الدجال، وكذلك وجود المعاصي ، هذا كله من خلق الله، خلقه لحكمة

عظيمة -سبحانه وتعالى- ولكن هذا يدخل تحت ماذا؟ تحت المشيئة الكونية القدرية، لا يدخل تحت الإرادة الشرعية.

إذًا:

- المشيئة لا بد أن تقع، أما الإرادة الشرعية ليس شرطًا أن تقع.
- الإرادة الشرعية تُرادف محبة الله ورضاه، أما المشيئة الكونية لا يُشترط فيها المحبة والرضا،

متى يجتمعان؟ ومتى يفترقان؟ يجتمعان في ماذا؟ يجتمعان في إيمان العبد وفعله للطاعات، إيمان أبي بكر الصديق هل يقع تحت المشيئة؟ أم يقع تحت الإرادة الشرعية؟ أم يقع تحت المشيئة الكونية والإرادة الشرعية؟ لماذا يقع تحت المشيئة الكونية القدرية؟ لأنه وقع، ولماذا يقع تحت الإرادة الشرعية؟ لأن الله يحبه ويرضاه، فاجتمع فيه الإرادتان.

كُفر أبي جهل يقع تحت أيهما؟ يقع تحت المشيئة الكونية فقط. إيمان أبي جهل يقع تحت ماذا؟ هل وقع؟ لا، لأن المشيئة تعني الوقوع؟ إيمان أبي جهل يقع تحت ماذا؟ يقع تحت الإرادة الشرعية، هذا أمر يحبه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولكنه لم يقع.

كفر عمر بن الخطاب -بعد أن أسلم- كفر عمر بن الخطاب يقع تحت أيهما؟ ما أراده الله كونًا وقدرًا ولا يحبه شرعًا -سبحانه وتعالى- فلم يقع، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وهذا يحل لك إشكالات كثيرة فيما يحدث في العالم، من حروب، وفتن، وقتل، فالذي لا يعلم العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر يعترض على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: سمى نفسه بالرحيم، الرؤوف، الودود -سبحانه وتعالى- ومع ذلك تقع هذه الأمور، نقول: هل معنى ذلك أنه يحبها ويرضاها؟ لا يحبها ويرضاها، وإنما وقعت لحكم عظيمة، ومن هنا ضل الجبرية فسووا بين المشيئة والإرادة الشرعية، وضل كذلك المعتزلة، فظنوا أنهم إن أثبتوا ما وقع بقضاء الله وقدره من الذنوب والمعاصي فإنهم ينتقصون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فزعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة، وكل هذا سيأتي إن شاء الله، إذًا المرتبة الأولى مرتبة المشيئة.

فقال ها هنا -رحمه الله- قال: (**ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون، كما قال الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[التكوير: ٢٩]**).

فأثبت المشيئة للعبد، قال: ﴿وَما تَشَاءونَ﴾ "ما" ها هنا موصولة؟ ﴿وَما تَشَاءونَ﴾ ما نافية ليست موصولة، لا تشاؤون شيئًا إلا أن يشاءه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فكل أمر يرجع إلى مشيئة الله -سبحانه وتعالى-، فمشيئة العبد غير مستقلة.

قال: (**ويقولون: لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله**).

إذًا هنا سيتحدث عن مرتبة ماذا؟ عن مرتبة العلم، وهي المرتبة الأولى، والإيمان بعلم الله معناه: أن تؤمن بأن الله عليم بكل شيء ومحيط به، ﴿رَبَّنا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا﴾[غافر: ٧]، وأنه علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا ضربنا له المثال في الدرس السابق، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ،وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وأعمالهم، وعلم من منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار -سبحانه وتعالى- ومن هنا فارق علم ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- علم المخلوق، لماذا؟ لهذه الكمالات التي اتصف بها علم ربنا -سبحانه وتعالى-.

قال الله تعالى في آية عظيمة: ﴿وَعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إِلّا هُوَ وَيَعلَمُ ما فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا يَعلَمُها وَلا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأَرضِ وَلا رَطبٍ وَلا يابِسٍ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ﴾[الأنعام: ٥٩]، وهذه الآية مليئة بالعمومات التي ارتبط بها علمه -سبحانه وتعالى-.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعَةِ﴾، تقديم وتأخير يفيد الحصر، إن الله علم الساعة عنده، قال: ﴿عِندَهُ عِلمُ السّاعَةِ﴾، ليس عند غيره، لا عند ملك مُقرب ولا نبي مرسل، ولذلك لما سأل جبريل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الساعة قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

قال: ﴿وَيُنَزِّلُ الغَيثَ وَيَعلَمُ ما فِي الأَرحامِ وَما تَدري نَفسٌ ماذا تَكسِبُ غَدًا وَما تَدري نَفسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَموتُ﴾، ثم ختم الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾[لقمان: ٣٤]، والخبير: هو العليم بدقائق الأمور وتفاصيلها، فالله له العلم والخبرة، يعلم الكليات ويعلم الجزئيات -سبحانه وتعالى-

فهذه الآية دلت على أن الله محيط علمه بجميع الموجودات، بريّها وبحريها، الآية السابقة، ﴿وَما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا يَعلَمُها﴾.

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ﴾[الحشر: ٢٢]، وقوله: ﴿لا إِلهَ إِلّا هُوَ عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ﴾ يدل على ارتباط وثيق بين الإيمان بتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، قال: ﴿لا إِلهَ إِلّا هُوَ﴾، ثم قال: ﴿عالِمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ﴾.

فالإيمان بالأسماء والصفات يُؤكد إيمان العبد الإيمان الذي يحمله على عبادة الله دون من سواه –سبحانه وتعالى– لأن الذي يعلم الأسماء والصفات ويعلم الكمالات في الأسماء والصفات لا بد ألا يعبد إلا الله –سبحانه وتعالى–.

وقال: ﴿لِتَعلَموا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَد أَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمًا﴾[الطلاق: ١٢]، وهذه كلية غير مخصصة، وقال تعالى: ﴿إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾[طه: ٩٨].

وأما في سنة النبي الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فكثير، فعن عمران بن حصين –رضي الله عنه– قال: قال رجل: يا رسول الله، أعُلم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «نعم»، فقال الرجل: ففيما يعمل العاملون؟ الناس يعملون في ماذا؟ وقد فرغ الله من أهل الجنة ومن أهل النار، قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «كل مُيسَّر لما خُلق له»، فمن كان من أهل السعادة يُسِّر لعمل أهل السعادة، تجده يحب الطاعة ويُقبل عليها، ومن كان من أهل الشقاوة يُسِّر كذلك لعمل الشقاوة، ولعمل أهل الشقاوة، لا بظلم من الله حاشاه –سبحانه وتعالى– ولكن بما كسبت يداه، ﴿فَلَمّا زاغوا أَزاغَ اللَّهُ قُلوبَهُم﴾[الصف: ٥]، أرسل إليه الهدايات العظيمة، ومع ذلك أعرض وابتعد عنها، نسأل الله العافية، فها هنا أخبر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بعلم الله لأهل الجنة وأهل النار، وهذا يدل على أن الله عليم بكل شيء.

وسُئل النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عن أولاد المشركين هل هم في الجنة أم في النار؟ فقال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، هذه المسألة فيها ثمانية مذاهب لأهل العلم، مسألة أولاد المشركين هل هم في الجنة أم في النار.

الشاهد في الحديث: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما سُئل عن ذلك قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كذلك في حديث أبي هريرة في حديث الفطرة: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»، فهذا يدل على ماذا؟ على شمول علم الله لكل شيء.

قال ها هنا: (**ولا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله، ولا أن يُبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو -سبحانه وتعالى-**).

﴿**وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[مريم: ٦٤]**وهو القادر لا يُغلب**).

وهذه المرتبة -مرتبة العلم- أنكرها غلاة القدرية الأُول. يقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، وهذه الفرقة كفّرها أصحاب النبي ﷺ كما في في أول حديث في صحيح مسلم، هذه الفرقة تقول: إن الامر أُنف، يعني مستأنف، أي أن الله لا يعلم الأمر ابتداءً إلا إذا وقع، ومن قال بذلك كفر، وهذه البدعة تكاد تكون انقرضت في الفِرق، وعامة المعتزلة القدرية على إثبات علم الله وكتابته دون المشيئة والخلق، فأنكروا المرتبتين الأخيرتين فيما يتعلق بفعل العبد.

فقال: (**فإنه العالم لا يجهل، ولا يسهو -سبحانه وتعالى- ولا يُغلب**).

قال: (**ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق**).

لماذا ذكر مسألة خلق القرآن بعد مسألة العلم؟ لأن القرآن من علم الله، صحيح؟ فمن قال: القرآن مخلوق فقد قال: علم الله مخلوق، ثم لمخالفة القدرية فيها كذلك.

ولذلك الشافعي لما سُئل عن القدرية الذين يقولون بخلق القرآن قال: "ناظروهم بالعلم، فإن أنكروه فقد كفروا وإلا خُصموا"، أحمد رحمه الله لما ناظر سأل هكذا: القرآن من علم الله -يسأل ابن أبي دؤاد- القرآن من علم الله؟ يقول: أجل، يقول له: علم الله مخلوق؟ لا يستطيع أن يرد؛ لأنه لو قال غير مخلوق لبُهت وخُصم، ولو قال: مخلوق لكفر صراحة أمام أمير المؤمنين، لهذا هنا ذكر مسألة خلق القرآن بعد العلم؛ ليُدلل على أن القرآن غير مخلوق، لماذا؟ لأنه من علم الله -سبحانه وتعالى-.

قال: **(ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنه كيفما تصرف)**.

الضمير يعود إلى القرآن.

(كيفما تصرف بقراءة القارئ له).

هو قرآن، كلام الله.

(وبلفظ القارئ له).

أي: بقراءته والتلفظ به، فهو القرآن.

(ومحفوظًا في الصدور، متلوًا بالألسن، مكتوبًا في المصاحف).

أي حال كونه كذلك غير مخلوق، القرآن غير مخلوق.

قال: **(ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن)**.

ولذلك أحمد كان يقول: "من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع"، لماذا؟ لأن كلمة اللفظ مصدر، والمصدر قد يُطلق ويُراد به المفعول، المصدر قد يُطلق ويُراد به المفعول، كخلق، يُراد به المخلوق، ﴿**هذا خَلقُ اللَّهِ فَأَروني ماذا خَلَقَ الَّذينَ مِن دونِهِ**﴾[لقمان: ١١]هذه مخلوقات الله خلقها فماذا خلقت أصنامكم فالخلق ها هنا بمعنى المخلوق.

من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، هذا لفظ مُوهِم، لماذا؟ لأنه قد يعني الملفوظ، ما الملفوظ؟ القرآن، وقد يعني اللفظ نفسه، فعل العبد، وفعل العبد مخلوق، أما الملفوظ الذي هو القرآن غير مخلوق ، فلما كان اللفظ مُوهمًا نهى أحمد –رحمه الله– وهذا من دقة فهمه للغة العرب –رحمه الله– نهى عن التلفظ بهذا القول، فقال: "من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي"، لأنه قد يريد ماذا؟ يريد القرآن، "ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع"، لماذا؟ لأنه يدخل فيه فعل العبد، وفعل العبد مخلوق، فهو مبتدع.

ولذلك كان أصح الأقوال تفصيلًا وأدقها ما قاله الإمام البخاري وكان بسببه المحنة. الإمام البخاري ما قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، وإنما فصَّل، ماذا قال البخاري -رحمه الله- كما نقل عنه ابن تيمية؟ قال: "والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث"، يعني قالوا: التلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، التلاوة فعل العبد، والمتلو كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فالصوت صوت القاري والقول قول الباري، وهذا القول الذي يُقرأ، القرآن كلام من؟ أول كلامه كلام الباري -سبحانه وتعالى- قال: "أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي أصوات الله"، وهذا الذي قصده البخاري، البخاري أراد أن فعل العبد مخلوق، وأما كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فليس بمخلوق.

قال ابن تيمية بعد أن ذكر مذهب البخاري قال: "وهذا الذي قصده البخاري، وهو مقصود صحيح"، ولذلك ظُلم الإمام البخاري في محنته هذه.

قال: **(ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن)**.

اللفظ مشترك بين المصدر واسم المفعول، فمن أطلقه وقصد القرآن أي الملفوظ فقد قال بخلق القرآن، وهذه الفتنة -فتنة خلق القرآن- ظهرت عندما قويت شوكة المعتزلة في الدولة العباسية، فالدولة العباسية لما ترجمت كتب أهل اليونان، ونظرت في هذه الكتب، وقرَّبت أهل الضلالة من المعتزلة- بخلاف الدولة الأموية- فتحوا باب شر عظيم، ومنه القول بخلق القرآن، و نفي صفات الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ونفي القدر وغير ذلك من البدع.

وكان من استدلال المعتزلة الجهمية استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾[الزمر: ٦٢]، فقالوا: "كل" هذه عامة، فيدخل تحتها كل ما يُطلق عليه شيء، فالقرآن مخلوق، فيقال رداً عليهم: إن هذا عام أُريد به الخصوص، إذ معناه: الله خالق كل شيء مخلوق، فلا يدخل فيه القرآن، ولا يدخل فيه صفاته، ولا يدخل فيه أسماؤه -سبحانه وتعالى- ولا يدخل فيه ذاته، وإلا لسألناهم: هل ذات الله تدخل في هذه الآية؟ هل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يُخبَر عنه بشيء؟ نعم، قال تعالى: ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَيني وَبَينَكُم﴾[الأنعام: ١٩]، صحيح؟ فهذا من العام الذي أُريد به الخصوص، كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيءٍ﴾، وما

دمرت السماوات ولا الأرض، بل قال: ﴿فَأَصبَحوا لا يُرى إِلّا مَساكِنُهُم﴾[الأحقاف: ٢٥]، ما دمرت مساكنهم.

والعجيب من المعتزلة أنهم يستدلون بهذه الآية على أن الله خالق كل شيء، فلماذا أخرجوا فعل العبد من كلية هذه الآية؟! تناقض، أخرجوا فعل العبد لقولهم بالتحسين والتقبيح العقليين، وهم يستدلون بهذه الآية على أن الله خالق لكل شيء!!

وكذلك استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنّا جَعَلناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف: ٣]، فقالوا: الجعل بمعنى الخلق، ﴿جَعَلنَاهُ﴾ يعني خلقناه، فقال: ﴿جَعَلنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف: ٣]، إذًا جعل هنا بمعنى خلق، وهذا من جهلهم بلغة العرب.

ولقد شنَّع عليهم علماؤنا كثيرًا في كتب الاعتقاد، تجد هذا كما قلنا في كتاب الرد على المريسي، وكتاب الإبانة، والحيدة لعبد العزيز الكناني؛ لأن "جعل" إذا نصبت مفعولًا واحدًا كانت بمعنى خلق أو التصيير والتقدير، وإذا نصبت مفعولين كانت بمعنى صيَّر، وأنزل، وقدَّر، إلى غير ذلك من المعاني البعيدة عن الخلق، اقرأ قول الله تعالى: ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنّورَ﴾[الأنعام: ١]، "جعل": هذا فعل ماضي مبني على الفتح، الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود عليه-سبحانه وتعالى- ﴿الظُّلُماتِ﴾: مفعول به منصوب بالكسرة؛ لأنه جمع مختوم بالألف والتاء، ﴿وَالنُّورَ﴾: معطوفة، إذًا هنا "جعل" نصبت مفعولًا واحدًا أم مفعولين؟ إذًا هذه بمعنى خلق، طيب.

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذينَ هُم عِبادُ الرَّحمنِ إِناثًا﴾[الزخرف: ١٩]، ﴿وَجَعَلُوا﴾: فعل وفاعل، ﴿المَلائِكَةَ﴾: المفعول الأول، ﴿الَّذينَ هُم عِبادُ الرَّحمنِ﴾: صلة الموصول، وصف للمفعول الأول، ﴿إِناثًا﴾: المفعول الثاني، من جهة العقل ومن جهة اللغة هل هم خلقوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا؟ أم صيَّروهم؟ صحيح؟ وأنزلوهم منزلة الإناث.

فإذًا "جعل" إذا جاءت تنصب مفعولين فهي بمعنى صيَّر وقدَّر، مفعولًا واحدًا بمعنى: خلق، نعم.

قال تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ أي صيروا واعتقدوا ذلك مع أنها نصبت مفعولا واحدا، وأما في المفعولين فلا تحتمل الخلق كما في الآية التي استدلوا بها.

الدرس السابع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في الكلام على ما ذكره الحافظ الإسماعيلي -رحمه الله- في (**اعتقاد أئمة الحديث**) ضمن كلامه على الإيمان بالقضاء والقدر.

قال -رحمه الله- بعد أن تكلم عن مرتبة العلم ومرتبة المشيئة قال: (**ويقولون: إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله -عَزَّ وَجَلَّ- وإن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وإن الله يهدي من يشاء، ويُضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولا عذر، كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُل فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَو شاءَ لَهَداكُم أَجمَعينَ﴾[الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿كَما بَدَأَكُم تَعودونَ * فَريقًا هَدى وَفَريقًا حَقَّ عَلَيهِمُ الضَّلالَةُ﴾[الأعراف: ٢٩-٣٠]، وقال: ﴿وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ﴾[الأعراف: ١٧٩]، وقال: ﴿ما أَصابَ مِن مُصيبَةٍ فِي الأَرضِ وَلا في أَنفُسِكُم إِلّا في كِتابٍ مِن قَبلِ أَن نَبرَأَها﴾[الحديد: ٢٢] قال: ومعنى ﴿نَبرَأَها﴾: نخلقها، قال: بلا خلاف في اللغة**).

هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر، قلنا إن المراتب أربعة:

- العلم.
- والكتابة.
- والمشيئة.
- والخلق.

وهذا هو ترتيبها، لكن المصنف -رحمه الله- بدأ بالمشيئة، ثم ثنَّى بالعلم، ثم ذكر بعد ذلك مرتبة الخلق.

وهذه المرتبة -أعني مرتبة الخلق- المراد بها: أن الله خالق كل شيء، ويدخل في ذلك أفعال العباد، فلا يقع شيء في هذا الكون إلا وهو خالقه -سبحانه وتعالى-.

وقد دل على هذه المرتبة كثير من الآيات والأحاديث، فمن ذلك: ما جاء في قصة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- مع قومه، ﴿قالَ أَتَعبُدونَ ما تَنحِتونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُم وَما تَعمَلونَ﴾[الصافات: ٩٥-٩٦]، أي: خلقكم وعملكم.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾[الزمر: ٦٢]، وهذه كذلك كلية عامة، فكل ما يصدق عليه أنه شيء ومخلوق يدخل تحت هذه الآية.

وقال في آية أخرى: ﴿ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم لا إِلهَ إِلّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾[الأنعام: ١٠٢].

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع»، فكل شيء بإرادته وخلقه -سبحانه وتعالى-.

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»، فهذه كلية لا يخرج عنها شيء، «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»،

وكان الصحابة يقولون:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا صُمنا ولا صلينـــا

وهذا فيه أن أفعال العباد مخلوقة لله -سبحانه وتعالى- وأنه هو الذي قدَّرها.

فأنزلن سكينـــة علينـــا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنـــة أبينـــا

هذه مرتبة الخلق، نازع في ذلك المعتزلة، وكذلك الجبرية، ونازع في ذلك أيضًا -كما سنرى اليوم- الملاحدة.

أما المعتزلة: فقد نازعوا في هذه المرتبة بسبب خلطهم في مسألة الإرادة، كنا قد ذكرنا في الدرس الماضي أن الإرادة تنقسم بخلاف المشيئة، فالإرادة منها إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعية، التي تُرادف المحبة والرضا.

المعتزلة قالوا: كل ما أراده الله فهو يُحبه، إذا أراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- شيئًا فلا شك أنه يحبه، والله -سبحانه وتعالى- قال في قرآنه: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ**﴾[البقرة: ٢٠٥]، فالله لا يحب الفساد، إذًا ما أراده في هذا الكون إذًا الفساد والظلم والمعاصي ليست من خلق الله، فجعلوا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- غير خالق لأفعال العباد، إذ كيف يخلق الله المعاصي والشرور في هذا الكون ويقع فيها العبد ثم هو يحاسبه عليها بعد ذلك، بل ويُدخله النار؟! هكذا قالوا. فلما غالى هؤلاء في مسألة تنزيه الله -سبحانه وتعالى- وظنوا التعارض بين ما هو كوني قدري وما هو شرعي وخلطوا بين الأمرين نفوا خلق أفعال الله للعباد، فقالوا: الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا يخلق أفعال العباد، هو خالق كل شيء إلا أفعال العباد.

ونازعت طائفة أخرى في هذه المسألة، وهي طائفة الجبرية، فإن الجبرية كذلك خلطوا في مسألة الإرادة، فقالوا: ما من شيء يريده الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إلا وهو يحبه، فكل ما يقع في هذا الكون فهو محبوب من قِبل الله، وبالتالي قالوا: نحن مجبورون على أفعالنا، وما نحن إلا كالريشة في مهب الريح، ليس لنا قدرة ولا اختيار، وليس للعبد فعل البتة، وما نقع فيه من الذنوب والمعاصي إنما هو أمر محبوب مُراد من قِبل الله -سبحانه وتعالى- وكانوا يُرددون قول القائل:

ألقاه في اليم مكتوفًا ثم قال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

فلو قلت لي: لا تفعل هذه المعصية، فأنت-على قولهم- تأمرني بما لا أستطيع، لماذا؟ لأن الله خلق المعصية، وإذا خلقها فهو يُحبها ويريدها، حاشاه -سبحانه وتعالى- يقولون:كيف يكون الله خلقها فيّ وأجبرني عليها ثم بعد ذلك تأمرني أن أتركها؟ ما أنا تجاه هذه المعصية إلا كرجل مكتوف أُلقي في النهر أو في الماء ثم أنت بعد ذلك تقول لي: لا تبتل بالماء، فهذا خلط عجيب بسبب ماذا؟ بسبب عدم فهم مسألة الإرادة، وأنها تنقسم، والصحيح كما قررنا وكررنا لخطورة الأمر أن المشيئة لا تنقسم، وليس من شرط ما يريده الله كونًا وقدرًا وما يُقدره وما يشاؤه أن يكون محبوبًا له، فهل المعاصي من خلق الله؟ نعم من خلق الله، هل الشرور من خلق الله؟ نعم من

خلق الله، خلقها لماذا؟ لكي نقع فيها؟ لكي نحبها؟ هو يحبها –سبحانه وتعالى-؟ كل ذلك جوابه بالنفي؛ فالله لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وإنما خلقها لحكمة، وجعل فيك إرادة، ومشيئة، واختيار، وعزيمة، وأنزل لك الكتب، وأرسل لك الرسل، وهداك النجدين، وبيَّن لك طريق الجنة وطريق النار.

إذًا العبد ليس مجبورًا على أفعاله، والله ما خلق هذه الأمور إلا لحكمة، بدليل: أنك تستطيع أن تفعل الشيء وإذا أردت أن تكف عنه كففت، فليس كل ما خلقه الله يحبه –سبحانه وتعالى– وإلا فهل الله يحب إبليس؟ هل الله يحب المسيح الدجال؟ هل الله يحب المعاصي؟ لا يحب هذه الأمور، وإنما خلقها لأمور عظيمة، لتقوم سوق الجهاد، ليميز الله الطيب من الخبيث، لتظهر بعض صفات المؤمنين، من الصبر، والجلد، ومحاربة الشيطان، ومجاهدته، لترتفع منزلة بعض الناس على بعض، فالناس ليسوا على درجة واحدة، وإنما هم درجات، ليبتلي الله العباد ويختبرهم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ وَالبَحرِ﴾، وهو من خلق الله، ﴿بِما كَسَبَت أَيدِي النّاسِ لِيُذيقَهُم بَعضَ الَّذي عَمِلوا﴾، ما الحكمة من ذلك؟ ﴿لَعَلَّهُم يَرجِعونَ﴾[الروم: ٤١]، فهذه هي الحكمة من خلق ما لا يرضاه –سبحانه وتعالى– في خلقه .

فأفعال العباد التي حدث فيها النزاع بين الفرق الإسلامية انقسم فيها الناس إلى فِرق ثلاثة، أو قل: إلى فِرق أربعة:

- **الفرقة الأولى**: فهي الجبرية الخالصة، الذين يقولون بالجبر، إن العبد مجبور على أفعاله، ليس له مشيئة، ولا اختيار، ولا إرادة، فهؤلاء جهمية، يقولون: أفعال العباد مخلوقة، والإنسان ليس إلا كريشة في مهب الريح، وبعضهم إذا رأى زوجته –عياذًا بالله– يُفجَر بها يسكت عن ذلك، لماذا؟ لأن الله قدَّر ذلك، لا نستطيع أن نُغير هذا الأمر، ولهم في ذلك قصص مشهورة ذكرها ابن القيم –رحمه الله– في شفاء العليل
- **والفرقة الثانية**: الجبرية المتوسطة، وهم الأشعرية، يقولون: أفعال العباد مخلوقة لله –سبحانه وتعالى– لكن ما مدى تعلق فعل العبد بالمفعول؟ يعني هل العبد له تأثير في فعله؟ إذا أراد العبد أن يقطع الرغيف بالسكين، هل هذا الفعل من العبد له تأثير؟ ليس له تأثير، يقولون: حدث القطع عند وضع السكين على الرغيف، لا بالسكين، فهم ينفون كل باء للسببية، فليس للعبد تأثير، وإنما الذي قطع هو الله، فلا يُثبتون تأثيرًا للعبد

في أفعاله، ولذلك يؤول أمرهم إلى أن يكونوا كذلك جبرية، وسموا هذه المسألة بمسألة الكسب، وهي من الأمور الغرائب التي لم يفهمها الناس عن أبي الحسن الأشعري، ليس لها حقيقة كما يقول بعضهم، هذه المسألة ليس لها حقيقة، كيف يكون فعل العبد ليس له تأثير في المفعول؟ من الذي يصلي؟ من الذي يصوم؟ من الذي يحج؟ من الذي يسعى ويقوم ويقعد؟ هل هو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-؟ ليس الله -سبحانه وتعالى- من الذي إذا أكل شبع؟ وإذا عطش شرب فروي؟ هذا هو العبد، ففعل العبد له تأثير.

- **والفرقة الثالثة**: هي فرقة القدرية المعتزلة، هؤلاء نفوا خلق الله لأفعال العباد، ماذا أرادوا من ذلك؟ أرادوا تنزيه الله -عَزَّ وَجَلَّ- قالوا: لأن الله لو خلق أفعال العباد ففي أفعال العباد المعاصي، إذ كيف يخلق فيهم المعاصي ثم يعذبهم عليها بعد ذلك؟ ومن ثم أثبتوا خالقين، فكانوا كالمجوس، وهم مجوس هذه الأمة، جعلوا خالقًا للخير وهو الله، وخالقًا لفعله وهو العبد، ويدخل في فعله فعل الشر، فلما أثبتوا ذلك وأرادوا التنزيه وقعوا فيما يخالف ما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعليه سلف الأمة، وكل ذلك بسبب ماذا؟ أنهم خلطوا بين الإرادتين، المعتزلة يقولون: كل ما أراده الله فهو محبوب، والله قال في كتابه: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾[البقرة: ٢٠٥]، ونهى عن الفساد، ونهى عن الكفر، إذًا هذا ليس من خلقه، والجبرية خلطوا بين الإرادتين، قالوا: كل ما أراده الله فهو محبوب، إذًا لا ضير في أن نحتج بالقدر على فعل المعاصي، فصاروا كإبليس، لأن إبليس قال: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر: ٣٩]، احتج بالقدر على فعل المعصية.

وأما أهل السنة والجماعة فجمعوا بين الشرع والقدر، فالله خالق أفعال العباد جميعها، وهذا هو القدر، والله أعطى العبد قدرة ومشيئة واختيارًا وعزيمة، وأنزل الكتب وأرسل الرسل، وهذا هو الشرع.

إذًا ما كان مُبغَضًا لله -سبحانه وتعالى- فيما قدَّره كونًا وقدرًا ابتلاءً هذا قابلوه بماذا؟ قابلوه بالشرع، وما كان محبوبًا لله -سبحانه وتعالى- وقدَّره هذا كذلك قابلوه بالشرع، أما الأول فانتهوا عنه، تركوا الكفر، والمعصية، والذنوب، والبدعة، وغير ذلك، وأما الثاني فأقبلوا عليه، فجمعوا بين الشرع والقدر، لأن الله يفعل ما يشاء، ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء، وهو لا يحب الفساد -سبحانه وتعالى-.

- **وأما الفرقة الرابعة**: وهي الجبرية المعاصرة، وهم الملاحدة، الملاحدة: قوم يُنكرون وجود الله –سبحانه وتعالى– ويقولون: إن هذا الكون وُجد صدفة، وحدث عن انفجار عظيم، في الأزل وقع انفجار في هذا الكون، وهذا الإنفجار العشوائي نشأ عنه هذا الكون المنظم، متناقضون، العشوائية لا ينشأ عنها إلا العشوائية، هل ينشأ عن هذا الإنفجار العشوائي هذه الشمس التي تجري لمستقر لها؟ هذا القمر الذي قدَّره الله منازل؟ هذا الليل والنهار الذي يُولج الله بعضه في بعض؟ هذه الفصول الأربعة؟ الحر والبرد؟ اختلاف الناس في ألوانهم، وطبائعهم، وأخلاقهم، وأشكالهم؟ بل اختلاف البصمات في هذه الأنامل اليسيرة؟ هذا النظام الموجود في ذرات العالم وفي بروتوناته وفي غير ذلك من مكوناته، هذا النظام الموجود في جسم الإنسان، مراحل تكون الجنين في بطن الأم، هذه الأمور مُنظمة ودقيقة جدًا وتتم بإحكام شديد، هذا الإنفجار العشوائي ينشأ عنه هذا النظام العجيب! يقولون: لا خالق لهذا الكون، إذن كيف نشأ هذا الكون؟ يقولون: نشأ عن طريق هذا الانفجار، وهم في نفس الوقت يُقدسون المادة جدًا، ويُقدسون العلوم الكونية والتجريبية، فلا يؤمنون بما هو غيب، طالما أنه لا يرى شيئًا أمامه لا يؤمن به، لا يؤمن بآخرة، ولا يؤمن ببعث، ولا يؤمن بجنة ولا نار، ولا بعذاب قبر، ولا غير ذلك، وإنما يؤمنون بهذه الطبيعة، ويقولون: إن هذه الطبيعة من عادات وتقاليد وتجارب وغير ذلك لها تصرف في كل شيء في هذا الكون، فتراهم مثلًا يُفسرون الأخلاق بأن الإنسان مجبور عليها بسبب طبيعة مجتمعه، أو عاداته وتقاليده التي نشأ عليها، لا يستطيع أن يُغيرها، وكذلك الصفات، هذه تطورت معه، يقولون: أصل الإنسان لم يكن إنسانًا، ينكرون ما جاء في القرآن من أن آدم خُلق من تراب، ومن أن آدم أول البشر، إذن: ما أصل الإنسان؟ اختلفوا، فمنهم قال: أصل الإنسان سمكة، والله هذا صحيح، أصل الإنسان كان سمكة، والمشهور عنهم أنهم قالوا: أصل الإنسان القرد، فأنت تريد أن تُقنعهم أن أصلهم أبوهم آدم أصل شريف مُكرم من قِبل الله، ويأبى هو إلا أن يكون أصله قردًا. ما الذي حدث؟ تطور بسبب الانتخاب الطبيعي والتطور العشوائي، ولا نستطيع أن نغيره، تطور هذا الأبعد من القرد حتى صار إنسانًا، فهم كذلك مُجبرة، يقولون بقول الجبر.

ولكن ما الفرق بينهم وبين الجبرية الأول؟ الجبرية الأول: نسبوا الجبر لله، قالوا: الله هو الذي جبرنا على ذلك، وليس لنا إرادة، ولا مشيئة، ولا اختيار، هؤلاء يقولون ماذا؟ الذي جبرنا على ذلك الطبيعة.

وتجد هذا فيما يُدرَّس للطلاب في الثانوية والجامعات، يعني أشهر هؤلاء فرويد العالم النفسي، صاحب نظرية الجنس والشهوات والغريزة، التي يُراد منها أن تنتشر بين الشباب وأن تكون حقيقة مُسلَّمة، الإنسان رجل أو مخلوق شهواني، شئت أم أبيت، هذه غريزة فيه لا يستطيع أن يغيرها.

وهذا يفسر لك هذا الذي حدث مؤخرًا، حدثت حفلة في مصر، وهذه الحفلة رُفع فيها علم للوطيين، الذين يُسمون بالمثليين، وهذا من تسمية الأشياء بغير اسمها، كما يسمون الخمر مشروبات روحية، والزنا زواجًا عرفيًا، كذلك يُسمون اللوطيين الذين يفعلون فعل قوم لوط يُسمونهم بالمثليين، أي: هذا رجل يميل إلى رجل مثله، فما كان من رجل إلا أن –ليس برجل– ما كان من أحدهم إلا أن رفع هذا العلم، فاعترض الناس، وقامت الحكومة بالقبض عليهم، فما كان من الملاحدة إلا أن اعترضوا، وقالوا: هذا أمر جيني موجود في بعض الناس، يعني بعض الناس مخلوقون بهذه الجينات، موجود جين وراثي في جسده يجعله يميل تلقائيًا إلى رجل مثله، وليس ذلك راجعًا إلى فساد وانحراف، ولا إلى تغير عادات وتقاليد وغير ذلك، لا يستطيع أن يُغيرها، جبرية، وأرادوا أن يُدللوا على ذلك بما أراده الغرب من نشر لذلك بين الناس.

لابد أن نعرف شيء مهم جدًا وننتبه له: ليس كل ما يقوله الغرب من نظريات تكون هذه النظريات قائمة على الحيادية المطلقة، وهذا بكلام مُنظريهم، يقولون: إذا أرادوا أن يُقنعوا الناس بشيء حتى في العلوم التجريبية، أقنعوا الناس به، وتجد هناك العشرات من المعارضين لمثل هذه النظريات، فنظرية التطور مثلًا، إن أصل الإنسان كان قردا، هذه النظرية التي يعترض عليها في الغرب يُجرد من كل المناصب، ولا يُرقَّى في الجامعات، ولا يُصدَّر للتدريس، كذلك هذه النظرية مسألة وجود الجين لهذا المثلي أو اللوطي في الرجل، أرادوا أن يُدللوا على ذلك، فقالوا: وما العيب في ذلك؟ وما الغرابة في ذلك؟ وهناك أكثر من مائة وثلاثين نوعًا من الطيور يمارس هذا الفعل، الذكر مع الذكر، وأخذ الملاحدة العرب الأغبياء ينشرون هذا الكلام، وهذا كلام باطل، هذا بلسان علماء الغرب، يقولون: هب أن هذا قد ثبت في الطيور، يا علماء التجريب هذا لم يثبت في الإنسان، فكيف تقيس الإنسان على الطير والحيوان؟ بل الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– في القرآن قال عن هذه الفاحشة: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن أَحَدٍ مِنَ العالَمينَ﴾[الأعراف: ٨٠]

ولكن ما الفرق بين الجبر عند هؤلاء وعند الجبرية الأولون؟ قلنا: إن الجبرية الأولين نسبوا ذلك إلى الله، أما هؤلاء فنسبوه إلى الطبيعة والعادات، وكل هؤلاء مُخطئون ضُلَّال؛ لأنه لا تعارض بين الشرع والقدر.

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم وما تعملونَ﴾[الصافات: ٩٦]، أي: والله خلق العابد والمعبود، هو الذي خلق العابد وهو الذي خلق الصنم الذي صنعه وفعله، وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن الله خلق كل صانع وصنعته»، وهذا صححه الألباني، فأهل السنة والجماعة يقولون:

إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله، وإن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وإن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ولا حجة لمن أضل، هل الذي أضله الله له حجة عند الله يحتج بها عند الله؟ لماذا أضللتني؟ ليس له حجة ولا عذر عند الله، لماذا؟ لأن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب، ولذلك قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَفَرَأَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلمٍ﴾[الجاثية: ٢٣]، قال ابن القيم: "**أضله الله عالمًا به، وبأقواله، وما يناسبه، ويليق به، وأنه أهل للضلال وليس أهلًا أن يُهدَى**"، لأن الله قال: ﴿فَلَمّا زاغوا أَزاغَ اللَّهُ قُلوبَهُم﴾[الصف: ٥]، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُم وَأَبصارَهُم كَما لَم يُؤمِنوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُم في طُغيانِهِم يَعمَهونَ﴾[الأنعام: ١١٠]، فنسب الفعل لهم، فالضلال منهم، والغي منهم، والانصراف منهم، ورتَّب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على ذلك أن أضلهم -سبحانه وتعالى-.

وكذلك مما يدل على هذه المرتبة: ما قاله أبو بكر الآجري -رحمه الله- قال: "يقال للقدري"، يعني الذي يقول إن الشر ليس مخلوقًا من قِبل الله، "يا من لعب به الشيطان، يا من ينكر أن الله تعالى خلق الشر، أليس إبليس أصل كل شر؟ أليس الله خلقه؟" بماذا يجيب؟ لن يجد إلا أن يجيب ببلى، الله هو الذي خلق إبليس، وهو الذي خلق الشر -سبحانه وتعالى- ولكن ما خلقه لكي نحتج به، لا نحتج بالقدر على فعل المعصية، وإنما يُحتج بالقدر على المصيبة، إذا وقع المرء في مصيبة، فقد مالًا، أو ولدًا، أو أُصيب بمرض، أو غير ذلك، هذا هو الذي للمرء أن يحتج فيه بالقدر، ليُخفف هذا الأمر، ولأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن

ليُصيبه، وأن الله لا يُقدِّر لعبده المؤمن إلا كل خير، فنحتج بالقدر على المصائب، ولا نحتج بالقدر على المعائب، يعني على الذنوب والمعاصي.

وهذا هو التفسير الصحيح لمحاجة آدم لموسى- عليهما السلام-، لأنه لما قال: خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة، فاحتج عليه آدم -عليه الصلاة والسلام- بأن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، كتبه الله عليه، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى»، فغلط من لا يفهم وظن أن آدم -عليه الصلاة والسلام- احتج بالقدر على فعل المعصية، ما احتج على فعل المعصية، وآدم -عليه الصلاة والسلام- أنبل من ذلك، من أن يحتج بالقدر على المعصية التي وقع فيها، ولكن احتج بذلك على القدر الذي قدَّره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أزلًا، ما هذا القدر؟ أن الله ما خلق آدم ابتداءً للجنة، قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠]، إذًا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- خلق آدم ابتداءً لكي يُعمر الأرض، ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[البقرة: ٣٥]، هذا كان ابتداءً من أجل أن يكون هذا الأمر بينه وبين إبليس، لتقع العداوة بين أبينا آدم وذريته وإبليس بعد ذلك، ولذلك الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول كثيرًا في قرآنه الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[الأعراف: ٢٧]، ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: ٣١]، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[يس: ٦٠]، لماذا يُخاطبنا بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾؟ ليُذكرنا بالعداوة التي كانت بين أبينا آدم وبين الشيطان، ولكي لا نكون في جنب الشيطان، ولكن واجب علينا أن نُعاديه، فلا نحتج بالقدر على المعائب، وإنما يُحتج به على المصائب.

وقد يُحتج بالقدر على المعائب بعد التوبة منها، فإذا استقام امرؤ على طاعة الله، وكان قبل ذلك مقارفًا لبعض الذنوب والمعاصي، فتجد بعض شياطين الإنس: يقول يعني خذنا تحت جناحك يا عم الشيخ، انت كنت بتعمل وتسوي وكذا وكذا وكذا، يريد أن يُخذله وأن يُعيده مرة أخرى إلى ما كان عليه، يقول: قد تاب الله عليَّ، وكل أمر بقضاء الله وقدره، هذا أمر قدَّره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عليَّ والحمد لله الذي نجاني منه، وهذا وجه ذكره ابن القيم -رحمه الله- في شفاء العليل، أن المرء قد يجوز له أن يحتج بالقدر على المعصية ولكن متى؟ بعد التوبة، وليس أثناء مواقعة المعصية، ولكن بعد أن يتوب منها، طيب.

كذلك يُقال: إذا كان الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هو خالق الشر، فهل في أفعال الله شر؟ فعله هو سبحان، صفاته، هل فيها شر؟ ليس فيها شر، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**والشر ليس إليك**»، يعني ليس في فعل الله، وإنما هو في مخلوقاته ومفعولاته -سبحانه وتعالى- والشر الذي في مخلوقاته ليس شرًا محضًا، وإنما هو شر فيه خير، لماذا؟ لأنه يترتب عليه حِكم عظيمة، والعلماء يضربون المثل بالدواء، الدواء مر، صحيح؟ إذًا فيه شر، لا يستسيغه الإنسان، ومع ذلك لماذا يشربه الإنسان؟ لكي يحصل الشفاء بإذن الله -سبحانه وتعالى- الطبيب إذا لم يجد إلا أن يقطع يد المريض، هذا شر، صحيح؟ عنده سكر، أو دبت الغرغرينا في جسده، نسأل الله العافية، فالغرغرينا دبت في هذه الذراع، ليس أمامه إلا أن يقطعها، فهذه مفسدة صغرى من أجل دفع مفسدة كبرى، فهذا الشر ليس لذاته، وإنما هو لغيره، فليس في الكون شر محض، حتى إبليس ليس شرًا محضًا؛ لأن مخالفة إبليس يترتب عليها أمور عظيمة، يكفي أن المرء بمخالفة إبليس ينال مرضاة الله -سبحانه وتعالى-.

فقال ها هنا: (**وقال مخبرًا عن أهل الجنة**: ﴿**الحمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ**﴾[**الأعراف: ٤٣**]).

فالهداية كذلك من خلق الله وقِبله -سبحانه وتعالى- والهداية أنواع:

- هناك هداية عامة لجميع الخلق، ﴿**سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعلَى * الَّذي خَلَقَ فَسَوّى * وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدى**﴾[الأعلى: ١-٣]، فهدى جميع خلقه لأرزاقهم، ترى الجنين بمجرد أن يُولد يبحث عن ثدي أمه، في جميع المخلوقات التي تلد، الرضيع -رضيع البهيمة- بمجرد أن يقف بعد ولادته يبحث عن ثدي أمه، من الذي علَّمه وفطره وهداه؟ الله الذي هداه، وفطره -سبحانه وتعالى- قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة طه: ﴿**الَّذي أَعطى كُلَّ شَيءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدى**﴾[طه: ٥٠]، هذه الهداية العامة.

- النوع الثاني من الهداية: وهي هداية البيان والإرشاد، وهي الهداية المثبتة للأنبياء والرسل والعلماء والصالحين، أنهم يدعون ويهدون ويرشدون الناس إلى الخير والحق، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهدي إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ**﴾[الشورى: ٥٢].

- والنوع الثالث من الهداية: وهي هداية التوفيق، وهذه ليست إلا لله -سبحانه وتعالى- ليست لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لأحد من خلقه، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّكَ لا تَهدي مَن أَحبَبتَ﴾[القصص: ٥٦].

ولا تعارض بين الآيتين، فالنبي يهدي هداية الإرشاد وليس له هداية التوفيق؛ لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ولو كانت هداية التوفيق بيد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لهدى عمه أبا طالب، ما استطاع أن يهدي عمه أبا طالب إلى الحق، لماذا؟ لأن الله ما أراد ذلك -سبحانه وتعالى-.

- **والنوع الرابع:** وهي الهداية يوم القيامة إما إلى الجنة وإما إلى النار، يقول أهل الجنة: ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ لَقَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ وَنودوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أورِثتُموها بِما كُنتُم تَعمَلونَ﴾[الأعراف: ٤٣].

قال: (**وقال مخبرًا عن أهل الجنة:** ﴿الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ﴾، **وقال:** ﴿لَو يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النّاسَ جَميعًا﴾**[الرعد: ٣١]**).

وقال عن أهل النار الذين هم أهلها: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾

فكله يرجع لمشيئة الله -سبحانه وتعالى- العبد له مشيئة، ﴿وَما تَشاءونَ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ﴾[التكوير: ٢٩]، لك مشيئة واختيار ولكن هذه المشيئة لا تخرج عن مشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

وقال: ﴿وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالونَ مُختَلِفينَ * إِلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٨-١١٩]، والمرء بيده أن يخرج من الاختلاف إلى الرحمة، ومن العذاب إلى الرحمة، باتباعه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وباللحوق بالفرقة الناجية، فهذه هي الفرقة التي لها الرحمة، فهذا كذلك يدل على أن الأمر بيد الله -سبحانه وتعالى-.

قال: **(ويقولون: إن الخير والشر والحلو والمر بقضاء من الله -عَزَّ وَجَلَّ- أمضاه وقدّره، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله، وإنهم فقراء إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا غنى لهم عنه في كل وقت)**.

وقد سبق أن ذكرنا حديث جبريل -عليه السلام- الذي قال فيه: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»، وقال كذلك الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وذكرنا الإجماع على ذلك.

بل قال أحمد بن يحيى الثعلب قال: "لا أعلم عربيًا قدريًا"، قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقدر، قال: "معاذ الله، ما في العرب إلا مُثبت للقدر خيره وشره، أهل الجاهلية والإسلام ذلك في أشعارهم وكلامهم كثير" ذكره اللالكائي.

وقال عمر بن عبد العزيز: "لو شاء الله ألا يُعصَى ما خلق إبليس"، وهو رأس الخطيئة، فلو شاء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ألا يُعصَى ما خلق إبليس، ولكن خلق هذه الأمور كما قلنا لحِكم عظيمة.

ثم تكون بعد ذلك المرتبة الرابعة التي لم يذكرها المصنف -رحمه الله- وهي مرتبة الكتابة، وهذه المرتبة هي المرتبة الثالثة في عد مراتب القضاء والقدر، ومعنى هذه المرتبة -مرتبة الكتابة-: أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بعد علمه بما يفعله الخلق كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ، في كتاب لم يُفرط فيه الله من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِم يُحشَرونَ﴾[الأنعام: ٣٨]، والراجح أن الكتاب ها هنا: هو اللوح المحفوظ وليس القرآن؛ لأن هذه الآية في سورة الأنعام، وسورة الأنعام مكية، ولم يكن قد نزل الحلال والحرام في باقي السور، فالمقصود بالكتاب ها هنا: اللوح المحفوظ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَد كَتَبنا فِي الزَّبورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ﴾، الزبور هذا الكتاب الذي أنزله الله على داوود، ﴿مِن بَعدِ الذِّكرِ﴾ ما هو الذكر؟ اللوح المحفوظ، ﴿أَنَّ الأَرضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحونَ﴾[الأنبياء: ١٠٥].

وقال في قصة أسرى بدر قال: ﴿لَولا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فيما أَخَذتُم عَذابٌ عَظيمٌ﴾[الأنفال: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَم تَعلَم أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ ما فِي السَّماءِ وَالأَرضِ إِنَّ ذلِكَ في كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ﴾[الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَما مِن غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالأَرضِ إِلّا في كِتابٍ﴾[النمل: ٧٥]، ﴿وَما مِن غائِبَةٍ﴾، وهذه الآية عامة، بل هي نص في العموم؛ لأن "من" دخلت على النكرة المنفية، فتفيد النصية، فما من غائبة، ما من أمر يخفى في أسرار العالم العلوي والسفلي إلا في كتاب مبين.

وقال تعالى في آية جمعت بين مرتبتي العلم والكتابة: ﴿وَما تَكونُ في شَأنٍ وَما تَتلو مِنهُ مِن قُرآنٍ وَلا تَعمَلونَ مِن عَمَلٍ إِلّا كُنّا عَلَيكُم شُهودًا إِذ تُفيضونَ فيهِ وَما يَعزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثقالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصغَرَ مِن ذلِكَ وَلا أَكبَرَ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ﴾[يونس: ٦١].

وأما سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» -سبحانه وتعالى-.

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما من نفس منفوسة إلا وكتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كُتبت شقية أو سعيدة»، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ إذا كان الله فرغ من مصائر العباد، مصير العباد، ألا نتكل على القدر؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة»، يُوفَّق بعد أخذه بالأسباب، «ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة»، ثم قال: «اعملوا، فكل مُيسَّر لما خُلق له»، أما أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿فَأَمّا مَن أَعطى وَاتَّقى * وَصَدَّقَ بِالحُسنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرى * وَأَمّا مَن بَخِلَ وَاستَغنى * وَكَذَّبَ بِالحُسنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرى﴾[الليل: ٥-١٠]، قدَّم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فعل العبد، قدَّم تصديقه للخبر وفعله للطلب، تنفيذه للطلب، قال: ﴿فَأَمّا مَن أَعطى وَاتَّقى﴾، هذا تنفيذ

الطلب، ﴿وَصَدَّقَ بِالحُسنى﴾ هذا تصديق الخبر، قال: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرَى﴾ قال: ﴿وَأَمّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَى﴾ هذا ما صدَّق أو ما نفَّذ الطلب، ﴿وَكَذَّبَ بِالحُسنَى﴾، ومن صدَّق الخبر، قال: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرى﴾.

وفي حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «رُفعت الأقلام، وجفت الصحف»، لأن الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– لما قال للقلم: اكتب قال: وما أكتب؟ قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: «اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»، فجرى القلم بما قدره الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– وذلك أول ما خلق الله القلم.

فهذه هي مراتب القدر الأربعة، من يستطيع أن يذكرها مرة ثانية؟

الطالب: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

هذه المراتب مرتبتان قبل المقدور، يعني قبل وقوع الفعل الذي قدره الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– ومرتبتان مع المقدور.

أما المرتبتان اللتان قبل المقدور فهما: العلم والكتابة، هذه تكون قبل المقدور.

وأما المرتبتان اللتان تكونان مع المقدور: المشيئة والخلق.

والقدر نوعان:

- قدر مُبرم.

- وقدر مُعلق على سبب.

وهذا يحل لك إشكالات كثيرة.

أما القدر المُبرم: فهو الذي لا يتغير أبدًا، ككتابة الله لمقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، وكذلك ما كان من أخذ الميثاق على آدم وعلى ذرية آدم وهم في عالم الذر، أشهدهم على أنفسهم بعد أن مسح الله ظهر أبينا ادم بيده –سبحانه وتعالى– ونثرهم أمامه، ﴿وَأَشهَدَهُم عَلى أَنفُسِهِم

﴿أَلَستُ بِرَبِّكُم قالوا بَلى شَهِدنا أَن تَقولوا يَومَ القِيامَةِ إِنّا كُنّا عَن هذا غافِلينَ﴾[الأعراف: ١٧٢]، فلا يتغير هذا القدر أبدًا، وهذا قدر وقضاء مُبرم.

وهناك كذلك قدر معلق، نمهد لمعرفته:

كم نوع من القدر ذكرنا ؟ نوعين:

- القدر الأزلي، التقدير الأزلي في اللوح المحفوظ.

- وكذلك ما كان من أخذ الميثاق من آدم وذريته، صحيح؟

هناك نوع ثالث من القدر أو التقدير، وهو: التقدير العمري، وهذا مُعلق، وكذلك ما يتلوه من تقديرات هذه معلقة، التقدير العمري ورد في حديث عبد الله بن مسعود ﵁: حدثنا الصادق المصدوق -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا نصفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم ينفخ الله فيه الروح، ويُرسل له ملكًا وهو في بطن أمه، ويُؤمَر بكتب أربعة أشياء: عمره، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد»**، هذه الأمور الأربعة يكتبها الملَك. هل هذه الأمور من الممكن أن تتغير؟ نعم من الممكن أن تتغير، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«من أراد أن يُبسَط له في رزقه، وأن يُنسَأ له في أثره، فليصل رحمه»**، **«يُنسأ له في أثره»** أي أن يبارك ربنا في عمره، بدلا من كونه سيحيي خمسين سنة سيحيي ستين، أو ثمانين سنة، مع أن الملك لما ذهب وكتب والجنين في بطن الأم كتب ستين عامًا، ومع ذلك هذا الرجل من الممكن أن يعيش ثمانين عامًا، بسبب صلة الرحم، إذًا هذا تقدير معلق على العمل، إن قام العبد بهذا العمل زاد الله في عمره.

كل من المبرم والمعلق مكتوب في اللوح المحفوظ.

الطالب: **﴿يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ﴾**[الرعد: ٣٩].

الشيخ: نعم، **﴿يَمحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ﴾**، مما في صحف الملائكة، مما في أيدي الملائكة، الملك كتب ستين، لكن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- علق الزيادة على الفعل، فهذا تقدير معلق، وليس المقصود -على الصحيح مجرد البركة-، لأن بعض العلماء فسَّر ذلك بالبركة في الأعمال في هذا

العمر، يموت وذكره لا يزال خالدًا بين الناس، كتبه موجودة، والناس تستفيد بعلمه وعمله، لا، الصحيح أنه يُنسَأ له ويُبارك له في عمره.

قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «حسن الخلق وحسن الجوار يزيدان في الأعمار ويُعمران الديار»، هذه صريحة، «يزيدان في الأعمار».

إذًا هذا التقدير الثالث.

التقدير السنوي -وهذا التقدير الرابع-: وهو الذي يكون ليلة القدر، قال تعالى عن ليلة القدر في سورة الدخان قال: ﴿فيها يُفرَقُ كُلُّ أمرٍ حَكيمٍ﴾[الدخان: ٤]، فيُقدر الله في هذا العام أن هذا سيحج، وأن هذا سيموت، وأن هذا سيعتمر، وأن هذا سيتزوج، تنزل أقدار السنة في هذه الليلة، في ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان، وإنما التقدير السنوي في ليلة القدر.

التقدير الأخير: وهو التقدير اليومي، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ في شَأنٍ﴾[الرحمن: ٢٩]، يرزق هذا، ويحرم هذا -سبحانه وتعالى-.

هذه كانت خلاصة في هذا الباب، وهو باب القضاء والقدر، وإلا فالأمر يحتاج إلى مجالس عديدة لو بسطنا المسألة، لكن هذا التيسير إن شاء الله حل إشكالات كثيرة منها: أنه لا تعارض بين الشرع والقدر، ولا يجوز لإنسان أن يحتج بالقدر على فعل المعصية، ولا يجوز أن نقول كما تقول الملاحدة يقولون: إذا كان الله صاحب قدرة تامة وعلم تام فلماذا خلق الله الشر وهو يستطيع أن يستغني عنه؟ يُلبِّسون على ذلك بضعاف الإيمان من المسلمين، نقول لهم: خلق ذلك لحِكم عظيمة، ونحن لا نعلم الغيب، الواحد منا يصيبه الضرر ويعترض ويشتكي، وبعد ذلك يجد أن هذا الضرر كان منحة من الله، ﴿لا تَحسَبوهُ شَرًّا لَكُم بَل هُوَ خَيرٌ لَكُم﴾[النور: ١١].

عائشة -رضي الله عنها- لما تكلَّم من تكلَّم فيها، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات، هذا شر عظيم، ومع ذلك كان خيرًا، أين الخير؟ خُلِّد ذكرها في القرآن، وخُلِّدت براءتها وطُهرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في عشر آيات تُتلى إلى يوم القيامة.

قال تعالى في الجهاد: ﴿وَعَسى أَن تَكرَهوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُم﴾[البقرة: ٢١٦]، فالإنسان لا يعلم الغيب، والله لا يخلق الشر المحض -سبحانه وتعالى-.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.

الدرس الثامن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في الكلام على هذه المباحث الطيبة من كتاب (**اعتقاد أئمة الحديث**) للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي -رحمه الله-.

وكنا قد وقفنا عند قوله: (**وإنه -عز وجل- ينزل إلى السماء على ما صح به الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلا اعتقاد كيف فيه، ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله -عز وجل- في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل ذلك ثوابًا له في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال في الكفار: ﴿كَلّا إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَومَئِذٍ لَمَحجوبونَ﴾[المطففين: ١٥]، فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه كانوا بأجمعهم عنه محجوبين، وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله -عز وجل- ولا التحديد له، ولكن يرونه -جل وعز- بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف**).

المبحث الأول في الكلام عن صفة النزول، فالله -تبارك وتعالى- ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، يقول كما صح في الخبر المتواتر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟**»، فلا يزال ربنا -تبارك وتعالى- يقول ذلك حتى ينفجر الصبح، وهذا متواتر كما قلنا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذه المسألة مسألة عظيمة، خالف فيها أهل البدع، الذين نفوا صفات الله -تبارك وتعالى- من أجل ما اعتقدوه من أن إثبات ذلك يقتضي التشبيه، والمماثلة، والتجسيم، والمكان، والحيز، وغير ذلك من الألفاظ التي ابتدعوها.

والقاعدة عندنا: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[الشورى: ١١]، فنُثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، من غير تعطيل، ولا تحريف، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، كما بيَّن نبينا -صلى الله عليه وسلم- ومن ذلك صفة النزول، فالله -تبارك وتعالى- ينزل إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، ولا نقول كما يقول أهل البدع إن الذي ينزل هو الملَك، فان الملَك لا يقول: هل من داع فأستجيب له؟ وإنما الذي يستجيب ربنا -تبارك وتعالى- والملَك ليس من سلطانه أن يقول: هل من مستغفر فأغفر له، فالذي يغفر الذنوب جميعًا ربنا -تبارك وتعالى- ولا نقول كذلك: إن الذي ينزل الرحمة؛ لأن الرحمة لا تقول مثل هذا الكلام، ولأن رحمة ربنا -تبارك وتعالى- تنزل في كل وقت وحين، فرحمته وسعت كل شيء، ولذلك كان من أوسع أسمائه اسمه الرحمن، فسمى نفسه الرحمن؛ لسعة هذه الصفة، فنُثبت ما أثبته نبينا -صلى الله عليه وسلم- ولا نُعطِّل، ولا نُكيِّف، ولا نزيد على ما جاء في الخبر.

ولا يقال: إن ثلث الليل لايزال يختلف من مكان لمكان، فهل معنى ذلك أنه لا يزال صاعداً نازلا كما توهمه من توهمه كابن حزم عفا الله عنه:

معارضة ابن حزم لأحاديث النزول باختلاف ثلث الليل في أقطار الأرض وردّ شيخ الإسلام -رحمه الله: -

قال ابن تيمية رحمه الله:

"ومن هنا يظهر الجواب عما ذكره ابن حزم وغيره في حديث النزول حيث قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر"

فقالوا :قد ثبت أن الليل يختلف بالنسبة إلى الناس فيكون أوله ونصفه وثلثه بالمشرق قبل أوله ونصفه وثلثه بالمغرب!

قالوا :فلو كان النزول هو النزول المعروف للزم أن ينزل في جميع أجزاء الليل إذ لا يزال في الأرض ليل!

قالوا :أو لا يزال نازلا وصاعداً وهو جمع بين الضدين!

وهذا إنما قالوه لتخيلهم من نزوله ما يتخيلونه من نزول أحدهم وهذا عين التمثيل ثم إنهم بعد ذلك جعلوه كالواحد العاجز منهم الذي لا يمكنه أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن جمعه، وقد جاءت الأحاديث بأنه يحاسب خلقه يوم القيامة كل منهم يراه مخلياً به يتجلى ويناجيه لا يرى أنه متخلياً لغيره ولا مخاطباً لغيره ،وقد قال النبي –ﷺ–

"إذا قال العبد :الحمد لله رب العالمين يقول الله :حمدني عبدي، وإذا قال :الرحمن الرحيم، قال الله :أثنى على عبدي"

فكل من الناس يناجيه والله تعالى يقول لكل منهم ذلك، ولا يشغله شأن عن شأن.

وذلك كما قيل لابن عباس "كيف يحاسب الله تعالى الخلق في ساعة واحدة ؟!فقال :كما يرزقهم في ساعة واحدة"

ثم يقال لهؤلاء :أنتم تعلمون أن الشمس جسم واحد ،وهي متحركة حركة واحدة متناسبة لا تختلف ثم إنها بهذه الحركة الواحدة تكون طالعة على قوم وغاربة عن آخرين وقريبة من قوم وبعيدة عن آخرين فيكون عند قوم عنها ليل وعند قوم نهار وعند قوم شتاء وعند قوم صيف وعند قوم حر وعمد قوم برد؛ فإذا كانت حركة واحدة يكون عنها ليل ونهار في وقت واحد لطائفتين وشتاء وصيف في وقت واحد لطائفتين فكيف يمتنع على خالق كل شيء الواحد القهار أن يكون نزوله إلى عباده ونداؤه إياهم في ثلث ليلهم وإن كان مختلفاً بالنسبة إليهم ؟!

وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج أن ينزل على هؤلاء ثم ينزل على هؤلاء؛ بل في الوقت الواحد الذي يكون ثلثاً عند هؤلاء وفجراً عند هؤلاء يكون نزوله إلى سماء هؤلاء الدنيا وصعوده عن سماء هؤلاء الدنيا فسبحان الله الواحد القهار

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ {١٨٠} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {١٨١} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٢) [الصافات ١٨٠-١٨٢) بيان تلبيس الجهمية 54/4 ط. مجمع الملك فهد

قال: **(ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله -عز وجل- في القيامة دون الدنيا)**.

وهذه المسألة من أشرف مسائل الاعتقاد، مسألة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، ولذلك كثرت الأحاديث فيها كما سنرى، أحاديث الرؤية تواترت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي: وصلت إلى حد يمنع من تواطئ الرواة على الكذب، تواترت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وتلقاها أتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بقبول وارتياح وانشراح صدر، بل كلهم يسأل ربه -تبارك وتعالى- أن يرزقه هذا النعيم في الآخرة، فأعظم نعيم الآخرة أن يرى المسلم ربه -تبارك وتعالى-.

ولذلك قال ابن القيم -رحمه الله- في بيان فضل هذا النعيم قال: "فرؤية الله هي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، هذه الرؤيا اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأن ترها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عاكفون"، إلى آخر ما قال -رحمه الله- في كتابه العظيم **(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)**.

فهذه الرؤية عباد الله أمرها عظيم، أجمع عليها السلف، وجاء ذكرها في كتاب الله وفي سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أما الكتاب: فقد قال ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿**وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ**﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]، هذا هو أول دليل معنا في إثبات رؤية الله، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ**﴾ ما سبب هذه النضرة؟ ﴿**إِلَى رَبِّها ناظِرَةٌ**﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]، والنظر ها هنا لا يكون إلا بالعين المجردة، وليس معنى النظر ها هنا الانتظار، انتظار الثواب، ولكن هو النظر بالعين إلى الله -تبارك وتعالى- لأن النظر له استعمالات ثلاثة في لغة العرب وبها جاء كتاب الله:

- إن عُدِّي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، ما معنى عُدِّي بنفسه؟ أي: لا يحتاج حرف جر، فهذا معناه التوقف والانتظار، كما قال الله -تبارك وتعالى- عن المنافقين لما قالوا: ﴿انظُرونا نَقتَبِس مِن نورِكُم﴾[الحديد: ١٣]، ما معنى انظرونا؟ أي: انتظرونا.

- وإن عُدِّي بـ في فمعناه التفكر والاعتبار، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَوَلَم يَنظُروا في مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالأَرضِ﴾[الأعراف: ١٨٥]، وقال تعالى في سورة الغاشية: ﴿أَفَلا يَنظُرونَ إِلَى الإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت * وَإِلَى السَّماءِ كَيفَ رُفِعَت﴾[الغاشية: ١٧-١٨]، صحيح؟ لا، هذه الآية في النظر بالعين، أما إذا عُدِّي بـ في فقلنا المعنى التفكر والاعتبار.

- وأما إن عُدِّي النظر بـ إلى ﴿وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]، فهذا معناه المعاينة والإبصار، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿انظُروا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثمَرَ وَيَنعِهِ﴾[الأنعام: ٩٩]، وكما قال تعالى في سورة الغاشية: ﴿أَفَلا يَنظُرونَ إِلَى الإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت﴾، إلى آخر الآيات.

فالنظر إذا عُدِّي بـ إلى فلا يجوز أن يُصرف إلى الثواب، فكيف إذا أُضيف النظر في الآية إلى الوجه؟ فهذا مما يجعلنا نقطع أن النظر ها هنا لا يحتمل إلا معنى واحدًا وهو النظر بالعين، فكيف إذا وُصفت هذه الوجوه بالنضرة، ﴿وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ﴾، ووصفها بالنضرة يدل على أن هذه النضرة حصلت مع وجود ما يُتنعم به، مع وجود أمر لا تنغيص فيه، وهو رؤية الله -تبارك وتعالى-.

ولذلك أهل الجنة أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجعلنا منهم، أهل الجنة إذا رأوا ربهم -تبارك وتعالى- نسوا كل نعيم في الجنة، على ما هو من النعيم العظيم في الجنة، الذي يُلتذ به، ومع ذلك إذا نظر المؤمنون إلى ربهم، إذا كشف ربنا -تبارك وتعالى- عن وجهه الحجاب، ونظر المؤمنون إلى ربهم، نسي أهل الجنة كل نعيم.

الدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿لِلَّذينَ أَحسَنُوا الحُسنى وَزِيادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، في سورة يونس، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، كما فسرها بذلك نبينا الأمين -صلى الله عليه وسلم- جاء عند مسلم من حديث صهيب -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه

وسلم- قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله -تبارك وتعالى-: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتُنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب»، هذا الحجاب الذي وضعه الله -تبارك وتعالى- على وجهه، حجابه النور، «فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم -عز وجل-»، ثم تلى نبينا -صلى الله عليه وسلم-: ﴿لِلَّذِينَ أَحسَنُوا الحُسنى وَزِيادَةٌ﴾[يونس: ٢٦].

والدليل الثالث من القرآن: قول الله تعالى: ﴿كَلّا إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَومَئِذٍ لَمَحجوبونَ﴾[المطففين: ١٥]، وهذه الآية في الكفار، فالكفار يوم القيامة لا يرون الله -تبارك وتعالى- رؤية النعيم، وإن كانوا يرونه في عرصات القيامة على الراجح، فالكفار يرون ربهم يوم القيامة ولكن في العرصات، وهذه ليست رؤية نعيم ، أما رؤية النعيم فإنهم يُحجبون عنها؛ لأنهم لا يدخلون الجنة، فقال الله -تبارك وتعالى- ها هنا في هذه الآية: ﴿كَلّا إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَومَئِذٍ لَمَحجوبونَ﴾[المطففين: ١٥]، فإذا كان الكافر يُحجب عن الله فالمؤمن لا يُحجب عن الله كما هو ظاهر من مفهوم الخطاب، لأن الكافر والمؤمن لو حُجبا عن الله -تبارك وتعالى- فما فضل المؤمن على الكافر؟ كما قال الإمام أحمد في الرد على الزنادقة: إذا استوى المؤمن والكافر في الحجب عن رؤية الله -تبارك وتعالى- فأي فضل للمؤمن على الكافر؟

ولذلك جاء عن الشافعي -رحمه الله- أنه قال في هذه الآية: "لما حُجب هؤلاء في السُخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا".

وقال الربيع وهو صاحب الشافعي وتلميذه، الربيع بن سليمان، قال -رحمه الله-: "فقلت: يا أبا عبد الله، وبه تقول؟"، أي: تقول أن الله يُرى يوم القيامة؟ قال الشافعي: "نعم، وبه أدين الله، ولو لم يؤمن مُحَمَّد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله -عز وجل-".

إذًا هذا أعظم حال للمؤمن يسوقه لعبادة الله -تبارك وتعالى- أنه ينتظر في الآخرة أن يرى الله -تبارك وتعالى- هذا أعظم نعيم.

وهذا القول مذكور عن أنس بن مالك قبل الشافعي، وعن سفيان بن عيينة قبل الشافعي، وجاء كذلك عن أحمد بن حنبل، وعن غيرهم من السلف الصالح، أنهم قالوا في هذه الآية: لما أن حجب الله الكفار عن رؤيته دل ذلك على أن المؤمنين يرون ربهم.

وأما سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد تواترت الأحاديث في ذلك، رواها بضعة وعشرون صحابيًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنها الحديث المشهور حديث جرير بن عبد الله في الصحيحين قال: كنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»**، **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر»**، والتشبيه ها هنا إنما هو للرؤية بالرؤية، كما قال السلف الصالح، وليس تشبيهًا للمرئي بالمرئي، ليس في ذلك تشبيه الله -تبارك وتعالى- بالقمر، وإنما هو تشبيه وضوح الرؤية بوضوح رؤية الله -تبارك وتعالى-.

ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«لا تضامُّون في رؤيته»**، أو **«لا تُضامُون في رؤيته»** بالتخفيف، سواء كان من الضيم الذي هو بمعنى الظلم، يعني لا يظلم بعضكم بعضًا في رؤية الله -تبارك وتعالى- لا يحجز بعضكم بعضًا في رؤية الله، قد يحدث الزحام؛ لأن كلًا من المؤمنين يريد أن يرى الله -تبارك وتعالى- فيُظلم بعضهم، هذا لا يكون، أو **«لا تُضامون في رؤيته»** أي: لا يحدث عندكم شك ولا لبس ولا ضيم، كما يكون الغيم أمام القمر وأمام الشمس، هذا لا يحدث، ولكن تكون الرؤية واضحة.

وأما آثار السلف فهي كثيرة، وهذا مما ذُكر في كتب الاعتقاد.

وهذه المسألة -أعني مسألة رؤية الله تبارك وتعالى- ليست من باب صفات الله، لماذا؟ لأن الرؤية ها هنا مضافة لمن؟ للعبد، رؤية المؤمنين ربهم، ومع ذلك تُذكر دائمًا في باب الصفات، فإذا تكلم علماء الاعتقاد عن الصفات ذكروا هذه المسألة، مع أن الإضافة ها هنا إنما هي من إضافة فعل العبد إلى نفسه، رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وذلك لأمور:

أما الأمر الأول: فلكون المرئي هو الله، إن كان الرائي هو العبد فالمرئي هو الله –سبحانه وتعالى–.

والأمر الثاني: لاتصال الكلام عنها ببعض الصفات، كصفة العلو.

والأمر الثالث: لأن القول بثبوت رؤية الله يستلزم القول بثبوت الصفات لله تعالى، الذي يقول بأن الله يُرى في الآخرة هذا يلزمه أن يُثبت الصفات لله تعالى، لماذا؟ لأنه لا يُعقل أن يوجد مرئي بلا صفات، وإلا كان عدمًا، فهذا يستلزم إثبات الصفات لله –تبارك وتعالى–.

الأمر الرابع: لأن أدلة النفاة في إنكار هذه الصفة –صفة الرؤية– راجعة إلى أدلتهم التي نفوا بها سائر الصفات، إذا سألت الواحد من هؤلاء: لماذا تنفي رؤية الله –تبارك وتعالى–؟ يقول لأن ذلك يستلزم التشبيه، وحلول الحوادث، والتجسيم، لأنك تنظر إلى وجه الله –تبارك وتعالى– تُثبت وجهًا، هذا فيه إثبات الجسم، وإثبات الأعراض، وغير ذلك من الأمور التي أخذوها من كتب أهل اليونان، فنفس الأمور التي نفوا بها الصفات نفوا بها رؤية الله –تبارك وتعالى– فإذا كانت رؤية الله تتعلق بالرائي –الذي هو العبد– فهي تتعلق بالمرئي من جانب آخر الذي هو الرب –سبحانه وتعالى–.

فهذه بعض الأدلة على هذه المسألة الشريفة

لم يخالف في هذه المسألة إلا مَن استدبر هداية القرآن والسنة، واعترض على ذلك بزبالات الأفكار وبكلام أهل اليونان، والضلالات، والشبهات، كما قلنا، الذي خالف في ذلك من؟ المعتزلة، والجهمية والخوارج، خالف في ذلك الجهمية المعطلة، ومن ضمنهم المعتزلة والخوارج كذلك، نعم.

الطالب: والأشاعرة.

الشيخ: الأشاعرة سيأتي ذكرهم، لأن لهم مذهبًا عجيبًا.

لماذا خالف من ذكرنا وعطلوا هذه الصفة؟ في ذلك؟ أولًا: ركنوا إلى عقولهم، قالوا: لأننا لو أثبتنا الرؤية شبهنا الله بخلقه، والأصل أن نُنزه الله عن مماثلة الخلق، واستدلوا بالشرع زعموا لتعطيل

الصفة، مع أنهم دائمًا يُقدمون العقل على النقل، فقالوا: الله -تبارك وتعالى- نفى الرؤية عن نفسه في كتابه. قال تعالى: ﴿لَا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، وقال تعالى لموسى لما طلب الرؤية قال: ﴿لَن تَراني﴾ فدل ذلك على أن الله لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، هم جعلوا الرؤيا مستحيلة، لن تقع في الدنيا ولا الآخرة، ما جعلوها ممكنة ، لماذا؟ لأن الله قال: ﴿لَا تُدرِكُهُ الأَبصارُ﴾.

وهذا خطأ في الاستدلال؛ لا ينصره شرع ولا لغة. الله -تبارك وتعالى- لما نفى ها هنا نفى الإدراك أم الرؤية؟ نفى الإدراك، قال: ﴿لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ﴾[الأنعام: ١٠٣]، ما معنى الإدراك في لغة العرب؟ الإحاطة، وأنت قد ترى الشيء ولا تُحيط به، أنت ترى السماء ولا تُحيط بها، صحيح؟ ترى هذا المسجد ولا تُحيط به، لا تعلم ما الذي يدور داخل هذه الحجرة، ولا خلف هذه الجدران، فأنت قد ترى الشيء ولا تدركه، أي: لا تحيط به، فالذي نفاه الله -تبارك وتعالى- هو الإحاطة، كما قال: ﴿وَلا يُحيطونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِهِ إِلّا بِما شاءَ﴾[البقرة: ٢٥٥].

إذًا هناك فرق بين الإدراك والرؤية، الإدراك أخص من الرؤية، والرؤية أعم، ولذلك لما قال أصحاب موسى: ﴿إِنّا لَمُدرَكونَ﴾ أي: إنا لمحاطٌ بنا، مع أن الله قال قبل ذلك قال تعالى: ﴿فَلَمّا تَراءَى الجَمعانِ﴾، أي: رأى بعضهم بعضًا، ﴿فَلَمّا تَراءَى الجَمعانِ قالَ أَصحابُ موسى إِنّا لَمُدرَكونَ * قالَ كَلّا﴾[الشعراء: ٦١-٦٢]، موسى نفى الإحاطة أم نفى الرؤية؟ نفى الإحاطة، فدل ذلك على أن الشيء قد يُرى ولا يُحاط به.

إذًا هذا غلط من جهة اللغة؛ لأن الإحاطة أخص من الرؤية، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، أعني لما أقول: ما جاء مُحَمَّد، هذا نفي للأخص، هل هذا يستلزم أنه ما جاء غيره من الطلاب؟ لا يستلزم، أما نفي الأعم هو الذي يستلزم نفي الأخص، يعني لو قلت: ما جاء الطلاب، هذا يعني أن محمدًا أيضًا لم يأت، لماذا؟ لأننا نفينا ها هنا الأعم، أما إذا نفيت الأخص فلا يعني ذلك نفي الأعم.

الآية الثانية: وهي قول الله -تبارك وتعالى- لموسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿لَن تَرَانِي﴾ وجه الدلالة فيها على نفي رؤية الله -تبارك وتعالى- قال الزمخشري: "لأن لن تفيد التأبيد"، النفي المؤبد، أي: لن تراني لا في الدنيا ولا في الآخرة، فدل ذلك على استحالة الرؤية في الدنيا والآخرة.

وهذا الكلام أيضًا باطل من جهة اللغة ومن جهة الشرع، مع أن الزمخشري من أئمة اللغة، إلا أن الاعتقاد أزَّه للميل عن القول الصحيح في اللغة، حيث طوَّع الاستدلالات لما يعتقده، لن لا تفيد التأبيد، لماذا لا تفيد التأبيد؟ لأن ورد في كتاب الله الذي هو بلسان العرب ما يدل على أن لن لا تفيد التأبيد، قال الله -تبارك وتعالى- عن الكفار وتمنيهم للموت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمينَ﴾[البقرة: ٩٥] قال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا﴾، ثم قال الله -تبارك وتعالى- عنهم يوم القيامة: ﴿وَنادَوا يا مالِكُ لِيَقضِ عَلَينا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُم ماكِثُونَ﴾[الزخرف: ٧٧]، إذًا هم في الآخرة تمنوا الموت، مع أن الآية الأولى قالت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا﴾، فدل ذلك على ان أن لا تفيد التأبيد، وإنما لن يتمنى هؤلاء الموت في الدنيا، لا يحبون الموت، وليس معنى ذلك أنهم لن يتمنوا الموت مطلقًا في الدنيا والآخرة، ثم في الآية قال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا﴾، ولو كانت لن تفيد التأبيد لكان هذا القيد لغوًا؛ لأن لن تفيد التأبيد بنفسها، فلماذا جيء بأبدًا؟ لا تحتاج إلى هذا القيد، هذا أولًا، فالتأبيد هنا في الدنيا أي مدة بقائهم في الدنيا والله أعلم.

مريم -عليها السلام- ماذا قالت؟ قالت: ﴿إِنّي نَذَرتُ لِلرَّحمنِ صَومًا فَلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إِنسِيًّا﴾[مريم: ٢٦]، لو كانت لن تفيد التأبيد لما قيدتها باليوم، لأنها قالت: ﴿فَلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إِنسِيًّا﴾، إذًا هذا نفي مؤقت.

النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث قال: «واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت»، فلو كانت لن تفيد التأبيد لما قيده النبي -صلى الله عليه وسلم- بالموت، ما قيده بغاية، فدل ذلك على أن لن لا تفيد التأبيد.

ولذلك قال مالك -رحمه الله- قال:

ومن رأى النفي بلن مؤبدًا فقوله اردد وسواه فاعضدَ

"ومن رأى النفي بلن مؤبدًا"، الذي يرى أن لن تفيد النفي، "فقولَه اردد"، هذا قول مردود، "وسواه فاعضدا"، أما الذي يفيد التأبيد فهو حرف النفي **لا**، ولذلك "لا" أبلغ من لن في إفادة النفي، لا النافية أبلغ من لن في إفادة النفي.

وضرب ابن القيم -رحمه الله- مثالًا على ذلك، لو قلت لك: لن تأكل هذا اللحم، فمعنى ذلك: أنه بإمكانك أن تأكله، ولكنني منعتك من ذلك، أنا أقول: لن تأخذ ما في جيبي، إذًا ما في جيبي من الممكن أن تأخذه، ولكنني منعته عنك، أما إن قلت: لا تأخذ ما في جيبي فمعنى ذلك: أن ما في جيبي غير صالح للأخذ بالنسبة لك، لما أقول: لا تأكل هذا اللحم، أنت لا تأكل، هذه لا نافية وليست ناهية، أنت لا تأكل هذا اللحم، لأن هذا اللحم قد يكون لحم كلاب، لحم قطط، فعندما أقول: لا تأكل هذا اللحم فهذه تفيد النفي المطلق، ولذلك كانت الألف فيها ممدودة كما يقول ابن القيم، النفس ينقطع معها، لا، بخلاف لن، فلو كان الله -تبارك وتعالى- يريد النفي المؤبد لقال: إني لا أُرى، ولكن قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾، فدل ذلك على أن الرؤية ممكنة ولكن الله -تبارك وتعالى- منعها عن موسى -عليه الصلاة والسلام- ثم إن الله -تبارك وتعالى- علقها بأمر ممكن، قال: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[الأعراف: ١٤٣]، واستقرار الجبل أثناء التجلي أمر ممكن بالنسبة لقدرة الله -تبارك وتعالى- فلما علقه على أمر ممكن دل ذلك على أن الرؤية ممكنة، ولكن منعها الله -تبارك وتعالى- عباده المؤمنين في الدنيا ابتلاء، لأن هذا من الغيب، وليس يجب على الله -تبارك وتعالى- أن يكشف لنا كل شيء، وإنما هو غيب يؤمن به المؤمن، وكذلك رحمة بنا، لأنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ولذلك كان من أول صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب، أخبرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- برؤية ربنا في الآخرة، نُسلّم وننتظر هذا النعيم العظيم، وكذلك لأن قدراتنا لا تتحمل رؤية الله -تبارك وتعالى- أبصارنا الضعيفة وأجسادنا الهزيلة لا تتحمل رؤية الله، الله -تبارك وتعالى- لما تجلى للجبل، ظهر للجبل قيد أنملة، كما ذكر ذلك سفيان وهو يروي حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- الله تجلى للجبل، كشف الحجاب قيد أنملة -سبحانه وتعالى- جعله دكًا، وهو الجبل الذي يتعرض للشمس في النهار، الشمس الحارقة، وللبرد الشديد في الليل، ومع ذلك لما تجلى جعله دكًا، فكيف بالمخلوق الضعيف؟!

فالله -تبارك وتعالى- منعنا الرؤية ابتلاء ورحمة بنا، لأنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره خلقه.

إذًا هذا المذهب مذهب باطل، مذهب المعتزلة والخوارج والجهمية.

الأشاعرة ماذا قالوا؟ أرادوا أن يجمعوا بين قول أهل السنة وبين قول من ذكرنا، فقالوا: إن الله -تبارك وتعالى- يُرى لا في جهة، لأنهم ينفون العلو -علو الله الذاتي- يقولون: الله -تبارك وتعالى- ليس مستويًا على عرشه، وهو في كل مكان ، أو لا خارج العالم أو داخله، فقالوا: الله يُرى لا في جهة، هل نرى الله فوقنا؟ لا، عن يميننا؟ عن شمالنا؟ لا، لا في جهة، ولذلك فسروا الرؤية بالإدراك، منهم من قال: إن الله يخلق حاسة سادسة يوم القيامة لعباد المؤمنين، الإدراك، يدركون بها ربهم -تبارك وتعالى-.

ولذلك كان قولهم مآله إلى نفي الرؤية، فعاد قولهم إلى قول من؟ إلى قول المعتزلة، حتى قال بعض متأخري الأشعرية: لولا الحياء من مخالفة شيوخنا لقلت إن الرؤية العلم لا غير، يعني فسر الرؤية بالعلم، وليس برؤية الأبصار.

وقال الغزالي: إن الرؤية نوع كشف وعلم، فصار إقرار الأشعرية بالرؤية كإقرار الجهمية، وهو هو مذهبهم في مسألة القرآن، فالقرآن كذلك مآل قولهم إلى أنه مخلوق، لأنهم يقولون إن هذا القرآن الذي في المصحف ليس كلام ربنا، وإنما هو عبارة عن كلام الله، أما كلام ربنا فهو الكلام النفسي الذي لم يتكلم الله -تبارك وتعالى- به منذ الأزل، الله عندهم لا يتكلم، لا بصوت ولا حرف، ولا بكلام مسموع، فكلامهم ككلام المعتزلة.

فأعظم نعيم أهل الجنة كما قلنا هو رؤية الله -تبارك وتعالى- نعم.أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.

الدرس التاسع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فما زال الحديث موصولًا للتعليق على رسالة الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي في **(اعتقاد أئمة الحديث)**.

وقد قال –رحمه الله– في بيان ما يعتقده أهل السنة والجماعة قال: **(ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله –عَزَّ وَجَلَّ– في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل ذلك ثوابًا له في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢–٢٣]، وقال في الكفار: ﴿كَلّا إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَومَئِذٍ لَمَحجوبونَ﴾[المطففين: ١٥]، فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه كانوا بأجمعهم عنه محجوبين، وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله –عَزَّ وَجَلَّ– ولا التحديد له، ولكن يرونه –جل وعز– بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف)**.

هذا ما انتهينا منه في الدرس الماضي، وهو الكلام على مسألة الرؤية، لكن بقي أن نقول: إن قول المصنف –رحمه الله–: **(وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله –عَزَّ وَجَلَّ– ولا التحديد له)** نقول: هذه ليست من الألفاظ المرضية، فأهل السنة ينأون عن مثل هذه الألفاظ، وهي من ألفاظ المتكلمين، لفظة الجسم، والجهة، والعرض، والجوهر، والحيز، وغير ذلك من ، أهل السنة لا يذكرونها، ويكتفون بما ورد في الكتاب أو السنة.

وهذه الألفاظ كما قلنا قبل ذلك لا تُنفى ولا تُثبَت، وإنما يُتوقَف فيها، وكذلك يُسأَل عن مراد المتكلم بها.

قال: (**ولكن يرونه -جل وعز- بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف**).

فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في الآخرة يُرى بالعين المجردة، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**سترون ربكم عيانًا**»، أي: بالعين، وقال: «**كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، لا تُضامُون في رؤيته**»، أو «**لا تَضامون في رؤيته**»، هي بالتخفيف من الضَيم، من الظلم، أي: لا يظلم بعضكم بعضًا في رؤية ربه، فكل منكم سيرى ربه -سبحانه وتعالى- أو: «**لا تَضامُّون في رؤيته**» أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض إذا أراد أن يرى ربه، إشارة إلى الزحام، فلن يكون هناك زحام في رؤية ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

(**يرونه بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف**)، الرؤية لها كيف، ولكن هذا الكيف لا نعلمه، لأننا لم نرى الله ولم نرى شبيهًا له، ﴿**لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ**﴾[الشورى: ١١]، ولم يخبرنا نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن كيفية صفات ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

ثم قال -رحمه الله-: (**ويقولون**).

يعني أهل السنة والجماعة.

(**ويقولون: إن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومن كثرت طاعته أزيد إيمانًا ممن هو دونه في الطاعة**).

انتقل المصنف -رحمه الله- للكلام عن مسألة مهمة من المسائل التي تُذكر في كتب الاعتقاد، وهي مسألة الإيمان، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل ومعرفة، كما قال المصنف ها هنا، القول قولا: قول اللسان وقول القلب أي اعتقاده، والعمل عملان: عمل الجوارح وعمل القلب، والمعرفة أراد بها: إقرار القلب، فالإيمان: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، هذه هي أركان الإيمان الثلاثة، التي لا ينفع واحد منها دون الآخر.

اعتقاد القلب: فمن نطق بلسانه وعمل بجوارحه ولم يعتقد ويُقر بقلبه فهو منافق، هذا حال المنافقين، كانوا يصلون مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وينطقون بكلمة التوحيد، ولكن ذلك لم يكن في قلوبهم، فحال المنافق أنه لا يعتقد ولا يُقر بقلبه، وإنما ينطق ويعمل بجوارحه

فقط، كما أخبر الله عنهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ) يا مُحَمَّد (قَالُوا) بألسنتهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) قال المنافقون ذلك أو لم يقولوا: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك.

وكذلك من اعتقد بقلبه ولم ينطق بهذه الكلمة ولم يعمل بجوارحه فعدم عمله بهذه الكلمة وعدم نطقه بها مُكذِّب لاعتقاده الذي في قلبه؛ لأن الذي يعتقده لا بد أن ينطق بهذه الكلمة، والنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، فلا بد من النطق بالكلمة.

وأما عمل الجوارح: من صلاة، وصيام، وذكر، وذبح، ونذر، وغير ذلك، فهذا أيضًا من أركان الإيمان، التي لا ينفع الإيمان بدونها.

ولذلك لا نجد القرآن يذكر آية فيها ذكر للإيمان إلا وجاء الإيمان مقرونًا بالعمل الصالح، ﴿الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ﴾، وهذا يدل على أن العمل الصالح لا بد منه في تحقيق الإيمان.

ولذلك قال ها هنا: **(ويقولون)**، يعني أن ذلك إجماع من أهل السنة، ويقولون: إن الإيمان قول وعمل ومعرفة، ويقصد بالمعرفة: إقرار القلب.

قال الحميدي –رحمه الله–: "السنة عندنا"، وذكر السنة، من الاعتقاد في الله، وفي نبيه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وفي الملائكة، غير ذلك، قال: "وأن الإيمان قول وعمل".

وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة قال: "ومن قول أهل السنة: إن الإيمان إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح على نية حسنة، وإصابة للسنة".

هذا قول أهل السنة والجماعة، تراهم يختلفون في العبارة، فالحميدي يقول: الإيمان قول وعمل، ويكتفي، وهنا الحافظ الإسماعيلي يقول: الإيمان قول وعمل ومعرفة، وابن أبي زمنين يقول في أصول السنة: "الإيمان: إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح على نية حسنة وإصابة للسنة"، إذًا زاد ماذا؟ زاد النية، قول وعمل واعتقاد ونية.

وهذه الأقوال تأتلف ولا تختلف، أقوال أئمتنا تأتلف ولا تختلف، فمن أجمل قال: الإيمان قول وعمل، ومن فصَّل قال: الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومنهم من يُفصل أكثر فيقول: قول وعمل واعتقاد ونية، ويعني بالنية: الإخلاص، والإخلاص داخل في عمل القلب.

وأهل السنة والجماعة لهم أدلة كثيرة على هذا المعتقد، ونحن نعلم أن من أصول أهل السنة والجماعة التي جعلتهم متفردين متميزين عن غيرهم أنهم يستدلون أولًا ثم يعتقدون، بخلاف أهل البدع، فإنهم يعتقدون أولًا ثم يبحثون عن النصوص التي تؤيد هذا الاعتقاد، فإذا وجدوا بعض النصوص التي تخالف اعتقادهم تركوها، أو أوّلوها، أو طعنوا فيها، وأما أهل السنة والجماعة فيجمعون الأصول الثابتة في المسألة الواحدة من كتاب الله ومن سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم بعد ذلك يذكرون اعتقادهم أو يبنون اعتقادهم على مقتضى هذه الأدلة.

إذا سألَنا سائل: ما الدليل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؟ نقول: هناك أكثر من دليل، منه قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنونَ الَّذينَ آمَنوا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ ثُمَّ لَم يَرتابوا وَجاهَدوا بِأَموالِهِم وَأَنفُسِهِم في سَبيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقونَ﴾[الحجرات: ١٥]، هذه الآية فيها دلالة على أن الإيمان قول وعمل، قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنونَ الَّذينَ آمَنوا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ﴾، اعتقدوا وقالوا: آمنا بالله ورسوله، ﴿ثُمَّ لَم يَرتابُوا﴾، لم يحدث عندهم شك في ذلك، لأن الشك في الإيمان كفر، ﴿وَجاهَدوا بِأَموالِهِم وَأَنفُسِهِم في سَبيلِ اللَّهِ﴾، هذا هو عمل الجوارح، ﴿وَجاهَدوا بِأَموالِهِم وَأَنفُسِهِم في سَبيلِ اللَّهِ﴾، قال تعالى: ﴿أُولئِكَ هُمُ الصّادِقونَ﴾، أي: الصادقون في إيمانهم.

وقال تعالى: ﴿قَد أَفلَحَ المُؤمِنونَ﴾، من هم؟ ﴿الَّذينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعُونَ * وَالَّذينَ هُم عَنِ اللَّغوِ مُعرِضُونَ * وَالَّذينَ هُم لِلزَّكاةِ فاعِلونَ * وَالَّذينَ هُم لِفُروجِهِم حافِظونَ * إِلّا عَلى أَزواجِهِم أَو ما مَلَكَت أَيمانُهُم فَإِنَّهُم غَيرُ مَلومينَ﴾[المؤمنون: ١-٦]، إلى غير ذلك من الآيات، فهذه الآية لو تدبرناها لوجدناها صريحة على أن الإيمان يشمل عقائد الدين وأخلاقه،

ويشمل أعماله الظاهرة والباطنة، كما قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية، لو تدبرت هذه الآية، ﴿قَد أَفلَحَ المُؤمِنونَ * الَّذينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعونَ﴾، هذا هو عمل الجوارح، ﴿وَالَّذينَ هُم عَنِ اللَّغوِ مُعرِضونَ﴾، يفعلون المأمورات، ويتركون المنهيات، ﴿وَالَّذينَ هُم لِلزَّكاةِ فاعِلونَ * وَالَّذينَ هُم لِفُروجِهِم حافِظُونَ﴾ هذا يتعلق بالأخلاق.

إذًا الإيمان ليس الصلاة والزكاة والحج وفقط، ولكن يدخل فيه دخولًا أساسيًا الأخلاق والمعاملات، وهذا أمر مهم جدًا قد يغيب عن بعض الناس، تراه يُحسن الصلاة والزكاة والحج، ومع ذلك أخلاقه ليست أخلاق المسلمين، مع أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لما مدح المؤمنين في هذه الآية بيَّن أن المؤمن الممدوح الذي وُعِد بالفلاح هو من اتصف بهذه الآيات.

وكذلك من سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «الإيمان بضع وستون شعبة»، وفي رواية: «بضع وسبعون شعبة»، «فأعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، لو تدبرت في هذا الحديث لوجدت فيه أركان الإيمان الثلاثة، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «الإيمان بضع وسبعون» أو «بضع وستون شعبة»، «أعلاها قول لا إله إلا الله»، فهذا قول اللسان، وهذا لا بد منه، «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وهذا مثال لعمل الجوارح، لأن الإنسان يُميط الأذى عن الطريق بجوارحه، بيده، أو بقدمه، قال: «والحياء» وهو عمل القلب، قال: «والحياء شعبة من الإيمان»، وغير ذلك من الأدلة.

وعلى هذا فنقول: إن الإيمان تصديق القلب وإقراره، وليس هو التصديق فقط كما تقول المرجئة الأشاعرة -وهم فرقة من الفرق الإسلامية- لما عرَّفوا الإيمان قالوا: الإيمان التصديق، منهم من أضاف إلى ذلك قول اللسان، ومنهم من لم يُضف قول اللسان، ومنهم من أضاف قول اللسان مع التصديق ولم يُدخل عمل الجوارح، كما هو حال كل المرجئة، المرجئة متفقون على إخراج عمل الجوارح من مُسمى الإيمان، فقالوا: الإيمان هو التصديق، ما الدليل على أن الايمان هو التصديق؟ قالوا: هذا هو المراد منه في اللغة.

فشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- له كتاب عظيم يُسمى بـ **(الإيمان الكبير)**، وهو في المجلد السابع من مجموع فتاوى شيخ الإسلام، شيخ الإسلام رد على هؤلاء، فقال لهم في كلام ما معناه: إن الإيمان ليس هو التصديق فقط، أن تُصدق بقلبك فقط، ولكن التصديق أحد أجزاء المعنى الشرعي، التصديق جزء، وليس هو كل الإيمان.

كذلك ليس في نصوص الشرع ما يُفسر الإيمان بالتصديق فقط، يعني لو نظرنا في اللغة نجد أن اللغة لا تساعد هؤلاء في تفسير الإيمان بالتصديق، ولو نظرنا في الشرع نجد كذلك أن الشرع لا يساعد هؤلاء في تفسير الإيمان بالتصديق، لماذا؟ لأن الشرع لما ذكر الإيمان قلنا: ما ذكره إلا وهو مقرون بإقرار القلب، واعتقاد القلب، وخضوعه واستسلامه لله، مع عمل الجوارح، فالإيمان له حقيقة شرعية ينبغي تقديمها.

إذًا الشرع لم يُفسر الإيمان بالتصديق فقط، بل فسر الإيمان بالإقرار والإذعان، مع الإتيان بالعمل.

ومما يُبين كذلك خطأهم في تفسير الإيمان بالتصديق: أن التصديق لا يكون إلا للأخبار.

<u>الشرع على قسمين:</u>

- خبر.

- وإنشاء.

ماذا نفعل تجاه الخبر؟ نُصدقه، الخبر عن الله، عن أسمائه، عن صفاته -سبحانه وتعالى- عن الملائكة، عن الوحي، عن اليوم الآخر، عن القضاء والقدر، ما واجبنا تجاه هذه الأخبار؟ أن نصدقها.

والقسم الثاني من الشرع: هو الإنشاء، افعل ولا تفعل، اللغة العربية خبر وإنشاء، والشرع نزل بلسان العرب، لا يخرج عن لسان العرب، إذًا الشرع كذلك خبر وإنشاء، طيب.

لو قلنا: إن الايمان بمعنى التصديق، هذا تصديق الخبر، فأين تنفيذ الطلب؟ ولذلك أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان؛ لأنهم لم يُدخلوا الإنشاء الذي هو تنفيذ الطلب من فعل وترك في مسمى الإيمان.

فالتصديق لا يكون إلا للأخبار، وليس الشرع أخبارًا فقط، وإنما هو أوامر ونواهي كذلك، والخبر يستوجب التصديق، والأمر يستوجب الانقياد والاستسلام، وهذا هو معنى الإقرار.

إذًا لماذا فسر أهل السنة والجماعة الإيمان بالإقرار؟ لأن الإقرار جمع بين التصديق والانقياد والاستسلام.

من جهة أخرى نرد عليهم: أن التصديق يقابله التكذيب، والإيمان ليس كذلك، لو فسرنا الإيمان بالتصديق لقصرنا الكفر على كفر التكذيب، كما هو حال هؤلاء، فإنهم يقصرون الكفر على كفر التكذيب، لماذا؟ لأنهم عرَّفوا الإيمان بالتصديق، طيب.

ما الذي يقابل الإيمان؟ الكفر، وله شعب كثيرة، الكفر له أنواع ستة، أما هم فقد قصروا الكفر على كفر التكذيب فقط.

كذلك مما يدل على عدم الترادف بين التصديق والإيمان: أن الإيمان يتعدى بحرف الجر، فتقول: آمنت به، وأما التصديق فلا يتعدى بحرف الجر، وإنما يتعدى بنفسه، تقول: صدقته، لا تقل: آمنته، وإنما قل: آمنت به، صحيح؟ وأما التصديق فيتعدى بنفسه، تقول: صدقته.

فكل هذه الأمور التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية تدل على أن الإيمان لا يصح أن نفسره بالتصديق فقط.

أيهما أولى في تعريف الإيمان: أن نقول: هو اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح؟ أو عمل الأركان؟ عمل الجوارح.

لأننا لو قلنا في تعريف الإيمان: عمل الأركان لأخرجنا كثيرًا من مفردات الإيمان وأعمال الإيمان التي ليست هي بأركان، كالنوافل، النوافل والسنن ليست من أركان الإيمان، ولذلك كان

الأشمل أن نقول: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، وأما عمل الأركان فهذا يُخرج ما ليس بركن من الشرع، فهذا أولى، نعم.

فالأعمال التي تقوم بها الجوارح منها ما هو أركان، كالصلاة، والزكاة، والحج، مباني الإسلام، ومنها ما ليست بأركان، كإماطة الأذى، ولذلك الأشمل أن نقول: أعمال الجوارح، بدلًا من أن نقول: أعمال الأركان.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، من الذي خالف أهل السنة والجماعة في باب الإيمان؟ خالفهم فريقان: الوعدية، والوعيدية.

الوعدية: مأخوذ من الوعد، وهم المرجئة، على اختلاف طوائفهم.

والوعيدية: مأخوذ من الوعيد والتوعد، وهؤلاء كالخوارج والمعتزلة.

الوعدية المرجئة يجمعهم القول بتأخير العمل عن مسمى الإيمان، كل المرجئة يُخرجون ويؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، ولكنهم اختلفوا في الأمور الباقية:

فالجهمية قالوا: الإيمان مجرد ما في القلب من المعرفة، فإذا عرفت ربك فأنت مؤمن، دون أن تعمل، ودون أن تنطق، ودون أن تعتقد، فقصروا الإيمان على المعرفة، وهذا قول جهم كما قلنا، وهو قول باطل، وهو من شر أقوال أهل البدع، وهو شر من قول الخوارج والمعتزلة، لماذا؟ لأننا على هذا القول نقول بصحة إيمان إبليس وفرعون وأبي جهل، بل بصحة إيمان كل كافر، بل لن يوجد على وجه الأرض كافر، لأنه ما من كافر إلا ويعرف أن له ربًا، فلو قصرنا الإيمان على مجرد المعرفة إذًا إبليس ليس بكافر، ولا فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إله غيري، ليس بكافر، وهذا قول باطل، يلزم منه إبطال دعوة الرسل.

القول الثاني من أقوال المرجئة: أن الإيمان قول اللسان فقط، أن تنطق بالكلمة فقط، فإن هذا القول ما في القلب فهذا ناجٍ في الآخرة، وإلا كان منافقًا، يعني لا يُطالبون أحدًا بأن يعتقد وأن يعمل، وهذا قول الكرامية، فرقة تسمى بالكرامية، من المرجئة، وهذا القول كذلك ضلال وباطل، لماذا؟ لأنه يُدخل المنافقين في الإيمان.

القول الثالث: أن الإيمان هو التصديق فقط، ولم يشترطوا النطق بالكلمة، إنما هو مجرد التصديق، أن تُصدِّق فقط، وهذا قول الأشاعرة، وهذا هو القول الذي يُدرَّس في جامعة الأزهر، وهو قول باطل كما ذكرنا الدليل على ذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، أنه لا يمكن لنا أن نفسر الإيمان بمعنى التصديق فقط.

القول الرابع: وهو قول مرجئة الفقهاء، مرجئة الفقهاء قالوا: الإيمان التصديق وإقرار اللسان، التصديق والنطق باللسان، دون عمل الجوارح، لم يجعلوا عمل الجوارح داخلًا في مسمى الإيمان، وقلنا: هذا كذلك قول باطل؛ لأن الله ما ذكر الإيمان في كتابه إلا وذكر معه العمل الصالح.

قال: **(يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)**.

الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكان الشيخ حماد الأنصاري –رحمه الله– يشير إلى ذلك بقوله: الإيمان خمس نونات، أي تستطيع أن تحفظ حد الإيمان في خمس نونات، يقول: "هو قول باللسان، وعمل بالأركان"، ولكن قلنا: الأولى أن نقول: عمل بالجوارح، "وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان" أي: بالقلب، "ويزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان".

قلنا: الفرقة الأولى التي خالفت أهل السنة في مسمى الإيمان هي المرجئة على اختلاف طوائفها، والفرقة الثانية: وهي الوعيدية، يقابلون المرجئة وهم الخوارج والمعتزلة، وقولهم يشبه قول أهل السنة والجماعة، يعني لو سألت أحد الخوارج أو أحد المعتزلة: ما حد الإيمان؟ يقول: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، قولهم يشبه قول أهل السنة والجماعة، وهذه المشابهة مشابهة جزئية وليست مشابهة كلية، لماذا؟ لأمرين:

الأمر الأول: لأن الإيمان عند الخوارج والمعتزلة كل لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، ولذلك يُكفرون فاعل الكبيرة، هذا في الدنيا، وإذا مات فهو خالد مُخلد في النار، فالذي يزني يكفر، والذي يسرق هذا يكفر، وإذا مات على ذلك دون توبة فهو خالد مُخلد في النار، وأما المعتزلة فيقولون كذلك بأن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ، ويجعلون الفاسق مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، وأما في الآخرة فهو خالد مخلدٌ في النار

كذلك، فاختلفوا في الأسماء دون الأحكام. إذًا هذه المخالفة الأولى لأهل السنة والجماعة مع أنهم اتفقوا في حد الإيمان.

الثاني: أن أهل السنة والجماعة اعتبروا في الإيمان الفرض والنفل، ولذلك قلنا: الأدق أن يقال عمل الجوارح، لا أن يقال: عمل الأركان، بخلاف الخوارج، فإنهم يقصرون الإيمان على الفرض فقط وترك المحرمات، والمعتزلة منهم من قال بقصره على الفرض فقط، ومنهم من أدخل في ذلك النوافل.

فهذه هي الفرقة الثانية التي خالفت أهل السنة والجماعة، طيب.

قال: (**يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية**)، الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا عليه أكثر من دليل في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال الله تعالى: ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهتَدَوا هُدًى**﴾[مريم: ٧٦]، إذًا عندهم هدى، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يزيدهم هدى على هذا الهدى، وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُم فِتيَةٌ آمَنوا بِرَبِّهِم وَزِدناهُم هُدًى**﴾[الكهف: ١٣]، ومعناها كآية مريم.

قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحاسنهم أخلاقًا**»، فقال: «**أكمل**»، وهذه أفعل التفضيل، فهناك كامل وأكمل، وهذا يدل على أن الإيمان درجات، كما أن الكفر دركات، قال: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحاسنهم أخلاقًا**».

وكذلك قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل عُرى الإيمان**»، فدل ذلك على أن الإيمان كذلك يزيد.

وفي حديث تفسير النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للرؤى التي كان يراها أو تُرى له -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما رأى عمر -رضي الله عنه- يجر قميصه خلفه فلما سُئل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن تأويل ذلك قال: «**هو الدين**»، يعني أن دين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قوي، متين، كامل، لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه الرؤية رأى مَن قميصُه إلى صدره، ومنهم من كان قميصه إلى فخذه أو ركبته، ورأى عمر -رضي الله عنه- يجر قميصه خلفه، فلما

سُئل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك فسره بأنه الدين وكمال الدين عند عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

والشيء إذا زاد دل ذلك على نقصانه قبل ذلك، فالأحاديث والآيات التي تدل على الزيادة تدل باللزوم على النقصان، ما من شيء يزيد إلا وهو ينقص، هذه من جهة، وهناك أدلة أخرى تدل على أن الإيمان ينقص كذلك، منها حديث إنكار المنكر بقدر الاستطاعة، فقد قال النبي ﷺ في آخره: **" وذلك أضعف الإيمان"**

ونقصان الإيمان نوعان:

- نقصان لا دخل للمرء فيه.

- ونقصان يكون هو سببًا فيه.

أما النقصان الذي لا دخل للمرء فيه: فلا يُؤاخَذ به، وإن كان يُؤثر في دينه، والنقصان الذي يُؤاخَذ به هو الذي يكون بسببه، مثل ماذا؟ النقصان الذي لا دخل للمرء فيه: كنقصان دين المرأة بسبب حيضها، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن النساء: «**ناقصات عقل ودين**»، ما نقصان الدين؟ إنها إن حاضت تركت الصلاة والصيام، والإنسان إذا ابتعد عن العبادات نقص دينه، وهذا مُشاهد ملحوظ، الإنسان لو مرض وغاب عن صلاة الجماعة في المسجد يشعر بنقصان الدين، مع أنه لا ذنب له في ذلك، إذًا هناك نقصان لا دخل للمرء فيه ولا يُؤاخَذ به.

وهناك نقصان يُؤاخَذ المرء به، كفعل المعاصي، وترك الواجبات، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه**»، وقال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، دل ذلك على نقصان دينه جدًا، فهذا يدل على نقصان الدين.

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من رأى منكم منكرًا فليُغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، قوله: «أضعف الإيمان» دليل على أن هناك إيمان أقوى.

وعندنا حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- في الشفاعة: «فإن الله يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»، وهل يدل كذلك على نقصان الدين.

إذًا تقرر هذا الأمر فالذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان، وأهل البدع خالفوا أهل السنة في ذلك، فقالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، طيب، لماذا قالوا بعدم النقصان وعدم الزيادة؟ قالوا: لأننا لو قلنا بالزيادة فدل ذلك على أنه كان ناقصًا، والإيمان عندهم شيء واحد، ومن كان إيمانه ناقصًا خرج من الإسلام إلى الكفر، ولذلك من ارتكب معصية عندهم أخرجوه من الإسلام، طب ولماذا لا يقولون بالنقصان؟ لأنهم لو قالوا بالنقصان كذلك لقالوا بخروجه من الإسلام إلى الكفر، لأن الإيمان عندهم أصل واحد، طيب.

قال: (**ويقولون: إن أحدًا من أهل التوحيد**).

يقولون يعني: أهل السنة والجماعة، ثبّتنا الله على معتقدهم إلى أن نلقاه.

قال: (**ويقولون: إن أحدًا من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين لو ارتكب ذنبًا أو ذنوبًا كثيرة، صغائر أو كبائر، مع الإقامة على التوحيد لله، والإقرار بما التزمه، وقبله عن الله، فإنه لا يكفر به، ويرجون له المغفرة، قال تعالى:** ﴿وَيَغْفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾[النساء: ٤٨]).

وهذه مسألة عظيمة ينبغي ضبطها حتى لا يُفرِط المسلم فيقول بقول الخوارج أو يُفرِّط فيقول بقول المرجئة، وهي مسألة حكم أهل الكبائر، ما حكمهم؟ هل فاعل الكبيرة كافر يخرج من الإيمان إلى الكفر أم أنه كامل الإيمان لا تؤثر الكبيرة والمعصية في إيمانه؟ فإيمانه كإيمان الأنبياء والرسل وجبريل وميكائيل، أم أن المعصية تؤثر في إيمانه، تُنقص إيمانه بقدر ما، ولكن لا تُخرجه من الإيمان إلى الكفر؟

أما القول الأول: فهو قول الوعيدية، الذين يقولون: إن المعصية تُخرج المرء من الإيمان إلى الكفر؛ لأن الإيمان عندهم أصل واحد لا يتجزأ، فمن فعل المعصية نقضت معصيته إيمانه فكفر.

وأما الوعدية المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع طاعة مع الكفر، لا يضر مع الإيمان ذنب، فمن نطق بالكلمة فقط أو صدّق بقلبه فقط فمهما فعل من المعاصي فهذا لا يؤثر في إيمانه، وإيمانه كامل لم ينقص، وهذا قول المرجئة.

وأما أهل السنة والجماعة فكما قلنا قبلُ ونكرر: يستدلون أولًا ثم يعتقدون، ولذلك تجد قولهم وسطًا في سائر أبواب الاعتقاد، القول الوسط قول أهل السنة والجماعة، ووسطيتهم بين الفرق كوسطية الإسلام بين الملل، كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله–.

أهل السنة والجماعة يقولون: لو أن أحدًا من أهل التوحيد، ومن كان يصلي إلى قبلة المسلمين، لو ارتكب ذنبًا أو ذنوبًا كثيرة، صغائر أو كبائر، مع الإقامة على التوحيد لله، لم يأتِ بناقض من نواقض التوحيد، سواءً كان ناقضًا اعتقاديًا، أو قوليًا، أو عمليًا من أعمال الجوارح، لم يأتِ بناقض، مع الإقرار بما التزمه كما قال المصنف.

ما المقصود بالالتزام؟ هذا الأمر ينبغي أن ننتبه له، وأنا نبهت عليه قبل ذلك، الالتزام في كلام العلماء يُقصد به: اعتقاد حكم الشيء، ولذلك من الخطأ أن نقول عن شخص استقام على طاعة الله: الأخ ده ملتزم، لماذا؟ لأن الالتزام لا علاقة له بأعمال الجوارح، وإنما هو عمل قلبي، فالإنسان الذي يعتقد وجوب الصلاة ويُصلي ويترك هذا ملتزم، ولكنه ليس مستقيمًا، فإذا أردت أن تصف أحد الناس قل: هذا الإنسان مستقيم على دين الله، ولا تقل: هو ملتزم بدين الله، لأنه ما من موحد إلا وهو ملتزم بدين الله، يعتقد كل ما جاء به النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

يقول: **(فمن التزم وقبِل ذلك عن الله)**.

يعني كل ما جاء به النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

(مع فعل الكبائر، فإنه لا يكفر به، وليس بكامل الإيمان).

ولكن أهل السنة يُسمونه فاسقًا مِليًا، يسمونه الفاسق الملي، أي: الفاسق من أمة الإسلام، هو الذي معه التوحيد مع ارتكابه للمعاصي، أو هو مؤمن بإيمانه بما معه من الإيمان، فاسق بمعصيته، والإنسان قد يجتمع فيه الطاعة والمعصية، يصلي ويسرق، أو يفعل غير ذلك من الفواحش، يجتمع فيه ذلك، ولكنهم لا يُكفرونه ويرجون له المغفرة.

ما الدليل على هذا الأصل؟ الآية العُمدة في الباب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾[النساء: ٤٨]، فكل ما هو دون الشرك –أي أقل من الشرك– فهو في مشيئة الله يوم القيامة، إن شاء الله غفر لصاحبه بفضله، وإن شاء عذَّبه بعدله، هذا أولًا، ومن ذلك أيضا حديث أبي ذر –ﷺ– قال:" أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليه ثَوْبٌ أبْيَضُ، وهو نَائِمٌ، ثُمَّ أتَيْتُهُ وقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقالَ: ما مِن عَبْدٍ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ علَى ذلكَ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق علَى رَغْمِ أنْفِ أبِي ذَرٍّ وكانَ أبو ذَرٍّ إذَا حَدَّثَ بهذا قالَ: وإنْ رَغِمَ أنْفُ أبِي ذَرٍّ" ففي الحديث دلالة واضحة على أن مرتكب الكبيرة الموحد إن مات على ذلك دون توبة لا يخلد في النار، بل هو بين أمرين: إما أن يعفو الله عنه أو يعذبه بقدر ذنبه، وبهذا نفهم قوله ﷺ:" لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهو مُؤْمِنٌ." فنفي الإيمان لا يستلزم نفي الإسلام فتنبه.

كذلك مما يدل على أن المعاصي لا تُخرج من الإيمان إلى الكفر: الحدود، الحدود كفارات، وهذا من أقوى الأدلة في الرد على الخوارج والمعتزلة الذين يُكفِّرون بالكبيرة.

كيف يكفر المرء بالكبيرة والكفر ذنبٌ لا يُكفِّره ولا يمحوه إلا التوبة؟ كيف يكفر المرء بالكبيرة وهو يُقام عليه الحد لتطهيره؟ فمن أُقيم عليه الحد طهر، لأن الحدود كفارات، كما قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فلو كان مرتكب الكبيرة كافرًا لما أُقيم عليه الحد، هو كافر، لماذا يُقام عليه الحد؟ ما حد الكافر؟ القتل، فلماذا يُرجَم ويُجلَد الزاني؟ ويُجلَد القاذف؟ وتُقطع يد السارق؟ ويُجلد شارب الخمر؟ لأن هذه كفارات ومطهرات، فهذا يدل على أن الكبائر لا تُخرج المرء من الإيمان إلى الكفر.

كذلك مما يدل على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر: قصة هذا الصحابي الذي كان يُلقب حمارًا، وكان كثيرًا ما يُضحك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان كثيرًا ما يشرب الخمر، يعني كثيرًا ما يقع في كبيرة، فلما جيء به كثيرًا إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليُقيم عليه الحد لعنه بعض الصحابة، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لا تلعنوه، ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**»، مرتكب للكبيرة وأثبت له النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعظم أعمال القلوب، وهي محبة الله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكيف يُقال إن الكبيرة تُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر؟!

إذًا الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان مراتب ثلاثة:

- من كان معه مطلق الإيمان، يعني أصل الإيمان.

- ومن كان معه كمال الإيمان الواجب.

- ومن كان معه الإيمان المطلق، الإيمان الكامل.

هذه ثلاثة مراتب:

- من كان معه مطلق الإيمان، مطلق الإيمان أعني: أصل الإيمان، كأصحاب الذنوب والمعاصي والكبائر، وتاركي الواجبات، فهؤلاء لا يكفرون، معهم أصل الإيمان.

- ومن كان معه كمال الإيمان الواجب، فعل ما يجب عليه من الفرائض.

- ومن كان معه الإيمان المطلق، والإيمان المطلق هو الإيمان الكامل بفروضه ونوافله ومستحباته.

فالطائفة الأولى أو المرتبة الأولى: هم الظالمون لأنفسهم، والطائفة الثانية: هم المقتصدون، والطائفة الثالثة: هم السابقون بالخيرات، وهؤلاء الذين ذكرهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في كتابه، قال: ﴿**ثُمَّ أَورَثنَا الكِتابَ الَّذينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ وَمِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ**﴾، هذه الأقسام الثلاثة هي لأهل الإسلام، ولذلك قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في الآية التي بعدها قال: ﴿**جَنّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَها**﴾[فاطر: ٣٢-٣٣].

يقول الشيخ الشنقيطي -رحمه الله-: "وحُق لهذه الواو ﴿ادْخُلُوا﴾ أن تُكتَب بماء العين"، هذه الواو حُق لها أن تُكتب بماء العين، لماذا؟ لأنها ذكرت أن هذه الأصناف الثلاثة من أهل الجنة.

أما المقربون السابقون فيدخلون الجنة بلا حساب، وأما أهل الاقتصاد فهؤلاء كذلك لا يدخلون النار؛ لأنهم جاؤوا بما عليهم وتركوا ما نهاهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأما أهل الذنوب والمعاصي الظالمون لأنفسهم فهم في مشيئة الله، إن شاء غفر لهم فلم يُدخلهم النار، وإن شاء عذَّبهم على قدر ذنبهم، ثم يكون مآلهم إلى الجنة، فكلهم لا بد أن يدخلوا الجنة.

فالصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن مرتكبي الكبيرة لا يكفرون بكبيرتهم، وهذا لا يجعلنا نستهين بفعل الكبيرة؛ لأن الكبائر والمعاصي بريد الكفر، الإنسان قد يفعل الكبير ويستمرؤها، إلى أن يرق دينه، ويخرج من الإسلام إلى الكفر -عياذًا بالله- فنسأل الله الثبات على دينه حتى نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الدرس العاشر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في التعليق على رسالة **(اعتقاد أئمة الحديث)** للحافظ أبي بكر الإسماعيلي -رحمه الله-.

وكنا قد وصلنا إلى قوله: **(واختلفوا في متعمدي ترك الصلاة المفروضة، حتى يذهب وقتها من غير عذر، فكفَّره جماعة، لما رُوي عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال:** «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»**، وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:** «من ترك الصلاة فقد كفر»**، و** «من ترك الصلاة فقد برئت منه ذمة الله».

قال: وتأوَّل جماعة منهم أنه يريد بذلك من تركها جاحدًا لها، كما قال يوسف -عليه السلام-: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنونَ بِاللَّهِ﴾ **[يوسف: ٣٧]، أي: ترك الجحود).**

هذه المسألة التي ذكرها المصنف -رحمه الله- بعد كلامه على حكم مرتكبي الكبيرة، هي مسألة: حكم تارك الصلاة، فذكر الخلاف في ذلك، وأهل العلم من قديم مُختلفون في هذه المسألة، فالمصنف من علماء القرن الثالث الهجري، ومع ذلك يذكر الخلاف في هذه المسألة: هل تارك الصلاة كافر أم ليس بكافر؟

فهذا فيه دليل على أن المسألة ليس فيها إجماع، كما يدعي الحدادية الذين يقولون إن القول بكفر تارك الصلاة لا خلاف فيه، وبأنه أمر مُجمع عليه ومن قال بخلاف ذلك وقع في الإرجاء!!، فالحافظ من علماء القرن الثالث، ومع ذلك ينقل الخلاف لنا.

وقد قال بقوله هذا أهل العلم، أعني: قالوا بوجود الخلاف في هذه المسألة، ولم يتهم الذي يُكفِّر تارك الصلاة غير المكفِّر له بالإرجاء، كما تفعل طائفة من الناس اليوم، وهم الحدادية أتباع محمود الحداد، يتهمون كل من يقول بعدم كفر تارك الصلاة بأنه مرجئ.

والصحيح: أن الخلاف في هذه المسألة لا صلة له بالناحية العقدية، فالخلاف فيها خلاف فقهي، لا يُبدَّع فيه المخالف.

وجمهور أهل العلم على عدم كفر تارك الصلاة، وأعني بتارك الصلاة: الذي يفعل ويترك، أي: يصلي ويترك، وكذلك الذي لا يصلي مطلقًا، فالجمهور على أن كفره كفر أصغر لا يُخرج من الملة.

وممن قال بذلك: الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي.

وقال أحمد -رحمه الله- وبعض أهل العلم بكفره الكفر الأكبر.

وتعجب من إنسان يُسوي بين هذه المسألة ومسألة الحاكمية وتكفير الحكام غير الحاكمين بما أنزل الله، تجد إنسانًا تقول له: من قال بكفر الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله هكذا دون تفصيل فهو خارجي، فيقول لك: إذًا اتهموا أحمد بالبدعة، لماذا؟ لأن أحمد خالف جمهور أهل العلم في مسألة تارك الصلاة، ومع ذلك لم يُبدّعه أحد من أهل العلم، فكذلك إذا قلنا بكفر الحُكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله فلسنا بمبتدعة، وهذا قياس فاسد، ووالله إن المبتدعة فاقوا إبليس في اختراع الشُبه والضلالات، تجد الواحد منهم يأتي بشُبه لا تخطر على بالك، ليبرر مذهبه، فيصدق عليهم قول القائل:

وكنت امرءًا من جند إبليس فارتقى ... بي الدهر حتى صار إبليس من جندي

"فلو مات قبلي" يعني إبليس.

فلو مات قبلي كنت أُحسن بعده ... طرائق فسق ليس يُحسنها بعدي

فكأن إبليس صار هو الذي يتعلم منهم، فقياس المكفر للحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بلا تفصيل على تارك الصلاة هذا قياس باطل، لماذا؟ لأن الخلاف في تارك الصلاة معروف

من قديم، وهو خلاف معتبر، واختلف فيه أئمة معتبرون، ولم يُفسّق بعضهم بعضًا، ولم يُبدِّع بعضهم بعضًا، وأما الخلاف في الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله ، من قال إن الخلاف فيه معتبر حتى تقيسوا هذا على ذاك؟! بل نجد في كتب الاعتقاد من أول كتاب صُنِّف إلى الآن يعتبرون أن القائل بكفرهم هذا خارجي قال بقول الخوارج، ونجد في كتبهم أن هذه الآية: ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرونَ﴾[المائدة: ٤٤]، ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة: ٤٥]، ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾[المائدة: ٤٧]، نجد في كتب الاعتقاد الكبيرة أنهم يُصدرون بهذه الآية أبوابًا عقدوها بعنوان: باب في الذنوب التي لا يكفر صاحبها، ردًا على الخوارج، يذكرون هذه أول آية، كما فعل الإمام الآجري، والإمام ابن بطة في الإبانة.

إذًا القول بكفر الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله هكذا بلا تفصيل هذا قول الخوارج، ولا خلاف في أن هذا قول الخوارج، ولكن لا بد من التفصيل، إن سوَّى، أو جوَّز، أو استحل أو فضَّل الأحكام الوضعية على حكم الله، أو غير ذلك من أمور ستة ذكرها أئمتنا، فهذا هو الذي يكفر، ، وهذا لا يكون إلا بعد قيام الحجة، ووجود الشروط، وانتفاء الموانع ، فكيف يُسوَّى بين الخلاف في تارك الصلاة ومسألة الحاكمية؟!

فقال ها هنا: **(واختلفوا في متعمدي ترك الصلاة المفروضة)**.

أي: من تعمد تركها، قيل له: صلِّ فلم يُصل، وليس الخلاف فيمن نسيها، أو غفل عنها، «من نام عن صلاة أو نسيها فليُصلها إذا ذكرها»، فذلك وقتها، وأما الخلاف فهو فيمن قيل له: صلِّ فلم يُصل، وترك الصلاة حتى ذهب وقتها من غير عذر، خرج وقتها.

قال: **(فكفَّره جماعة من أهل العلم، لما رُوي عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–)**.

والأولى أن يقال: لما جاء عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لأن الحديث صحيح، أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه مسلم في صحيحه بلفظ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، فالحديث صحيح، فكان الأولى أن يقول: لما جاء عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لا أن يرويه أو يذكره بصيغة التمريض التي تُشعر بضعف الحديث، ما الذي جاء عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟

(**قال**: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**»).

فقالوا ها هنا: قطع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكفر تارك الصلاة، فإذا ترك الصلاة صار من الكافرين.

وكذلك ما جاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من قوله: «**من ترك الصلاة فقد كفر**»، و «**من ترك الصلاة فقد برئت منه ذمة الله**»، وهذا الحديث الذي ذكره مُركَّب من حديثين، فليس حديثًا واحدًا، أما الحديث الأول فهو «**من ترك الصلاة قد كفر**» فهذا جاء عند أحمد، والترمذي، والنسائي، وجاء مثله، كقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»، وهذا صحيح كذلك، فهذا حديث مستقل.

وأما الحديث الثاني فهو: «**من ترك الصلاة فقد برئت منه ذمة الله**»، وهذا رواه ابن ماجة عن أبي الدرداء، قال: «**أوصاني خليلي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ألا تُشرك بالله شيئًا، وإن قُطِّعت وحُرِّقت، وألا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة**».

قال الحافظ في إسناد هذا الحديث: إسناده ضعيف، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: إسناده حسن، للخلاف في شهر بن حوشب، وهذا الحديث صححه الألباني بشواهده في الإرواء.

إذًا هما حديثان: «**من ترك الصلاة فقد كفر**»، أي: لحق بالكفار وصار منهم، و «**من ترك الصلاة فقد برئت منه ذمة الله**»، وهذا دليل على كفره كذلك.

هذا هو الفريق الأول.

وكذلك استدلوا بما جاء عن أبي وائل -رحمه الله- وهو من صغار التابعين، أنه كان يقول: "كان أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يرون شيئًا تركه كفر إلا الصلاة"، فقالوا: هذا إجماع؛ لأنه نقل عدم الخلاف بين أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وأما جمهور أهل العلم فقد تأولوا هذه الأحاديث لأدلة أخرى، ولذلك قال ها هنا: (**وتأول جماعة منهم أنه يريد بذلك من تركها جاحدًا لها**)، أي: من جحد الصلاة، ولم يعتقد وجوبها،

فهذا هو الذي يكفر كفرًا يُخرج من الملة، كما قال يوسف –عليه الصلاة والسلام–: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنونَ بِاللَّهِ﴾[يوسف: ٣٧]، أي: جحدت هذه الملة، وأنكرت صوابها.

وكذلك استدلوا بما جاء عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنه قال: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة، من حافظ عليهن كان له عند الله عهد أن يُدخله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**».

واستدلوا كذلك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾[النساء: ٤٨]، فكل ما هو دون الشرك فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر لصاحبه وإن شاء عذبه بقدر ذنبه.

وخلاصة الأمر: أننا نتكلم في باب الاعتقاد، لا نتكلم في باب الفقه لنُرجِّح بين القولين، وإن كان الراجح والله أعلم أنه لا يكفر، وإن كان على خطر عظيم، فتارك الصلاة شر من قاتل النفس، والزاني، والسارق، بل هو شر ممن أتى أمه على قارعة الطريق، هذا حال الذي يترك الصلاة.

ويكفي ما قال الإمام اللالكائي –رحمه الله–: يكفي في حال تارك الصلاة أن العلماء اختلفوا في أمره بين أمرين أحلاهما مر؛ فمنهم من يقول: هو كافر كفرا أكبر مُخرجًا من الملة، ومنهم من يقول: لا لا، ليس بكافر، ولكنه من أفسق الفُساق، فهو يدور بين الكفر والفسق، فالمسألة فيها خلاف كما قلنا، ولا يُبدَّع فيها المخالف.

والترك هنا في قول النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**من ترك الصلاة**» رجَّح ابن تيمية –رحمه الله– وابن رجب في فتح الباري أن الترك المقصود في الآية أي من كان يصلي حينًا ويترك حينًا، لأن ابن تيمية يُكفِّر وابن رجب يُكفِّران تارك الصلاة كليةً وأما الذي يصلي ويترك فهو عند ابن تيمية وابن رجب، بل وعند كثير من أهل العلم ممن يُكفرون تارك الصلاة بالكلية، هذا لا يكفر كفرًا أكبر، وإنما يدخل تحت المشيئة، لهذا الحديث الذي ذكرناه: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد**».

قال: **(وقال كثير منهم)**.

أي: من أهل العلم.

(إن الإيمان قول وعمل).

وهذا سبق.

(والإسلام: فعل ما فُرض على الإنسان أن يفعله، وإذا ذُكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا أو مفردين أريد بأحدهما معنى لم يُرد بالآخر، وإن ذُكر أحد شمل الكل وعمَّهم).

وهذا هو القول الراجح، وهو الذي صدَّر به المصنف –رحمه الله– هذه المسألة.

هل هناك فرق بين الإيمان والإسلام؟ من العلماء من يرى أنهما بمعنى واحد، وهذا القول نصره البخاري، وابن عبد البر، وابن منده، والمروزي مُحَمَّد بن نصر في كتابه "تعظيم قدر الصلاة"، هؤلاء لا يرون فرقًا بين الإسلام والإيمان، ومن أهل العلم من يرى الفرق بينهما.

وهذا الخلاف بين المتأخرين فقط، هل هما بمعنى واحد أم أن هذا يختلف في المعنى عن هذا؟ وأما المتقدمون من السلف فلا يُعرف عن واحد منهم التسوية بينهما حال الاقتران، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، لا يُعرف عن واحد من السلف أنه سوَّى بين الإيمان والإسلام إذا اقترنا.

والصحيح: أنهما عند الاجتماع يفترقان، أي: إذا ذكر الله الإسلام والإيمان افترقا، وإذا ذكر الإسلام وحده شمل الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده شمل الإسلام، فكل ما جاء فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة: ١٠٤]، أي: وأسلموا كذلك، وكل ما جاء فيه ذكر الإسلام وحده دون الإيمان دخل فيه أهل الإيمان.

إذا حصل التفريق بينهما فما معنى كل من الإسلام الإيمان؟ إذا اجتمعا كان معنى الإسلام: ما بيَّنه النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في حديث جبريل، فصار معناه: الاستسلام، والخضوع،

والعبودية له بالأعمال الظاهرة، «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله»، هذا عمل ظاهر، «وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج»، فهذه أعمال ظاهرة، فالأصل في الإسلام: أنه يتعلق بباب العمل، عمل القلب والجوارح.

وأما الإيمان فكما سبق تعريفه، فأصله: التصديق والإقرار، فهو في القلب، والعمل تابع له، فإذا قُرنا فالإيمان للباطن والإسلام للعمل الظاهر، وإن أُفرد أحدهما تناول الظاهر والباطن، قال شيخ الإسلام: "وبهذا تأتلف النصوص" انتهى كلامه -رحمه الله- من كتاب الإيمان، في المجلد السابع في الفتاوى، في الصفحة الثامنة والخمسين بعد المائتين، وعلى هذا كان حديث جبريل في التفريق بينهما.

فقال ها هنا في المذهب الأول قال: (**وقال كثير منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فُرض**).

(**ما فُرض على الإنسان أن يفعله، إذا ذُكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا، أو مفردين، أريد بأحدهما معنى لم يُرَد بالآخر، وإن ذُكر أحد الاسمين شمل الكل وعمَّهم، قال: وكثير منهم قالوا**).

أي: كثير من أهل العلم كذلك.

(**قالوا: الإسلام والإيمان واحد، فقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ﴾[آل عمران: ٨٥]**).

فلو أن الإيمان غيره لم يُقبَل، ولكن يُرد على هؤلاء: أن الآية ذكرت الإسلام فقط، فدخل فيه الإيمان.

وقال الله تعالى: ﴿فَأَخرَجنا مَن كانَ فيها مِنَ المُؤمِنينَ * فَما وَجَدنا فيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسلِمينَ﴾[الذاريات: ٣٥-٣٦]، وهذه آية الذاريات، وكذلك قال الله تعالى في الآية التي يذكرها بعد ذلك: ﴿قالَتِ الأَعرابُ آمَنّا قُل لَم تُؤمِنوا وَلكِن قولوا أَسلَمنا وَلَمّا يَدخُلِ الإيمانُ في قُلوبِكُم﴾[الحجرات: ١٤]، ظاهر آية الذاريات: التسوية بين الإيمان والإسلام، لأن الله قال:

﴿فَأَخرَجنا مَن كانَ فيها مِنَ المُؤمِنينَ﴾، من كان فيها من المؤمنين؟ لوط ومن معه، صحيح، ﴿فَمَا وَجَدنا فيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسلِمينَ﴾، بيت من الذي كان من المسلمين؟ بيت لوط، صحيح؟ فظاهر الآية: التسوية بين الإسلام والإيمان، وظاهر آية الحجرات: التفريق بين الإيمان والإسلام، ﴿قالَتِ الأَعرابُ آمَنّا﴾، قال تعالى: ﴿قُل لَم تُؤمِنوا وَلكِن قولوا أَسلَمنا وَلَمّا يَدخُلِ الإيمانُ في قُلوبِكُم﴾.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ردًا على من ظن التسوية بين الإسلام والإيمان على مقتضى آية الذاريات: "جاء في الكتاب والسنة وصف أقوام بالإسلام دون الإيمان"، فقال تعالى: ﴿قالَتِ الأَعرابُ آمَنّا﴾، وذكر آية الحجرات، "وقال تعالى في قصة قوم لوط: ﴿فَأَخرَجنا مَن كانَ فيها مِنَ المُؤمِنينَ﴾"، فذكر هذه الآية التي ذكرناها، قال: "وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الآية –يعني الثانية– تقتضي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد، وعارضوا بين الآيتين، وليس كذلك، بل هذه الآية توافق الآية الأولى؛ لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمنًا، وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين، وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين، ولم تكن من المخرجين الذين نجوا، بل كانت من الغابرين الباقين في العذاب، وكانت في الظاهر مع زوجها"، فهو بيت مسلم، "وهي في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي الباطن مع قومها على دينهم، خائنة لزوجها" أي: في الدين، "تدل قومها على أضيافه، فلم تدخل في قوله: ﴿فَأَخرَجنا مَن كانَ فيها مِنَ المُؤمِنينَ﴾، وكانت من أهل البيت المسلمين، وممن وُجد فيه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدنا فيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسلِمينَ﴾، وبهذا تظهر حكمة القرآن، حيث ذكر الإيمان لما أخبر بالإخراج، وذكر الإسلام لما أخبر بالوجود"، لأن الحكم بالإسلام مبناه على الظاهر، والحكم بالإيمان مبناه على الباطن، ولا يعلم الباطن إلا الله، فظاهر هذه المرأة أنها كانت مسلمة، ولذلك حكم الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– على هذا البيت بالإسلام، وحكم على من أخرجهم بالإيمان.

قال: (**وقال تعالى**: ﴿يَمُنّونَ عَلَيكَ أَن أَسلَموا قُل لا تَمُنّوا عَلَيَّ إِسلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيكُم أَن هَداكُم لِلإيمانِ﴾[**الحجرات: ١٧**]).

وهذا أيضًا دليل لمن قال: هما واحد.

إذًا الصحيح: أنهما إذا اجتمعا افترقا، فصار الإسلام للأعمال الظاهرة، والإيمان للأعمال الباطنة.

ثم قال -رحمه الله- بعد ذلك: **(ويقولون: إن الله يُخرج من النار قومًا من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق)**.

إذًا الكلام في هذه الفقرة على الشفاعة، والشفاعة من المسائل العظيمة.

وهي في اللغة: اسم من شفع يشفع، إذا جعل الشيء اثنين، ﴿**وَالفَجرِ * وَلَيالٍ عَشرٍ * وَالشَّفعِ وَالوَترِ**﴾[الفجر: ١-٣]، أو "والوِترِ" في قراءة، فذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الشفع في مقابل الوتر، فهي اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين، وهي ضد الوتر، فالله وتر، وأما كل شيء فقد جعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- جعله شفعًا، ﴿**وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقنا زَوجَينِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ**﴾[الذاريات: ٤٩].

وأما الشفاعة في الاصطلاح: فهي التوسط عند الغير لجلب نفع أو دفع ضر، أو نقول اختصارًا: التوسط عند الغير بالخير، سواءً كان الخير في جلب النفع أو في دفع الضر، تتوسط عند إنسان من أجل أن يدفع الضُر عن قريبك، فهذه شفاعة، أو أن يعطيه شيئًا، فهذا خير، فهذه كذلك شفاعة.

التوسط عند الغير لجلب نفع: كتوسط النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشفاعته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في دخول الجنة، فهو أول من يُحرك حِلق الجنة -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمته بعده.

أو دفع مضرة: كشفاعته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تخفيف العذاب عن عمه، وفي خروج أقوام من النار.

والشفاعة الواردة في الشرع قسمان:

- شفاعة منفية.
- وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية: شفاعة المشركين بالأصنام، ﴿مَا نَعبُدُهُم إلّا لِيُقَرّبونا إلَى اللَّهِ زُلفَى﴾[الزمر: ٣]، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿فَما تَنفَعُهُم شَفاعَةُ الشّافِعينَ﴾[المدثر: ٤٨]، فكان المشركون يتوسطون بهذه الأصنام عند الله -سبحانه وتعالى-.

وكذلك ما يفعله القبوريون في هذه الأزمان، من التوسط عند الله بجاه الصالحين والأولياء، وجاه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقولون: إننا قوم لوثتنا الذنوب، وهؤلاء أطهار، نجعلهم واسطة بيننا وبين الله فيصرفون العبادة لهم، وهذا هو شرك المشركين الأُول، قالوا: ﴿مَا نَعبُدُهُم إلّا لِيُقَرّبونا إلَى اللَّهِ زُلفَى﴾[الزمر: ٣]، فهذه عبادتهم، أنهم اتخذوهم وسائط بينهم وبين الله.

والشفاعة المنفية كذلك: هي التي تكون يوم القيامة خالية من شرطين: من إذن الله ورضاه، فإذا لم يأذن الله للعبد لم تصح شفاعته، وكذلك إذا لم يرض عن الشافع والمشفوع فيه لم تصح الشفاعة.

ودليل ذلك: قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَكَم مِن مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغني شَفاعَتُهُم شَيئًا إلّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرضى﴾[النجم: ٢٦]، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إلّا بِإِذنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥]، فلا بد أن يرضى عن الشافع، فإذا كان الشافع كافرًا رُدت شفاعته، فلا شفاعة للكافرين ابتداءً، كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا أَنفِقوا مِمّا رَزَقناكُم مِن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ لا بَيعٌ فيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفاعَةٌ وَالكافِرونَ هُمُ الظّالِمونَ﴾[البقرة: ٢٥٤]، إذًا من ليس له شفاعة يوم القيامة؟ الكافر، الذي ليس له شفاعة يوم القيامة الكافر، **فالمقصود بنفي الشفاعة ها هنا:** نفي شفاعة الكافر، لا كما استدل المعتزلة بهذه الآيات على نفي الشفاعة مطلقًا، وكما استدل بها الدكتور مصطفى محمود على ذلك وقال بقول المعتزلة، الدكتور مصطفى محمود ينفي الشفاعة كذلك، والدكتور مصطفى محمود لما أراد أن يخوض في الدين كما يخوض كل أحد في الدين، ولا يحق لأحد أن يخوض في تخصص من التخصصات، يعني أنا لا أستطيع أن أخوض في الطب، وإنما كل أحد يستطيع أن يخوض في الدين، فلما أراد أن يخوض في الدين وأن يتكلم في الدين وقع على كتب أهل الاعتزال، فكان معظم قوله قول أهل الاعتزال، فنفى الشفاعة، وكذلك نفى أمورًا غير الشفاعة، يعني فيما سمعته مؤخرًا والعهدة على الناقل الدكتور مُحَمَّد بكر إسماعيل -رحمه الله وغفر له- وهو

من علماء الأزهر الكبار، كان يرد على مصطفى محمود في برنامج، فذكر له هكذا أنه نفى الجنة والنار حقيقةً، وقال: المقصود بالجنة هذه الراحة النفسية التي يراها أو تشعر بها الروح يوم البعث، وكذلك النار هذا التألم والقلق والاضطراب الذي يشعر به المرء إذا بُعث، فعياذًا بالله كأنه نفى بعث الأجساد، وهذا قول النصارى، النصارى لا يؤمنون ببعث الأجساد، وإنما يقولون: هو بعث الأرواح فقط، وهو قول الفلاسفة، فلما أراد أن يتكلم في الدين وقع على كتب أهل الاعتزال، وكل هذا باطل.

الصحيح: أن الشفاعة ثابتة بكتاب الله وبسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكن لا بد من شرطين كما قلنا، فإذا وُجد الشرطان كانت الشفاعة ثابتة، وهي التي تقترن بالإذن والرضا، فلا بد أن يأذن الله للشافع، وأن يرضى عن الشافع والمشفوع فيه، فإذا كان المشفوع فيه كافرًا لم يأذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في الشفاعة.

ولذلك لما يأتي إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يوم القيامة ليشفع في أبيه -وقد مات كافرًا- لا يقبل الله -عَزَّ وَجَلَّ- شفاعة إبراهيم في أبيه، بل يقلب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أباه زيخًا، وهو ذكر الضبع، كما جاء عند البخاري، ويُلقى به في النار، ولا يقبل شفاعة إبراهيم في أبيه، لماذا؟ لأن أباه مات كافرًا، وهو أبو الأنبياء وخليل الله إبراهيم، ومع ذلك لم يقبل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- شفاعته في أبيه.

فالشفاعة إما أن تكون مثبتة، وإما أن تكون منفية.

الشفاعة العظمى لم يُخالف فيها أحد من أهل القبلة، ما الشفاعة العظمى؟ شفاعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في بدء الحساب، لما يسجد تحت العرش، ويقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- له: «**يا مُحَمَّد، ارفع رأسك، وسل تُعطَى، واشفع تُشفَّع**»، فهذه لم ينكرها أحد من أهل القبلة، لا الخوارج، ولا المعتزلة، ولا الأشعرية، هذه غير مردودة عند أحد من أهل القبلة.

وأما الشفاعة الخاصة فهي التي أنكرها بعض أهل البدع، كالخوارج، والمعتزلة، كشفاعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والملائكة والصالحين في خروج أقوام من النار، وهي الشفاعة في أهل الكبائر، استدلالًا منهم بهذه الآيات التي ذكرناها في القرآن، وهذه الآيات إنما هي في

المشركين لا في المسلمين ، وكذلك تقديمًا لعقلهم على النقل، ولأنهم يُوجبون على الله ما لا يجب، فأوجبوا على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يُعذب العاصين، لأصلهم الفاسد في التحسين والتقبيح العقليين.

والشفاعة المثبتة أقسام:

منها: شفاعة خاصة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يشاركه فيها أحد، كالشفاعة العظمى، فهي لمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحده، الناس يأتون الأنبياء والمرسلين فيأبى كل واحد منهم أن يشفع، إلى أن يأتوا إلى عيسى -عليه الصلاة والسلام- فيقول: اذهبوا إلى عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيشفع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وكذلك من الشفاعات الخاصة بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: شفاعته في عمه أبي طالب، فيُخفف عنه العذاب، فلولا شفاعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكان أبو طالب في قعر النار ، ولكن بسبب شفاعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان أخف أهل النار عذابًا، أي: من أهل الكفر، تُوضع جمرتان في قدمه يغلي منهما دماغه، في ضحضاح من النار كما أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وكذلك شفاعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في دخول أهل الجنة الجنة، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما ورد في الصحيح: **«هو أول من يُحرك حِلق الجنة»**، فتقول الملائكة: من؟ فيقول: مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتقول الملائكة: أُمرنا ألا نفتح لأحد قبلك.

والقسم الثاني: الشفاعة العامة، فهي له -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولغيره من الناس والملائكة، وهذه تكون في أهل الكبائر، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**.

وكذلك جاء في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- في الصحيحين: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يشفع، وأن الملائكة تشفع، والصالحين يشفعون، ويُخرج الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- برحمته من شاء من خلقه من النار.

وكذلك الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة، كما قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في دعائه لأبي سلمة –رضي الله عنه–: **«اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين»**، فدعا له نبينا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– برفع الدرجات في الجنة.

قلنا: أنكر الشفاعة بعض الفرق، كالمعتزلة، والخوارج، وإنكارهم قائم على المعتقد السابق، فالقاعدة العامة عند أهل البدع: أنهم يعتقدون أولًا، يُؤصِّلون أصولًا، ثم بعد ذلك يلوون أعناق النصوص لتوافق هذا المعتقد، عندهم عقيدة راسخة، تلقوها من أئمتهم ومشايخهم، فإذا جاء أي نص بعد ذلك يخالف هذه العقيدة إما أن يردوا هذا النص، يقولون: خبر آحاد، أو رواه أبو هريرة، يطعنون في أبي هريرة ﷺ أو غيره من الصحابة، وإما أن يُؤولوه، أي: يجعلون له معنى يخالف المعنى الذي كان عليه السلف الصالح، فالمعتزلة عندهم أصل، أصّلوه، وهو إنفاذ الوعيد، هذا الأصل هو إنفاذ الوعيد، أن الله إذا توعد عبدًا بالعذاب فلا بد أن يُنفذ وعيده .

لمن تكون الشفاعة؟ أثبتوا الشفاعة للتائبين فقط، وبالتالي الشفاعة قد تكون في رفع الدرجات، تاب وغفر الله له فهذا يُشفع فيه، وأما العصاة فلا شفاعة لهم.

وكذلك استدلوا ببعض الآيات، كهذه الآيات التي ذكرناها، وكقول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: **﴿بَلى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَت بِهِ خَطيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ﴾**[البقرة: ٨١]، قالوا: قال الله تعالى: **﴿بَلى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَت بِهِ خَطيئَتُهُ﴾**، أي: مات على هذه السيئة وهذه الخطيئة ولم يتب منها، قال الله تعالى: **﴿فَأُولئِكَ أَصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدونَ﴾**، كيف نرد عليهم؟

أن السيئة التي ذُكرت في هذه الآية هي الشرك والكفر، كما فسرها بذلك أهل التفسير، جمهور أهل التفسير على أن السيئة المذكورة في الآية هي الكفر فهي التي تحيط بعمل العبد وتحبطه، وكذلك الآية نزلت في اليهود، ولم تنزل في المسلمين.

قال: **(وإن الشفاعة حق، وإن الحوض حق)**.

يعني به حوض النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

والحوض لغةً: مأخوذ من الفعل حاض يحوض ويحيض حوضًا وحيضًا، فهو مصدر واوي ويائي في نفس الوقت، حاض يحوض ويحيض، كالفعل قاس، قاس يقيس ويقوس، ولذلك المصدر منه قياسًا وقواسًا، تجد ذلك في الكتب الموسعة في أصول الفقه، عندما يذكرون أصل كلمة القياس.

وهو في اللغة بمعنى: السيلان، ومنه: الحيض، الحيض في اللغة: السيلان، وهو مجتمع الماء.

والحوض من المسائل العظيمة التي يذكرها أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد، وذلك لأمور:

الأمر الأول: أنه أمر غيبي ، والإيمان بالأمور الغيبية واجب، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ الكِتابُ لا رَيبَ فيهِ هُدًى لِلمُتَّقينَ * الَّذينَ يُؤمِنونَ بِالغَيبِ**﴾[البقرة: ٢-٣] جعل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في هذه الآية الإيمان بالغيب من أخص خصائص المؤمنين، بل الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الغيب ركن من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به.

الأمر الثاني: أن السنة دلت عليه بما يبلغ التواتر، فأحاديث الحوض متواترة، رواها نحو خمسين صحابيًا عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

الأمر الثالث: أن المبتدعة من المعتزلة والخوارج خالفوا في هذا الأمر وأنكروا الحوض.

فلهذه الأمور كان الحوض يُذكر في كتب الاعتقاد، كثير من المسائل تُذكر في باب الاعتقاد للمخالفة فيها.

وأما عن صفة الحوض: فقد جاءت السنة ببيان شكله، ومكانه، وآنيته، ومائه، ومصدر الماء:

فأما شكله: فطوله شهر، وعرضه شهر، زواياه سواء، وهذا يدل على أنه مربع، لماذا؟ لأن طوله شهر وعرضه شهر، صحيح؟ وزواياه سواء يعني الزوايا قائمة.

والمراد بالشهر: المسير بالجمل السير المعتاد؛ لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما خاطب الصحابة خاطبهم بما يعرفون، ولذلك الواجب علينا في تفسير القرآن والسنة أن نفسرهما بالعُرف ا الذي كان عليه أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأن القرآن نزل بلغتهم.

وأما المكان: فهو في الأرض المبدَّلة، ﴿يَومَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غَيرَ الأَرضِ وَالسَّماواتُ﴾[إبراهيم: ٤٨]، في عرصات يوم القيامة.

وأما آنيته: فقد ورد في بعض الأحاديث: «**كعدد نجوم السماء**»، وهذا يدل على كثرتها، نجوم السماء لا تُحصى، فكذلك آنية الحوض، وورد في أحاديث: «**كنجوم السماء**»، والثاني أشمل من الأول، في الأحاديث الأولى وفي الحديث الأول: «**كعدد نجوم السماء**»، إذًا الشبه يكون في العدد فقط، وأما في الحديث الثاني: كنجوم السماء، فهذا يكون في العدد والصفة، في الحسن والجمال، نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يرزقنا السُقيا من حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث: «**ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض من أمتي**»، يخاطب الصحابة، يقول: «**ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض من أمتي**»، وهذا يدل على أن الواردين على الحوض كثير، أسأل الله أن يجعلنا منهم.

وأما من حيث ماؤه: فهو أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، ورائحته كرائحة المسك، وماؤه من الكوثر، من النهر الذي أعطاه الله لنبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الجنة، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يشخب فيه من الكوثر ميزبان**»، أي: يأتيه فرعان من نهر الكوثر يصبان فيه.

والصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم: أن الحوض يكون قبل الصراط، لأن الأحاديث فيها أن «**أقوامًا يُزادون عن الحوض ويُؤخذ بهم إلى النار**»، فمعنى ذلك أنهم لن يمروا على الصراط، وإنما يُزادون ويُؤخذون قبل الصراط، فمعنى ذلك أن الحوض يكون قبل الصراط، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

وهو كذلك قبل الميزان وقبل تطاير الصحف، وهذا الذي يقتضيه حال الناس يوم القيامة، لماذا؟ لأن الناس بما فيهم المؤمنون يخرجون من قبورهم عطاشًا، فيحتاجون إلى أن يشربوا، فيكون شربهم من الحوض قبل الميزان وقبل تطاير الصحف في العرصات، نعم، الأدلة كثيرة جدًا.

والزود عن الحوض زودان، أما الكفار فلن يردوا على الحوض، فلا زود لهم، الزود زودان:

- زود عام عن حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زوج عام، وهذا لغير أمته أن يسقوا من حوضه، فإذا جاءت أمة غير أمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لتستقي من حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زادهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو زادتهم الملائكة عن حوض النبي، لماذا؟ لأن لكل نبي حوضًا، ليذهبوا إلى حوض أنبيائهم، وهذا فيه رحمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بهذه الأمة.

وكذلك ليعلم المؤمنون فضل أنبيائهم، لأن الأمم لو شربوا من حوض النبي -صلى الله عليه وسلم - لما عرفوا فضل أنبيائهم.

- وهناك زود خاص، وهذا الذي يكون لأقوام من أمة النبي -صلى الله عليه وسلم - يُزادون عن الحوض، كما جاء في الحديث: **«يُزاد أقوام»**.

وفيه كذلك: **«إنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم»**، إذا زادت الملائكة هؤلاء سأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عنهم، وفيهم العلامة "غُرٌّ محجلَّون"، هم من أمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتقول الملائكة: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

وهذا من أبلغ الرد على غلاة الصوفية الذين يقولون: النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الآن يعلم ما تفعله أمته، هناك من الصوفية من يعتقدون ذلك، يقولون: النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعلم ما تفعله أمته وهو في قبره، فهذا الحديث أبلغ رد عليهم، لأن الملائكة تقول للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فقد غيَّروا وبدَّلوا»**، فيقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«أصيحابي أصيحابي»**، وهذه اللفظة استدل بها بعض الرافضة على تكفير أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالوا: لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما زادت

الملائكةُ هؤلاء قال: «أصيحابي أصيحابي»، فدل ذلك على كفرهم، هكذا يقول الرافضة، ولا دليل في ذلك، لماذا؟

- أولًا: لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «أصيحابي»، وهذا تصغير، دليل على القلة، دليل على قلة من يعرفهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وليس فيه دليل على كفر الصحابة، لأن النبي قال: «أصيحابي»، ثم كيف نفسر قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أصيحابي»؟ قال أئمتنا: على فرض القول بأن هؤلاء من الصحابة فصحبتهم إنما كانت في حجة الوداع، هم من كانوا مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حجة الوداع ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، فنافقوا بعد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وماتوا على هذا النفاق، شرذمة من الأعراب، ، وأما سائر أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه.
- وأهل العلم على تفسير هذا الحديث بزود أهل البدع، فالذين يُزادون عن الحوض أهل البدع -سلمنا الله وإياكم- الذين يردون سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأهوائهم وعقولهم لن يردوا على الحوض، ولن يشربوا من حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولن ينالوا هذه الكرامة.
- وكذلك ممن يُزاد عن الحوض أعوان الظلمة، وسبحان الله هذا الحديث استوقفني، الذين يردون على الحوض الصابرون على جور الأئمة، الذي يصبر على جور الحكام وظلمهم، مع عدم رضاه بما يفعلون، فليس معنى أنني أصبر على ظلم الحاكم أنني أرضى بكل ما يفعل كما يتهمهم أهل الأهواء، قد أكون غير محب لهذا الحاكم مطلقًا، كما كان الحسن البصري، كان يُبغض الحجاج بن يوسف أشد البغض، ومع ذلك كان يصبر على جوره، بل إن مُحَمَّد بن سيرين لما رُؤيت رؤيا للحجاج فقُصت على مُحَمَّد بن سيرين أن الذي كان يقرأ له في رمضان رآه في رؤيا، فقال له: ماذا فعل الله بك؟ فقال: قتلني الله بكل نفس قتلة، فقال له هذا الرجل -وهذه إسنادها صحيح: فماذا ترجو؟ قال: أرجو ما يرجوه أهل لا إله إلا الله، فقص هذه الرؤيا على مُحَمَّد بن سيرين، فقال مُحَمَّد بن سيرين: وإنا نرجو له ما يرجوه أهل لا إله إلا الله، فقص على الحسن البصري الذي كان ينهى عن الخروج، قال: إني لا أرجو له ما يرجوه أهل لا إله إلا الله، فالحسن البصري يرجو أن يدخل الحجاج النار لا يخرج منها، مع أنه كان يأمر بالصبر على جوره، لماذا؟ لأن الحزبيين والتكفيريين وأهل البدع يصفون أهل السنة والجماعة بغلاة الطاعة، وأنهم يقولون

بتقديس الحاكم، ويصموهم بُعبَّاد البيادة، لا والله، قد يكون الواحد من أهل السنة يُبغض الحاكم أشد البغض ولكن يحكم عاطفته بالكتاب والسنة، وبهدي سلف هذه الأمة، حتى يستريح بر أو يُستراح من فاجر، هذه سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فمن الذي يرد على الحوض؟ الصابرون على جور الأئمة، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«اصبروا حتى تلقوني على الحوض»**، قال: اصبروا حتى تلقوني، ليبين لنا أن الصابر على جور الأئمة سيشرب من هذا الحوض، كرامة له ومكافأة له على صبره، طيب.

وفي حديث كعب بن عجرة: بيَّن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن أعوان الظلمة يُزادون عن الحوض، فالذي يُعين الحاكم الظالم على ظلمه هذا يُزاد على الحوض ولا يشرب من حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والذي يصبر على جور الأئمة هذا يشرب من حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهكذا مذهب أهل السنة جاء دائمًا وسط، لا يُعينون الحاكم على ظلمه، ولا يخرجون عليه يُهيجون الناس.

قلنا: أنكر الحوض المعتزلة، ولم يتصوروا وصفه بعقولهم، المعتزلة دائمًا يُحكِّمون عقلهم، وكذلك الخوارج والرافضة أثبتوا الحوض، ولكن من الذي يُزاد عن الحوض؟ أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ما أسباب الورود على الحوض؟

- التمسك بالكتاب والسنة، السنة سبيل قوي للورود على حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه أول بشرى، هذه بشرى في عرصات يوم القيامة، أن تشرب من الحوض هذا معناه أن ما بعد ذلك إن شاء الله أيسر،
- وكذلك ترك البدع والأهواء،
- وقلنا: عدم معاونة أئمة الجور على ظلمهم، والصبر على جور الأئمة،
- والمحافظة على الوضوء، فإن أمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لها علامة يوم القيامة، فهم الغُر المحجلون.

هل هناك دليل على أن لكل نبي حوضًا؟ ما الدليل على ذلك؟

نعم، هناك حديث ثابت عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لكل نبي حوضًا.

الذي لا يثبت: ما جاء في حوض صالح -عليه الصلاة والسلام- أن حوضه كضرع ناقته، وهذا ذكره الإمام البربهاري في السنة، ولا يثبت، لا يصح، إنما الثابت أن لكل نبي حوضًا.

ثم قال -رحمه الله-: **(والميزان حق)**.

وهذا ما نبدأ به إن شاء الله في الدرس القادم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الدرس الحادي عشر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

فقد قال المصنف -رحمه الله- في بيانه لاعتقاد أئمة الحديث: (**ويقولون: إن الله يُخرج من النار قومًا من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق، وإن الحوض حق، والميزان حق، والحساب حق، ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار؛ لأن علم ذلك مُغيَّب عنهم، ولا يدرون على ماذا يموت، أعلى الإسلام أم على الكفر، ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مُجتنبًا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ولم يذكر عنهم ذنبًا، قال: ﴿أُولَئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ * جَزاؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنّاتُ عَدنٍ﴾**[البينة: ٧-٨].

ومن شهد له النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعينه بأنه من أهل الجنة وصح له ذلك عنه فإنهم يشهدون له بذلك، اتباعًا لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتصديقًا لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-).

كنا قد توقفنا في الدرس الماضي عند الكلام على الحوض ومسائله، واليوم إن شاء الله نتكلم عن قول المصنف: (**والميزان حق**)، من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان، والميزان إنما نؤمن به لوروده في الكتاب والسنة، ولإجماع سلف الأمة على هذه العقيدة.

الله -تبارك وتعالى- حكم عدل، ولو أراد أن يحاكم الناس وأن يحاسبهم على مقتضى علمه السابق لفعل، وإنما من تمام حكمته وعدله -سبحانه وتعالى- أن يُقيم أعذار الخلق، وأن يُقيم الحجة عليهم، ولذلك ينصب الميزان يوم القيامة ليرى كل إنسان عمله، **﴿فَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ * وَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**[الزلزلة: ٧-٨].

والميزان من الإيمان بالغيب، ومن صفات المؤمن -كما قلنا- أنه يؤمن بالغيب، وبكل ما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مما يتعلق باليوم الآخر، ومن ذلك: الميزان، قال الله -تبارك

وتعالى- كما ذكر لنا في قصة لقمان -رحمه الله-: ﴿يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ فَتَكُن في صَخرَةٍ أَو فِي السَّماواتِ أَو فِي الأَرضِ يَأتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطيفٌ خَبيرٌ﴾[لقمان: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ * وَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ المَوازينَ القِسطَ لِيَومِ القِيامَةِ فَلا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا وَإِن كانَ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ أَتَينا بِها وَكَفى بِنا حاسِبينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

وجاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كذلك بيان حقيقة الميزان، وسعة هذا الميزان، وما الذي يُوزن، كل ذلك جاء في الشرع، فالإيمان بالميزان من عقيدة أهل السنة والجماعة.

والميزان يُنصب للعباد بعد انقضاء حسابهم، الله -عز وجل- إذا حاسب العباد وبيَّن لهم حسناتهم وسيئاتهم، وُزنت أعمالهم ليروا هل ترجح الحسنات أم ترجح السيئات.

قال القرطبي -رحمه الله-: "وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها".

الله -عز وجل- يحاسب العباد لكي يُقدر أعمالهم ويبين لهم الحسنات من السيئات، فإذا فرغ ربنا -تبارك وتعالى- من حسابهم وزن لهم أعمالهم ليكون الجزاء على مقتضى هذا الوزن، من رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته فهو في مشيئة الله -سبحانه وتعالى- إما أن يعفو عنه ويغفر له بفضله، وإما أن يعذبه بقدر ذنبه.

والميزان ميزان حقيقي، لا نقول كما يقول بعض المعتزلة: إن الميزان ليس ميزانًا حقيقيًا، وإنما يُراد به تمام عدل الله، هذا خطأ؛ لأن الله -تبارك وتعالى- ذكره، والأصل أن نُجري الألفاظ على ظاهرها، إذًا الذي نؤمن به أن ميزانًا سيكون يوم القيامة، ذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الرجل يُوزن يوم القيامة، وأن الأعمال تُوزن يوم القيامة، وأن الصحائف تُوزن يوم القيامة، فلا بد

أن نُجري هذه الألفاظ على ظاهرها، فهو ميزان حقيقي، لكن كيفيته، الهيئة التي يكون عليها وتمام هذه الهيئة لا نعلمها.

جاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما عند الحاكم من حديث سلمان في بيان حقيقة الميزان، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يُوضع الميزان يوم القيامة، فلو وُزن فيه السماوات والأرض لوسعت**»، لو جيء بالسماوات والأرض ووُضعت في الميزان لوسعت، «**فتقول الملائكة: يا رب، لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئتُ من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويُوضع الصراط مثل حد الموسى**»، فهو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، «**فتقول الملائكة: من يُجيز على هذا؟ فيقول الله تعالى: من شئتُ من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**».

وهذا الحديث رواه الحاكم مرفوعًا، ورواه الآجري موقوفًا على سلمان، وهو أصح، الأصح أنه من قول سلمان، ولكن هذا أمر غيبي لا يُقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع، كأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قاله، وصححه الألباني -رحمه الله- في الصحيحة.

لو نظرنا في هذا الحديث لوجدنا بيان أن الميزان ميزان حقيقي، فإن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**يُوضَع الميزان**»، فهو ميزان حقيقي، «**لو وُزنت فيه السماوات والأرض لوسعت**»، هذا كله يدل على أنه ميزان حقيقي، وكذلك سؤال الملائكة، فكل هذه قرائن تدل على أن الميزان حقيقي.

وجاء الاجماع كذلك نقله أكثر من واحد، فنقل أبو إسحاق الزجاج الإجماع، بل نقل الإجماع على أن له لسانًا وكفتين، كميزان الدنيا، أنت إذا ذهبت لتشتري الفاكهة تجد ميزانًا له كفتان وله لسان، هذا اللسان الذي يكون بين الكفتين ليضبط الميزان، فكذلك يكون ميزان الآخرة، نُقل الإجماع على ذلك، فكل ذلك يدل على أنه ميزان حقيقي، خلافًا لمن قال بأنه العدل.

ولذلك قال القرطبي -رحمه الله- رادًا على هؤلاء الذين يؤولون الآيات والأحاديث التي وردت في بيان الميزان، قال: "لو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين

الحق"، فليس هناك صراط يوم القيامة، وإنما يُراد به الدين الحق، "ولجاز حمل الجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح"، وهذا التأويل قال به الفلاسفة، وقالت به المعتزلة، بعض المعتزلة يقولون: إن الجنة والنار غير حقيقتين يوم القيامة، وإنما المراد بالجنة: تلك الراحة التي يشعر بها المرء وتشعر بها روحه، والنار: ذلك العذاب الذي يشعر به المرء، ويكون على روحه وهو قول النصارى كذلك، يقول: لو جاز أن نقول: إن الميزان بمعنى العدل لجاز لنا أن نؤول هذه الأمور، وأن نؤول كذلك الشياطين، قال: "والشياطين، والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، قال: وهذا كله فاسد".

ولتعلم يا طالب العلم: قد قال بهذا القول جماعة من المشهورين عند العامة، كمصطفى محمود، ومُحَمَّد عبده، قالوا مثل هذا الكلام، أولوا هذه الأمور أو بعض هذه الأمور، يتكلمون عن الشياطين، وعن أكل آدم من الشجرة، وعن خروجه من الجنة، وكذلك عن الجنة والنار، وعن الميزان، وعن الشفاعة، يقولون: هذه الأمور لا حقيقة لها، وإنما هي مجاز عن أمور أخرى، وكل هذا باطل، لماذا؟ لأن هذا رد صريح لما جاء في الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة.

ولذلك قال القرطبي: "وهذا كله فاسد؛ لأنه رد لما جاء الصادق -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".

قال: وفي الصحيحين: «**فيُعطى صحيفة حسناته**»، وقال كذلك: «**فتخرج له بطاقة**»، وهذا يدل على أنه ميزان حقيقي، أن العبد تُعطى له الصحيفة، وتخرج له بطاقة، وهذه البطاقة تُوضع في كفة الميزان، هذا كله يدل على أن الميزان ميزان حقيقي، وليس كما يقولون، طيب.

هل الميزان ميزان واحد أم موازين متعددة؟ جاءت بعض الآيات التي فيها إفراد الميزان، وكذلك آيات أخرى جاءت فيها جمع الميزان، كما قال الله -عز وجل-: ﴿**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسطَ لِيَومِ القِيامَةِ**﴾، فليس ميزانًا واحدًا، وبالتالي اختلف أهل العلم في ذلك، وهذا الخلاف يعني لا ينبني عليه تبديع ولا حكم بسنة، هو خلاف وارد، لماذا؟ لأنه يندرج تحت أصل متفق عليه، ما هو هذا الأصل؟ الإيمان بأن ميزانًا سيكون يوم القيامة تُوزن فيه أعمال العباد، هذا الميزان هل هو ميزان واحد؟ أم هو موازين متعددة؟ هل الذي يُوزن في الميزان الأعمال؟ أم الأجساد؟ أم الصحائف؟ كل ذلك جاء به النص، ولكن اختلف العلماء فيه، وهذا خلاف وارد، فهذا الأمر اختلف فيه العلماء.

ظاهر الحديث السابق الذي ذكرناه وهو حديث سلمان: «**يُوضع الميزان يوم القيامة، فلو وُزن فيه السماوات والأرض لوسعت**»، ظاهر هذا الحديث: أن الميزان ميزان واحد، طيب، ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ**﴾، هذا الجمع باعتبار ماذا؟ باعتبار الأعمال التي تُوزَن فيه، فجُمع باعتبار ما يُوزن فيه، فلا يُوزن فيه عمل واحد، وإنما تُوزن فيه أعمال متعددة.

وهذا هو الذي رجَّحه الحافظ ابن حجر في الفتح، أن الميزان واحد، وأن الجمع باعتبار تعدد الأعمال.

قال الجوهري -وهو من أئمة اللغة-: "جائز أن يقال للميزان الواحد بأوزانه موازين"، ومن أهل العلم من قال: بل هي موازين متعددة، أخذًا بظاهر هذه الآيات.

طب ما الذي يُوزن في هذا الميزان؟ جاء في الأحاديث أن الذي يُوزَن الصحائف، وجاء في أحاديث أخرى أن الذي يُوزَن الأعمال، وجاء في أحاديث أخر كذلك أن الذي يُوزَن فيه الأجساد، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يُؤتى بالرجل السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة**»، فالرجل هو الذي يُوزَن.

وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- لما كافئته الريح، كادت الريح أن تكفؤه، وكان دقيق الساقين -رضي الله عنه- فضحك الصحابة من دقة ساقيه، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إنها أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد**»، هذه الساق الدقيقة أثقل عند الله من جبل أحد، فدل ذلك على أن الذي يُوزَن الأجساد.

وفي حديث البطاقة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- البطاقة: هي التي تُوضع في الميزان أمام تسعة وتسعين سجلًا، فتطيش السجلات وترجح هذه البطاقة، فهذا دليل على أن الصحائف هي التي تُوزَن.

وكذلك جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، فهذا العمل هو الذي يُوزن.

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث أبي مالك الأشعري قال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»، فهذا العمل وهذا النطق بهذه الكلمة العظيمة "الحمد لله" هو الذي يُوضع في الميزان.

فما الذي يُوزَن؟ من أهل العلم من قال: إن الذي يُوزَن العمل، ومنهم من قال على مقتضى كذلك هذه الأحاديث: إن الذي يُوزَن العامل نفسه، كما في حديث عبد الله بن مسعود، وكذلك في الحديث الذي ذكرناه.

وكذلك منهم من قال: الذي يُوزَن صحائف الأعمال.

والصحيح: أن الذي يُوزَن: العامل، وعمله، وصحيفته، أو أن نقول: من الناس من تُوزَن صحيفتهم فقط، كما جاء في بعض الأحاديث، ومنهم من يُوزَن مع عمله، ومنهم من يُوزَن مع عمله وصحيفته، وبهذا نجمع بين هذه الأدلة، فهي تأتلف ولا تختلف، طيب.

متى يكون الميزان؟ الميزان يكون آخر الأعمال يوم القيامة، أي: بعد الحساب، وقبل الجواز على الصراط.

قال السفاريني -رحمه الله- في لوامع الأنوار البهية في بيان مراتب المعاد قال: "اعلم أن مراتب المعاد البعث والنشور، يبعث الله -تبارك وتعالى- الأجساد وينشرهم ليقوموا للحساب، ثم المحشر، يُحشرون للعرض على الله -سبحانه وتعالى- ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال، ثم السؤال والحساب، ثم الميزان للثواب".

موقف الميزان موقف صعب، حتى قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن الرجل لا يذكر أحدًا في هذا الموقف**»، ذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مواقف ثلاثة، لا يذكر الواحد أحدًا ولو كان من أحب الناس إليه، من هذه المواقف: الميزان، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لصعوبة هذا الموقف يقف عند الميزان ليرى أجور أمته، وليرى ثواب أمته، وليرى مصير أمته.

أنس -رضي الله عنه- سأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يشفع له يوم القيامة، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أنا فاعل**»، وهذه منقبة لأنس، أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

استجاب له، قال أنس: فقلت يا رسول الله، أين أطلبك؟ الناس كثيرون يوم القيامة، وأمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمة غفيرة، فأين أطلبك يا رسول الله؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط**»، يعني لا بد أن تجد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الموقف، هذا المكان يتأكد فيه وجود النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال أنس: فإن لم ألقك يا رسول الله على الصراط؟ إن لم أجدك على الصراط؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**فاطلبني عند الميزان**»، قال: قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فإني لا أُخطئ هذه الثلاث المواطن**»، لا بد أن تجد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند أحد هذه المواطن الثلاثة، وهذا الحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي.

هل ذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الأمور على هذا الترتيب مقصود، أي أنها ستقع على هذا الترتيب؟ قلنا: لا، لماذا؟ لأن الصراط لا يكون أولًا، بل ذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- آخر ما يكون، وهو جواز الصراط، ثم ذكر الذي قبله وهو الميزان، ثم ذكر الذي قبله وهو الحوض، إذًا لم يكن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قاصدًا لهذا الترتيب، وإنما المراد بيان شدة شفقة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على أمته، فذكر بأشد الأماكن وأكثر الأماكن التي يتأكد فيها وجود النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

تقول عائشة -رضي الله عنها-: ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما يُبكيكِ؟ فقالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان، حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف، حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضع بين ظهراني جهنم حتى يجوزه**»، في هذه المواضع الثلاثة لا يذكر أحدٌ أحدًا، مواقف عظيمة وشديدة، لأن الإنسان بعد ذلك بعد هذه المواقف يترتب عليها مصيره، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

إذا كان أمر الميزان بهذه الخطورة فينبغي علينا أن نُثقل موازيننا، أسأل الله تعالى أن يُثقل موازيننا بالحسنات.

كيف يُثقِّل المرء ميزانه؟

أعظم ما يُثقِّل الميزان التوحيد، أن يكون العبد مُوحدًا محققًا للتوحيد، وأن يلهج لسانه دائمًا بكلمة التوحيد، فهي أحسن الحسنات، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث أبي ذر -رضي الله عنه-: «**أحسن الحسنات لا إله إلا الله**»، وكما جاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ولا يثقل مع اسم الله شيء**»، وكما جاء في حديث عبد الله عمرو بن العاصي الذي ذكرناه منذ قليل: يكون أمام بطاقة التوحيد تسعة وتسعون سجلًا من الذنوب والمعاصي، ومع ذلك تطيش هذه السجلات أمام كلمة التوحيد.

وكما جاء في وصية نوح لولده، فإنه لما أوصى ولده أوصاهم بهذه الكلمة العظيمة التي لا يثقل معها شيء.

كذلك مما يُثقِّل الميزان: قول: "**سبحان وبحمده سبحان الله العظيم**"، فهما كلمتان ثقيلتان في الميزان.

وكذلك قولنا: الحمد لله، أن تلهج دائمًا بهذه الكلمة "الحمد لله"، لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال كما في صحيح مسلم: «**والحمد لله تملأ الميزان**»، هذا الميزان على سعته التي ذكرناها تملؤها هذه الكلمة العظيمة.

وكذلك حسن الخُلق، **فأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخُلق**، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وكذلك الجهاد في سبيل الله، الجهاد المشروع في سبيل الله الذي يكون تحت راية واضحة، وخلف إمام، ويكون جهادًا للكفار، لا جهادًا وقتالًا وتفجيرًا في المسلمين، كما يفعل الخوارج، فالجهاد في سبيل الله كذلك يُثقِّل الميزان، كما جاء عند البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة**».

ولذلك قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعثمان بن عفان لما جهَّز جيش العسرة ماذا قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قال: **"ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم"**، لماذا؟ لأن هذه الأمور تكون في ميزانه يوم القيامة.

إذًا نخلص من هذا الكلام: أن الميزان حقيقي، له كفتان، وأن الموزون إما أن يكون الأعمال، أو الشخص، أو الصحائف أو الصحف، وأن الميزان يكون قبل الجواز على الصراط، وأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يكون عند الميزان، وأن الناس لا يذكرون أحدًا في أحد مواطن ثلاث، من هذه المواطن: عند الميزان.

قال: **(والحساب حق)**.

لأن الله -عز وجل -من أسمائه: الحكيم، ما خلقنا عبثًا ولا هملًا ولا سدىً -سبحانه وتعالى- ﴿**أَيَحسَبُ الإِنسانُ أَن يُترَكَ سُدًى**﴾[القيامة: ٣٦]، أي: لا يُؤمر ولا يُنهى، فمن تمام حكمة الله -عز وجل- أن يُحاسبنا يوم القيامة، وإلا فلو لم يكن هناك حساب كيف يقتص المظلوم من الظالم، هب أن إنسانًا ظُلم في هذه الحياة الدنيا، لو لم يكن هناك حساب يوم القيامة كيف يقتص المظلوم من الظالم؟! أين يذهب جزاء الطائع؟! وكيف يُحاسَب ويُجازَى العاصي؟! فمن تمام حكمة الله -عز وجل- أن يكون هناك حساب، وحتى يظهر كمال عدله وسعة رحمته وغناه سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله: **(ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار؛ لأن علم ذلك مُغيَّب عنهم)**.

يريد بذلك الكلام: لو أن أحدًا مات من أهل القبلة من المسلمين فليس لنا أن نقطع له بجنة ولا نار أيًا كان موته، مات مقاتلًا في سبيل الله، مات وهو يصلي، مات وهو ساجد، قتل نفسه، لا يجوز لنا أن نقطع له بجنة ولا نار، حتى ولو مات في الجهاد، ولو مات ساجدًا، لا يجوز لنا أن نقطع له بجنة ولا نار، لماذا؟ قال المصنف ها هنا: **(لأن علم ذلك مُغيب عنهم)**، نحن نحكم بالظاهر، نقول: لعل الله ختم له بخاتمة حسنة، أما ما وراء ذلك لا نستطيع أن نحكم به، لماذا؟ لأن الباطن لا يعلمه إلا الله، قد يكون مُرائيًا، قد يكون مشركًا ونحن لا نعلم.

ولذلك قال الطحاوي -رحمه الله-: "ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا"، يعني من أهل القبلة، "إلا من شهد له الوحي"، كالعشرة، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة»**، عدَّد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عشرة من أصحابه قال: إنهم في الجنة، إذًا نقطع لهم أنهم في الجنة، وكذلك قطع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لغيرهم بالجنة، وأما بخلاف هؤلاء فلا يجوز لنا أن نقطع لهم بالجنة أو بالنار.

وهذه المسألة -أعني مسألة الشهادة للمُعين بجنة- اختلف فيها السلف على أقوال ثلاثة:

- فمنهم من قال: لا يُشهد لأحد بجنة إلا للأنبياء، وهذا منقول عن مُحَمَّد بن الحنفية، وعن الأوزاعي.

- ومنهم من قال: يُشهد لمن جاء فيه النص، كالعشرة المبشرين، وهذا قول جمهور أهل العلم، وهو القول الصحيح.

- ومنهم من قال: يُشهد لهؤلاء -أي: للعشرة- ولمن شهد له المؤمنون، فلو اجتمع أهل بلدتنا مثلًا على الشهادة لإنسان أنه كان من الصالحين الأتقياء فهو من أهل الجنة، فهؤلاء يقولون: يجوز لنا أن نشهد له أنه من أهل الجنة.

واستدلوا بقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما مرت الجنازة فأثنى الصحابة عليها خيرًا، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«وجبت لها الجنة»**، ومرت جنازة أخرى فأثنى الناس عليها شرًا، فقال: **«وجبت»**، أي: وجبت لها النار، ثم قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«أنتم شهداء الله في الأرض»**.

لكن الصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم: الشهادة لا تكون لمعين إلا من شهد له رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال: **(ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مجتنبًا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة)**.

أي: مصيره لا بد أن يكون إلى الجنة، وإن دخل النار ابتداءً، من مات على التوحيد لا بد أن يدخل الجنة يومًا ما، وهذا ينقسم قسمين:

إما أن يكون مجتنبًا للكبائر والأهواء والذنوب، فهذا لا يدخل النار ابتداءً، لماذا؟ لأن حسناته ترجح على سيئاته، فيدخل برحمة الله الجنة دون عذاب، طيب.

من كان موحدًا وكان صاحب كبائر، فهذا إما أن يدخل الجنة ابتداءً بعد عفو الله عن ذنوبه ومعاصيه، وإما أن يدخلها مآلًا بعد ذلك، أي: لا بد أن يدخل الجنة يومًا ما.

قال: **(لقوله تعالى)**.

أي: في بيان من يدخل الجنة ابتداءً دون عذاب.

(﴿**إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾ **قال: ولم يذكر عنهم ذنبًا، قال:** ﴿**أُولئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ * جَزاؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنّاتُ عَدنٍ**﴾**[البينة: ٧-٨]**).

كذلك الإنسان لا يقطع لنفسه بقبول الأعمال من عدمه، هل يستطيع الواحد منا أن يقطع أن الله تقبَّل صلاة العشاء منه؟ أنه إن تصدَّق قبل الله صدقته؟ إن صام رمضان قبِل الله صومه؟ لا يستطيع أحد أن يقطع بقبول الأعمال الصالحة منه.

ولذلك أجاز السلف الاستثناء في الإيمان، أي أن أقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وحرَّموه في موضع، ففي موضع يجوز لك أن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وفي موضع يحرم عليك أن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أي: تقييد هذه الكلمة بالاستثناء يكون محرمًا.

متى يجوز لك أن تستثني؟ إن خشيت أن يكون ذلك من باب التزكية، والله يقول: ﴿**فَلَا تُزَكّوا أَنفُسَكُم**﴾[النجم: ٣٢]، تقول: أعمالي مقبولة إن شاء الله، تُعلق ذلك على مشيئة الله، لأنك لو قطعت بقبول الأعمال فهذا فيه تزكية للنفس.

متى يحرم أن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ إن كان ذلك بناءً على الشك في الإيمان، لأن الشك في الإيمان كفر، فالمؤمن لو سئل: هل أنت مؤمن بمحمد؟ نعم، لا تقل: إن شاء الله؛ لأن إن شاء الله هذه معناها الشك، أنا مؤمن بأركان الإيمان الستة: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله،

واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، دون استثناء، أي: دون قول: إن شاء الله، هل جئت بصيام رمضان على ما ينبغي؟ تقول: إن شاء الله، فهنا الاستثناء جائز، حتى لا يقع المرء في تزكية نفسه، خلافًا لمن أوجبه، فمن الفِرق من أوجب الاستثناء، فجعل الواجب أن تقول في كل عمل: إن شاء الله، يعني حتى بعد صلاتك لهذه العشاء واجب عليك أن تقول: صليت العشاء إن شاء الله، وهذا خطأ، إيجابه في كل عمل خطأ، وتحريمه في كل عمل خطأ، وإنما قول السلف أنه يجوز في مواضع ويحرم في مواضع أخرى.

قال: **(ومن شهد له النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعينه بأنه من أهل الجنة وصح له ذلك عنه فإنهم يشهدون له بذلك، اتباعًا لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتصديقًا لقوله)**.

قال الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث قال: "فأما الذين لهم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقًا للرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما ذكره ووعد لهم، فإنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، والله تعالى أطلع رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على من شاء من غيبه، وبيان ذلك في قوله -عز وجل-: ﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلى غَيبِهِ أَحَدًا * إِلّا مَنِ ارتَضى مِن رَسُولٍ﴾[الجن: ٢٦-٢٧]"، فالله هو الذي يُطلع نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على أهل الجنة وأهل النار، فنشهد لمن شهد له رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال: **(ويقولون: إن عذاب القبر حق، يُعذِّب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفا عنه، لقوله تعالى: ﴿النّارُ يُعرَضونَ عَلَيها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقومُ السّاعَةُ أَدخِلوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذابِ﴾[غافر: ٤٦]، فأثبت لهم ما بقيت الدنيا عذابًا بالغدو والعشي دون ما بينهما، حتى إذا قامت القيامة عُذبوا أشد العذاب بلا تخفيف عنهم كما كان في الدنيا.**

وقال: **﴿وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكًا﴾، قال: يعني قبل فناء الدنيا، لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أَعمى﴾[طه: ١٢٤]، بيَّن أن المعيشة الضنكى قبل يوم القيامة، قال: وفي معاينتنا اليهود والنصارى والمشركين في العيش والرغد والرفاهية في**

المعيشة ما يُعلم به أنه لم يُرد به ضيق الرزق في الحياة الدنيا، لوجود المشركين في سعة من أرزاقهم، وإنما أراد به بعد الموت قبل الحشر).

إذًا هذه الفقرة في بيان إيمان أهل السنة والجماعة بعذاب القبر، وهذه الإضافة "عذاب القبر" من باب إضافة الشيء إلى محله، فأين يكون العذاب؟ في القبر، فهي من باب إضافة المصدر إلى مكانه، فهذا النوع من العذاب يكون في القبر في البرزخ، في الحياة التي تكون بين الحياة الآخرة والحياة الدنيا، أو من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: عذاب المقبور، فأطلق المصدر وأراد اسم المفعول، أي: عذاب المقبور، وهذا مما يؤمن به أهل السنة والجماعة كذلك، لأنه من جملة الإيمان بالغيب، فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وهذا تواتر عليه الكتاب والسنة والإجماع، طيب.

عذاب القبر لم يُذكر صراحة في القرآن، لا تجد آية في كتاب الله ذكر الله فيها عذاب القبر صراحة، لماذا؟ قال ابن القيم -رحمه الله- في كتاب الروح لما سُئل عن سبب عدم ذكر عذاب القبر صراحة في القرآن فأجاب: "لأن الله أنزل وحيين"، أنزل الكتاب والسنة، "وهذا أمر متفق عليه، لا ينكره إلا من ليس من أهل الإسلام"، فمن كذَّب بوحي السنة كفر، فهذا من ابتلاء العباد، ثم بيّن -رحمه الله- أنه مذكور غير صريح في القرآن قال تعالى: ﴿وَلَو تَرى إِذِ الظّالِمونَ في غَمَراتِ المَوتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطو أَيديهِم أَخرِجوا أَنفُسَكُمُ اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهونِ﴾[الأنعام: ٩٣]، والمراد باليوم حياة البرزخ لا الآخرة كما جاء عن أهل التفسير.

وقال الله -عز وجل-: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَينِ﴾[التوبة: ١٠١]، قال قتادة: "في الدنيا وفي القبر"، هاتان المرتان: في الدنيا وفي القبر، لأنه قال بعدها: ﴿ثُمَّ يُرَدّونَ إِلى عَذابٍ عَظيمٍ﴾[التوبة: ١٠١]، وهو عذاب الآخرة.

أضف إلى ما سبق الآيتين اللتين ذكرهما المصنف رحمه الله في المتن، ففيهما كذلك إثبات عذاب القبر، وأما سنة النبي ﷺ فالأحاديث في ذكره متواترة تواتراً معنويا، ومنها ما سيأتي وفيه الدلالة الصريحة.

أسباب عذاب القبر:

- إما أن تكون اسبابًا مجملة.

- أو أن تكون أسبابًا مُفصلة.

الأسباب المجملة: هي الجهل بالله تعالى، وبأسمائه، وصفاته، وإضاعة أمره، وارتكاب نهيه، فلا يُعذب الله روحًا تعرفه، وأحبته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ولم يتب ومات كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر كما يقول ابن القيم رحمه الله.

إذًا ما السبب المجمل في عذاب القبر؟ الجهل بالله، وبأسمائه، وصفاته، وعدم اجتناب نهيه، وترك أمره.

ما الأسباب المفصلة؟ عدم الاستبراء من البول، الذي لا يُحسن الاستنجاء وقضاء الحاجة. مر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على قبرين فقال: **«إنهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، وإنه لكبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله»**، والحديث في الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنه-.

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«عامة عذاب القبر من البول»**، أي: أكثر عذاب القبر من البول، لا شك أنه بسبب استخفاف العامة في هذا الأمر، وأنت ترى الشباب الآن إذا دخل دورات المياه ماذا يصنع؟ يبول قائمًا دون استعمال الماء ويخرج، هذا تراه كثيرًا في طلاب المدارس، والجامعات، وهذا من أسباب عذاب القبر -عياذًا بالله-.

كذلك المشي بين الناس بالنميمة، كما جاء في حديث ابن عباس هذا الذي ذكرناه، **«وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة»**.

وكذلك الغلول، الغلول أي: الذي يأخذ شيئًا من الغنيمة قبل القسمة، فهذا شملته وما أخذه من الغنيمة تشتعل عليه في قبره، كما أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الرجل الذي غل شملة في غزوة خيبر.

وكذلك الزنا، والربا، والكذب، وهجران القرآن، كما جاء في حديث سمرة بن جندب -رضي الله عنه- لما «**أتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- آتيان وانطلق به، فأتيا به على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة يهوي بها عليه فيفلغ بها رأسه -يُهشم بها رأسه- فلما سأله النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك فقال: إن هذا الذي يأخذ القرآن وينام عنه وعن الصلوات**»، يهجر القرآن بعد أن امتن الله عليه بهذه النعمة، «**وأتيا بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على رجل مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، يأتي إحدى شقي وجهه فيُشرشر شدقه إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، فقال للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هذا الرجل يكذب الكذب فتبلغ الآفاق**»، الكذاب الذي ينشر الكذب بين الناس، ينشر الأخبار الكاذبة بين الناس، وما أكثر ذلك الآن في مواقع التواصل الاجتماعي.

وكذلك «**أتيا بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على تنور -الفرن- وإذا فيه لغط وأصوات، وفيه رجال ونساء عراة، يأتيهم اللهيب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ضوضو -أي: صرخوا صراخًا شديدًا- فلما سألهما النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: هؤلاء الزناة والزواني، وجيء به على نهر أحمر كالدم، يسبح فيه رجل يصغر فاه، فيملؤها الآخر أحجارًا، فلما سأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك قيل له: هذا آكل الربا**».

وكذلك المدين يُحبَس بدينه، من مات وعليه دين عُذّب في قبره، وحُبس عن نعيم الجنة حتى يُسدَد عنه دينه.

بل إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث سعد بن الأطول -رضي الله عنه-: جاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أخ له مات، وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالًا، فأراد أن ينفقها على عياله، ولكن الصحابة ما كانوا يفعلون شيئًا حتى يستشيروا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن أخاك محبوسٌ بدينه، فاذهب فاقضِ عنه**»، انظر، قدَّم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قضاء دينه على النفقة على عياله.

وكذلك الميت يُعذَّب ببكاء أهله، إن كان من سنته، يعني لو وصى أهله قبل أن يموت بأن يصيحوا عليه، وأن يذكروا محاسنه ومناقبه، فهذا كذلك مما يكون سببًا في عذاب القبر، كما كان حال أهل الجاهلية، قال طرفة بن العبد لأخته قال:

فإن متُ فانعيني بما أنا أهله　　　وشُني عليَّ التراب يا ابنة معبد

"فإن متُ فانعيني بما أنا أهله"، قولي: يا سبعي، ويا جملي، ويا ...، "وشُني عليَّ التراب"، فهذا كذلك من الأمور التي تستوجب عذاب القبر.

الصراخ والعويل معصية، والنائحة إذا لم تتب جاءت يوم القيامة وعُذبت بسربال من قطران ودرع من جرب -عياذًا بالله- ماذا تفعل بعض النساء الآن؟ تركوا المعصية ووقعوا في البدعة، وقعوا فيما هو شر من المعصية، الآن إذا خرجت جنازة تجد النساء تقول في صوت واحد: لا إله إلا الله، هذه بدعة منكرة، وأشد من المعصية؛ لأن شهود الجنازة عبادة، والواجب في شهود الجنازة الصمت، فهذه استبدلت المعصية ببدعة، ولو كان خيرًا لفعله النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحبه.

ما المنجيات من عذاب القبر؟ أسأل الله -عز وجل- أن يُنجينا من عذاب القبر، القبر كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«أول منازل الآخرة»**، إذًا القبر هو بداية الحياة الحقيقية، هذه الحياة التي نحياها حياة فانية، هذه دار عمل، دار اختبار، وأما الحياة الحقيقية فهي في الآخرة، والقبر من أمور الآخرة، ولذلك قال الله -عز وجل-: **﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ﴾**[العنكبوت: ٦٤]، أي: لهي الحياة الحقيقية التي يحياها الإنسان، فأول منازل الآخرة: القبر، فإن نجا منه العبد فما بعده أيسر منه، هنيئًا له.

ولذلك يأتي العمل الصالح في صورة رجل، ويبقى مع صاحبه يُؤنس وحشته ووحدته، ويتنعم في قبره، ويُوسَّع له في قبره مد بصره، ومع ذلك يقول: رب أقم الساعة، لماذا؟ لأنه يعلم أن ما بعد ذلك أيسر، بخلاف من يُعذَّب في قبره، ويُضيَّق عليه قبره، وتختلف أضلاعه، يُعذَّب في القبر، ومع ذلك يقول: رب لا تُقم الساعة، لماذا؟ لأنه يعلم أنه إن خرج من هذا القبر فما بعده أشد منه -عياذًا بالله-.

ما الذي يُنجي من عذاب القبر؟ هناك كذلك أسباب عامة تتعلق بالمتروكات وأسباب خاصة تتعلق بفعل مأمورات

أما الأسباب العامة: فهي اجتناب كل الأسباب الموجبة لعذاب القبر، الإنسان يجتنب هذه الأسباب التي ذكرناها، مما تكون سببًا في عذاب القبر، من ترك الصلاة، والزنا، وأكل الربا، وغير ذلك.

وأما الأسباب الخاصة: فمنها التعوذ بالله من عذاب القبر، نعوذ بالله من عذاب القبر، فقد جاء ذلك عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء من دعائه وأمره وتقريره، فقد كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدعو بذلك، فجاء عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يدعو في الصلاة: **«اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات»**.

وجاء في صحيح مسلم أمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- به، قال كما في حديث أبي هريرة: **«عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات، عوذوا بالله من عذاب الله»**، أي: تعوذوا بالله.

وجاء كذلك إقرار النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ففي الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت: أعاذكِ الله من عذاب القبر، اليهودية هي التي قالت لعائشة: أعاذكِ الله من عذاب القبر، فسألت عائشة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«نعم، عذاب القبر حق»**، تقول عائشة: فما رأيت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلى صلاة إلا تعوَّذ فيها من عذاب القبر.

كذلك مما يُنجي من عذاب القبر: قراءة سورة الملك كل ليلة، الإنسان قبل أن ينام يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث ابن مسعود وصححه الألباني في الصحيحة قال: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»، وقال: **«إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[الملك: ١]»**.

كذلك الاستعداد للموت بالأعمال الصالحة، والشهادة في سبيل الله، هذه أسباب يستطيع المرء أن يقوم بها، طيب.

هناك كذلك أسباب قدرية، بشريات لله –عز وجل– لا دخل للإنسان فيها، كالموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، فمن مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة وُقيَ من عذاب القبر، كما جاء عند أبي داود والترمذي بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»**.

كذلك الموت بداء البطن، الذي يُبتلى ببطنه، سواء بفشل كلوي، أو بالكبد، أو أي مرض من أمراض البطن، أسأل الله –عز وجل– أن يعافينا وإياكم، فهذا كذلك لا يُعذَّب في قبره، فعند الترمذي وصححه الألباني: **«من يقتله بطنه فلن يُعذَّب في قبره»**، ولكن لا ينبغي لإنسان أن يتمنى البلاء، لا ينبغي لإنسان أن يسأل الله أن يبتليه بالمرض، لماذا؟ لأنه لا يدري أيصبر أم لا، لعل الله يبتليه بهذا المرض فيتضجر ويعترض على قضاء الله وقدره، فيكون –عياذًا بالله– سببًا في كفره، ودخوله النار، ولكن نسأل الله العافية، فإذا ابتُلي المرء صبر.

كذلك المرأة التي تموت بجمع، المرأة التي تموت وهي تلد، فهذه المرأة كذلك تُوقَى من عذاب القبر كما جاء عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فعذاب القبر حق كما قال المصنف، طيب.

ما الذي يكون في عذاب القبر؟ ما الدليل عن عذاب القبر؟ هذه الأدلة التي ذكرناها مع الأدلة التي ذكرها المصنف، عن فرعون وجنده وقومه، قال: **﴿النّارُ يُعرَضونَ عَلَيها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقومُ السّاعَةُ أَدخِلوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذابِ﴾**[غافر: ٤٦]، ففرَّق بين عذاب يوم القيامة والعذاب الذي يكون قبل ذلك.

وقال تعالى: **﴿وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكًا﴾**، بعض الناس يفسر المعيشة الضنكى بضيق العيش والرزق، والمصنف ها هنا يقول: هذا الكلام غير صحيح، لماذا؟ قال: لأننا نجد المشركين في سعة من العيش والرزق، انظر إلى بلاد الكفر، إلى دول أوروبا وأمريكا وغير ذلك، فالمعيشة الضنك تكون في ماذا؟ في القبر، ولذلك قال: **﴿وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أَعمى﴾**[طه: ١٢٤].

نعم، وكذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا بِالقَولِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظّالِمينَ وَيَفعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ﴾[إبراهيم: ٢٧]، قرأها النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما في حديث البراء بن عازب.

قال: **(ويؤمنون بمسألة منكر ونكير)**.

لما جاء عند الترمذي في جامعه، وابن حبان في صحيحه، من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**إذا قُبر الميت**» أو قال: «**أحدكم**»، «**إذا قُبر الميت**»، وهذا يشمل كل ميت، أو قال: «**أحدكم**»، وهذا يشمل كل أحد يُقبَر، قال: «**أتاه ملكان أسودان أزرقان**»، لا نعلم كيفية هذه الصورة، «**أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير**» هكذا بالالف واللام، للتعظيم، فالأول يُسمى المنكر والثاني يُسمى النكير، وذلك لبشاعة منظرهما، ولما يقومان به عند سؤال العبد، قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**فيُجلسانه، وينهرانه، ويقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في النبي الذي بُعث فيك –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟**»، ولذلك لا يكون التثبيت إلا من قِبل الله، نسأل الله الثبات.

قال: **(يؤمنون بمسألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مع قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا بِالقَولِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظّالِمينَ وَيَفعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ﴾[إبراهيم: ٢٧]، قال: وما ورد تفسيره عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–)**.

قلت: يعني ما جاء عند البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «**المسلم إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا بِالقَولِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ﴾**» الآية.

ثم قال المصنف –رحمه الله–: **(ويرون ترك الخصومات والمراء في الدين وغيره)**، وهذا ما نبدأ به إن شاء الله في الدرس القادم، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الدرس الثاني عشر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في الكلام على اعتقاد أئمة الحديث، وكنا قد وصلنا عند قول الحافظ -رحمه الله-: **(ويرون ترك الخصومات والمراء في الدين، ويرون ترك الخصومات والمراء في القرآن، وغيره، لقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ما يُجادِلُ في آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[غافر: ٤]، يعني يجادل فيها تكذيبًا بها، والله أعلم)**.

يقول -رحمه الله-: **(ويرون)**، يعني أئمة الحديث، أهل السنة والجماعة، **(يرون ترك الخصومات والمراء في القرآن وغيره)**، أي: يرون ترك الجدال؛ لأن الجدال منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود، والذي جاء النهي عنه المراء والجدال المذموم، وهو الجدال القائم على طريقة المتكلمين، على طريقة أهل البدع، الذين يضعون أصولًا معينة ثم يُجادلون ويُخاصمون على أساسها، لهم قواعد عقلية فاسدة هي أجنبية عن الكتاب والسنة، وبدع كلامية، يردون إليها كل جدالهم وخصامهم، فهذا هو الذي ذمه السلف، وأما الذي يجادل بالكتاب والسنة نصرةً للحق فجداله ممدوح.

ولذلك المراد هنا: **(ويرون)** أي: أهل السنة والجماعة **(ترك الخصومات المذمومة)**، القائمة على طريقة المتكلمين، لماذا؟ لأنها تخالف الطريقة السنية القائمة على الكتاب والسنة، وهذه كانت عادتهم.

سُئل الإمام أحمد -رحمه الله- عن الجهم بن صفوان، فقال: كان صاحب خصومات وكلام، فأنت تجد أصحاب البدع والكلام عندهم لسان وكلام وجدل، وقلَّما يستشهدون بكتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يستشهدون إلا بالمتشابه من الشرع، وأما المحكم الذي ينبغي أن يُرد إليه المتشابه فهذا لا يستشهدون به، وإنما يردونه ببدعهم الكلامية وخصوماتهم.

وأما الذي يذب عن الحق بالكتاب والسنة ويجادل أهل الباطل فهذا في جهاد، بل هو في جهاد أكبر، فالجهاد الأكبر جهاد المنافقين وأهل البدع الذين يحرفون الناس عن كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

إذًا الخصومات التي يرى أهل السنة والجماعة تركها هي الخصومات المذمومة، والجدال المذموم.

ولذلك كان أحمد -رحمه الله- في مناظراته لأهل البدع من المعتزلة وغيرهم كان عند المناظرات لا يسكت، وإنما يجادل ويتكلم، ولكن بما يتكلم؟ يتكلم بالكتاب والسنة وكلام السلف، فإن أرادوا زيادة عن ذلك سكت، ويقول: ايتوني بآية من كتاب الله أو بحديث من أحاديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أقول به، وأما بخلاف ذلك فهذا أمر لا يعرفه أحمد، ولا يعني هذا عدم معرفة الإمام أحمد بالدلائل العقلية، فهو رحمه الله إمام في ذلك، ومن طالع رده على الجهمية والزنادقة علم ذلك علم اليقين، لكنهم أرادوه على طريقتهم هم في الخصومة والجدال.

قال: (**ويرون ترك الخصومات والمراء في القرآن**)، ما المراء في القرآن؟ المراء في القرآن أي: المجادلة فيه، على مذهب الشك والريبة، الذي يجادل في آيات القرآن من أجل الشك، التشكيك، ومن أجل الارتياب فيما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال البغوي في شرح السنة قال: "المراء: الشك، كما قال الله تعالى: ﴿**فَلا تَكُ فِي مِريَةٍ مِنهُ**﴾[هود: ١٧]"، لأن الأصل في المسلم أن يُسلِّم بكل ما جاء في الكتاب والسنة، لا أن يشك وأن يرتاب في ذلك.

إذًا الأصل عند أهل السنة والجماعة: قبول كل ما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع عدم المراء والشك في ذلك.

ولذلك قال أبو القاسم الأصبهاني في كتابه "الحجة في بيان المحجة" قال: "نحن"، إذا قال "نحن" يريد من؟ يريد أهل السنة والجماعة، "نحن لا نرى الكلام، والخوض في الدين، والمراء والخصومات"، وهذا لا يعني عجز أهل السنة والجماعة عن رد الباطل، وإنما لا يردون الباطل إلا

بالطريقة السنُية، فإن أراد أهل البدع جرهم إلى الطريقة الخلفية المبتدعة وقفوا، وليس هذا عجزًا منهم.

فيقول ها هنا: "نحن لا نرى الكلام والخوض في الدين والمراءة والخصومات، فمهما وقع الخلاف في مسألة رجعنا لآي كتاب الله وإلى سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإلى قول الأئمة، فإن لم نجد ذلك في كتاب الله ولا في سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يقله الصحابة والتابعون سكتنا عن ذلك، وسعنا ما وسع السلف".

قال: "ووكلنا علمه إلى الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمرنا بذلك فقال: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسولِ إِن كُنتُم تُؤمِنونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ**﴾[النساء: ٥٩]".

ثم استشهد المصنف -رحمه الله- على ما قاله بآية، قال: (**لقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذينَ كَفَروا﴾[غافر: ٤]، قال: يعني يجادل فيها تكذيبًا بها، والله أعلم**).

فهذا لا يجادل في القرآن من أجل أن يستنبط الأحكام، وأن يطلع على مراد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إنما من أجل أن يُكذِّب بها.

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية قال: "يقول تعالى ذكره" ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها إلا الذين جحدوا توحيده".

وأهل البدع فيهم شبه من أهل الضلالة من اليهود والنصارى، لماذا؟ لأنهم يُحرفون الآيات عن مواضعها وعن مراد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

قال: (**ويُثبتون خلافة أبي بكر -رضي الله عنه-**).

والشيء بالشيء يُذكر، فتجد أهل البدع في بلدتنا تجد الواحد منهم يقول: تعال أُناظرك أمام العامة في المساجد، أريد أن أُناظرك في الخروج، أو في كفر الحاكم، أو في كذا أو كذا، فإذا قلت له: لن أُناظرك لأن طريقتك ليست طريقة سلفية، وإنما هي طريقة عاطفية عقلانية مبتدعة على سَنن الخوارج، تقوم دائما على استعطاف العامة وعلى العقل -العقل الفاسد قطعًا- الذي يرد

النصوص، تجد هذا يتهمك بالعجز وعدم الحجة، لا والله ليس هذا عجزًا، وإنما هذه طريقة السلف.

مُحَمَّد ابن سيرين –رحمه الله– كان يأتيه الرجل من أهل البدع يقول له مُحَمَّد ابن سيرين: إما أن تقوم أو أقوم، فيقول الرجل: أقرأ عليك آية، يعني لن أُناظرك ولن أُجادلك، سأقرأ آية فقط، يقول: ولا نصف آية، إما أن تقوم وإما أن أقوم، لا يريد أن يسمع منه، لماذا؟ لأنه يعلم أن هذا ما جاء لكي يقبل الحق، وإنما جاء من أجل أن يجادل وأن يبسط ما عنده من الباطل، لا ليقبل الحق.

ولذلك تجد دائمًا أهل البدع في غيظ وحقد شديد على أهل السنة، لماذا؟ لأن أهل السنة لا يُعيرونهم اهتمامًا، لا يهتمون بهم، ولا يُسلمون عليهم، ولا يلتفتون إلى مقالاتهم وإلى طلبهم من مناظرات وغير ذلك، هذا يُغيظهم جدًا، ويملأهم حقدًا، وكما قلنا هذا ليس عجزًا من أهل السنة، وإنما هذه طريقة السلف، الحجج صارت واضحة جدًا لكل ذي عينين، الواقع شهد بصحة مذهب السلف، الذي ننادي به ليل نهار، واقع الأمة وواقع الناس، ومع ذلك ما زال يريد أن يناظر وأن يجادل وأن يبسط باطله، فهو وشأنه.

قال: **(ويُثبتون خلافة أبي بكر –رضي الله عنه– بعد رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– باختيار الصحابة إياه، ثم خلافة عمر بعد أبي بكر –رضي الله عنه– باستخلاف أبي بكر إياه، ثم خلافة عثمان –رضي الله عنه– باجتماع أهل الشورى وسائر المسلمين عليه عن أمر عمر، ثم خلافة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ببيعة من بايع من البدريين، كعمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، ومن تبعهما من سائر الصحابة، مع سابقته وفضله)**.

إذًا هذه الفقرة وما يتلوها من فقرات في الكلام على خلافة أبي بكر الصديق.

خلافة أبي بكر الصديق اختلف العلماء هل كانت بالنص أم بالإشارة؟ هل نص النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على كون الصديق خليفة من بعده؟ أم كان ذلك استنباطًا وإشارة مما جاء في كلام النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وفعل النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فمن أهل العلم من قال: نص النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على خلافة أبي بكر الصديق، ومنهم من قال: بل

كانت خلافته أو دليل خلافته -رضي الله عنه- مُستنبطًا مما جاء من قول وفعل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

يقول أبو عبد الله بن حامد البغدادي الحنبلي -رحمه الله- كما ذكر عنه شيخ الإسلام في منهاج السنة يقول: "أما الدليل على استحقاق أبي بكر الخلافة دون غيره من أهل البيت والصحابة فمن كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أما الدليل من الكتاب والإجماع: فقوله تعالى: ﴿لِلفُقَراءِ المُهاجِرينَ الَّذينَ أُخرِجوا مِن دِيارِهِم وَأَموالِهِم يَبتَغونَ فَضلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضوانًا وَيَنصُرونَ اللَّهَ وَرَسولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقونَ﴾[الحشر: ٨]، قال: قال أبو بكر بن عياش -رحمه الله-: أبو بكر الصديق خليفة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نص القرآن".

إذًا هذا الفريق يقول: نصٌ جاء في الكتاب والسنة على خلافة الصديق، ما الدليل؟ ذكر الآية السابقة، قال: "فمن سماه الله صادقًا فليس يكذب، وهم قالوا: يا خليفة رسول الله"، الله -عَزَّ وَجَلَّ- بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار ماذا قال؟ قال: ﴿أُولئِكَ هُمُ الصّادِقونَ﴾.

قال أبو بكر: "فمن سماه الله صادقًا فليس يكذب"، لأن الله شهد له بالصدق، وهم قالوا بعد موت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يا خليفة رسول الله، إذًا هذا دليل على صحة خلافته.

وقال معاوية بن قرة: "ما كان من أحد من الناس يكتب إلى أبي بكر الصديق إلا إلى خليفة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما كان الله ليجمعهم على الكذب"، أمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا تجتمع على ضلالة، فكلهم كان إذا كتب إلى أبي بكر الصديق يقول: إلى خليفة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وأما الأدلة في السنة فكثيرة جدًا، منها: أمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبا بكر -رضي الله عنه- أن يستخلفه في الصلاة، وهذه إمامة صغرى، تنبيهًا على الإمامة الكبرى، فإذا كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ارتضاه لأمر الدين فكيف لا يُرتضى لأمر الدنيا الذي هو الخلافة وسياسة الناس؟

وكذلك ما جاء عن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- قال: "استخلافه: هو أمره أن يُصلي بالناس"، لما أمره النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يصلي بالناس، دل ذلك على خلافته.

وأما من السنة القولية فمنها: ما جاء عن المرأة أو في شأن المرأة التي أتت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تسأله فقال لها -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«ارجعي إليّ»**، فقالت: إن رجعت فلم أجدك؟ تُعرِّض بالموت، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إيتي أبا بكر»** -رضي الله عنه-.

وقال لعائشة -رضي الله عنها-: **«ادعُ لي أباكِ وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابًا، فإني أخاف أن يقول قائل ويتمنى مُتمنٍ»**، يعني يتمنى الخلافة، **«وهي لأبي بكر الصديق، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر»**، هذا قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وكذلك ما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«بين أنا نائم رأيتني على قليب»** -على بئر- **«عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غربًا»** يعني ماء كثيرًا، **«فأخذها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فلم أرى عبقريًا يفري فرية، حتى ضرب الناس بعطن»**.

إذًا من الذي ذكره النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه الرؤيا بعده؟ ذكر أبا بكر الصديق، فهذا فيه دليل كذلك على أن الخليفة بعد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبا بكر الصديق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في منهاج السنة: "والتحقيق: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله، وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامدٍ له، وعزم على أن يكتب بذلك كتابًا أو عهدًا للمسلمين"

لماذا لم يكتب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قال: "ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك"، لم يكن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنه علم أن المسلمين لن يختلفوا على خلافة أبي بكر الصديق.

بل بعض أهل العلم قال: كانت خلافة أبي بكر الصديق ظاهرة حتى للكفار على عهد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلم تكن هذه الخلافة ظاهرة للمسلمين فقط، وإنما كذلك كانت ظاهرة للكفار، ما الدليل على ذلك؟ قال: ما قاله أبو سفيان -رضي الله عنه- يوم أن كان مشركًا في

غزوة أحد، ماذا قال أبو سفيان؟ قال: "أفي القوم مُحَمَّد؟ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أفي القوم مُحَمَّد؟ ثلاثًا، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟"، وهذا رواه البخاري.

إذًا حتى الكفار كانوا يعلمون أن الأحق بالخلافة بعد موت النبي -صلى الله وسلم- إنما هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-.

هذا كله يرد الباطل الذي جاء به الرافضة، الرافضة ماذا يقولون؟ يقولون: اغتصب الصحابة الخلافة من علي -رضي الله عنه- وأعطوها لمن؟ لأبي بكر الصديق، ثم لعمر، ثم لعثمان بعد ذلك، وهذا باطل؛ لأن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- نفسه بايع أبا بكر الصديق، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: "أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- نظر في وجوه القوم بعد البيعة، في سقيفة بني ساعدة، فلم ير الزبير بن العوام، فدعا بالزبير فجاء، قال: ابن عمة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحواري أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال الزبير: لا تثريب يا خليفة رسول الله، يعني لا تعتب عليَّ، فقام فبايعه، ثم نظر أبو بكر في وجوه القوم فلم ير عليًا -رضي الله عنه- فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء، فقال: قلت: ابن عم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال علي: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه".

قال الحافظ أبو علي النيسابوري: "سمعت ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج يسأل عن هذا الحديث، قال: فكتبته له في رقعة، وقرأت عليه، فقال مسلم: هذا حديث يساوي بدنة"، لماذا؟ لأن فيه أن علي بن أبي طالب بايع أبا بكر الصديق من أول يوم، لم يتخلف -رضي الله عنه- فقال ابن خزيمة: يسوي بدنة؟ بل هذا يسوي بدرة، وهي البهيمة العظيمة.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- بعد أن ساق رواية البيهقي قال: "وقد رواه الإمام أحمد عن الثقة عن وهيب مختصرًا، وقد رواه ابن علي بن عاصم عن الجريري، ثم قال الحافظ: وهذا إسناد صحيح محفوظ".

إذًا سند هذا الحديث سند صحيح، وهذا الحديث فيه أن علي بن أبي طالب ما تخلف عن بيعة أبي بكر الصديق وإنما بايعه من أول يوم.

وكذلك جاء في مغازي موسى بن عقبة أن عليًا والزبير –رضي الله عنهما– قالا: "ما غضبن إلا لأنَّا أُخِّرنا عن المشورة"، يعني ما غضب من أجل ماذا؟ من أجل أن أخذ أبو بكر الخلافة، وإنما غضب من أجل ماذا؟ من أجل أن أُخِّر عن المشورة، كانا يريدان أن يكونا في الصدارة، قال: "وإنا"، هكذا يقول علي والزبير، "وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالصلاة بالناس وهو حي"، وهذا أسنده ابن كثير في البداية والنهاية وقال: إسناده جيد.

إذًا هذا كله يدل على استحقاق ماذا؟ أبي بكر الصديق للخلافة –رضي الله عنه–.

ثم قال بعد ذلك –رحمه الله– في الكلام على خلافة عمر، قال: **(ثم خلافة عمر)**.

أي: ويُثبتون خلافة عمر.

(بعد أبي بكر –رضي الله عنه– باستخلاف أبي بكر إياه).

عمر –رضي الله عنه– تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق بعهد أبي بكر الصديق، فهو الذي عهد لعمر بن الخطاب لكي يكون خليفة من بعده، وبايعه الناس على ذلك، وأطاعوه، ثم لما طُعن عمر –رضي الله عنه– جعل الخلافة أو جعل الأمر شورى في الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة، وهم عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنهم أجمعين– ثم لما اجتمع هؤلاء الستة خرج طلحة والزبير وسعد باختيارهم، ما أرادوا الخلافة، وبقي عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف، واتفق الثلاثة باختيارهم على أن عبد الرحمن بن عوف لا يتولى، ويُولَّى أحد الرجلين، إذًا بقي الأمر بين من؟ بين علي وعثمان، الأمر لم يُؤخَذ عنوة، وإنما هو بالمشورة، وأقام عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام –كما يقول– لم تغتمض عينه بكبير نوم، لا ينام، وإنما يسأل أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يشاور السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، فأشار عليه المسلمون أجمعون بولاية عثمان، لم يتخلف أحد.

قال الإمام أحمد في بيان هذه الخلافة التي يسميها سيد قطب فجوة، سيد قطب يقول عن خلافة عثمان إنها فجوة بين خلافة عمر وخلافة علي، كأن هذه الفترة لم تُوجد في تاريخ الإسلام، ماذا يقول أحمد عن خلافة عثمان؟ يقول: "ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان ﷺ كانت بأجمعهم"، كانت أوكد خلافة أو بيعة عثمان -رضي الله عنه-.

ثم بعد ذلك لما قُتل عثمان ومات شهيدًا مظلومًا -رضي الله عنه- تولى الأمر من بعده علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وبايعه أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعض الصحابة لم يبايع عليًا ابتداءً، كما يقول شيخ الإسلام في منهاج السنة، كعبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لم يبايعه ابتداءً، وإنما بايعه بعد ذلك.

لكن علي -رضي الله عنه- هو الخليفة الراشد الرابع، وترتيب أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هؤلاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فأولهم أبو بكر الصديق، فعمر، فعثمان، فعلي، رضي الله عن سائر أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال: (**ثم خلافة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ببيعة من بايع من البدريين، كعمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، ومن تبعهما من سائر صحابة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع سابقته وفضله**).

والضمير يعود إلى علي بن أبي طالب.

ثم قال: (**ويقولون بتفضيل الصحابة الذين رضي الله عنهم، لقوله: ﴿لَقَد رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤمِنينَ إِذ يُبايِعونَكَ تَحتَ الشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]، وقوله: ﴿وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم﴾[التوبة: ١٠٠]**).

هنا يتكلم عن تفضيل الصحابة على غيرهم، والتفضيل بين الصحابة أنفسهم، هل يجوز لنا أن نُفاضل بين الصحابة فنقول: فلان من الصحابة أفضل من فلان؟ بعض أهل العلم رد ذلك وأنكره، وهو أبو عبد الله المازري في شرحه على مسلم، المعلم بفوائد مسلم، قال: "أما تفضيل الصحابة بعضهم على بعض فقد ذهبت فرقة إلى الإمساك عن هذا، وأنه لا يفضل بعضهم على بعض، وقال: هم كالأصابع في الكف، فلا ينبغي أن يُتعرض للتفضيل بينهم"، إذًا هذا نقله عن

بعضهم، لماذا؟ لظنهم أننا لو فضلنا بعض الصحابة على بعض لربما أدى ذلك إلى الانتقاص، وبمن ثم منعوا التفضيل، ولا شك أن هذا القول مُصادم لما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالله -عَزَّ وَجَلَّ- فضّل الصحابة المهاجرين على الأنصار، وكذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج: "إذا كان التفضيل على وجه الغض من المفضول في النقص نُهي عن ذلك"، يعني إذا كان هذا التفضيل من باب التنقص -تنقص المفضول- فهذا منهي عنه، بل هذا منهي عنه في كل شيء، حتى في التفضيل بين الأنبياء، فالذي يُفضل بين الأنبياء على جهة التنقص، يرفع نبيًا من الأنبياء ويتنقص نبيًا آخر هذا منهي عنه، وهذا الذي جاء فيه نهي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأما الذي يُفضل على أساس الأدلة الشرعية فهذا هو القول الصحيح.

قال: "كما نهى في هذا الحديث عن تفضيله على موسى"، نهى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يُفضَّل على موسى، "وكما قال لمن قال يا خير البرية"، رجل قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يا خير البرية، "فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«ذاك إبراهيم»**"، إذًا ها هنا ما أراد أن يُفضَّل على إبراهيم، مع أنه القائل: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»** -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

إذًا التفضيل إن كان عن دليل وعلم فلا بأس به، وإلا مُنع، طيب.

هناك تفضيل في الجملة وهو فضل أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على غيرهم من هذه الأمة، فالصحابة أفضل هذه الأمة، وإذا كان الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، فأول ما يصدق عليه هذه الخيرية أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا أولًا.

إذًا أول تفضيل أن الصحابة أفضل من غيرهم من هذه الأمة، حتى ولو كان مقدار الصحبة قليلًا جدًا، ولو لم يلق النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا يسيرًا فهو أفضل ممن جاء بعده من هذه الأمة.

ولذلك سأل رجل عبد الله بن المبارك: معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ لأن عمر لما كان إمامًا عادلًا ظن بعض الناس أن مَن بعد الصحابة قد يفوق أحد أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الفضل، فسأل عبد الله بن المبارك: معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: "لغبار في أنف معاوية" الغبار الذي يدخل في أنف معاوية "خير من ملء الأرض من عمر بن عبد العزيز"، لماذا؟ لأن الصحبة لا يُدانيها شيء، الصحبة هذه اصطفاء وشرف.

الله -عَزَّ وَجَلَّ- نظر في قلوب العباد فوجد أطهر القلوب قلب مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاصطفاه لنفسه، ثم نظر في قلوب العباد فوجد أطهر القلوب بعد قلب مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قلب أصحابه، فجعلهم وزراء، إذًا الصحبة هذه اصطفاء، فليس لأحد بعد أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من المكانة والفضل ما لهم -رضي الله عنهم- ثم بعد ذلك الفضل لمن سبق إلى الإسلام من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال الله تعالى: ﴿لا يَستَوي مِنكُم مَن أَنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ وَقاتَلَ أُولئِكَ أَعظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذينَ أَنفَقوا مِن بَعدُ وَقاتَلوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسنىٰ وَاللَّهُ بِما تَعمَلونَ خَبيرٌ﴾[الحديد: ١٠]، وهذا يُسمى بأسلوب الاحتراز في القرآن، حتى لا يظن إنسان أن من جاء بعد الفتح وأسلم بعد الفتح ليس له فضل، وليس من أهل الجنة، فقال الله -عَزَّ وَجَلَّ- دفعًا لهذا التوهم قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسنىٰ﴾، وهذا يسمى كما قلنا بأسلوب الاحتراز، وهو موجود في الكتاب وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في بعض الأحاديث: «فيسألهم ربهم وهو أعلم»، فقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وهو أعلم» حتى لا يظن السامع أن الله يسأل من أجل أن يُحصِّل علمًا، نعم.

ماذا عن تفضيل بعض السلف لعلي على عثمان- رضي الله عنهما؟

نقول هذا تفضيل قديم، ولكن قام الإجماع على تفضيل عثمان على علي، الإجماع رفع هذا الخلاف، فالخلاف لم يكن في الخلافة، الخلاف كان في الفضل، لم يكن في الخلافة، لم يختلف أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أن عثمان أحق بالخلافة من علي، ولم يختلف من بعدهم من أئمة السنة، وإنما الخلاف الذي جاء بعد الصحابة كان في الفضل، أيهما أفضل، ثم

رُفع هذا الخلاف واستقر الأمر على أن عثمان أفضل من علي، رضي الله عن أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

إذًا في هذه الآية لا يستوي من سبق إلى الإسلام كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والعشرة المبشرين، وغير هؤلاء، لا يستوي هؤلاء مع من أسلم بعد الفتح، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسنَى﴾.

ثم يأتي التفضيل الثالث: وهو تفضيل المهاجرين على الأنصار، فالمهاجرون أفضل من الأنصار.

قال شيخ الإسلام في بيان سبب تفضيل المهاجرين على الأنصار قال: "وذلك لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة".

ثم يأتي بعد ذلك فضل أهل بدر والحديبية، وهذا الفضل ليس لغيرهم، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر قال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، هذا قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لأهل بدر، وهذا ليس لغيرهم.

وكما جاء في حديث بيعة الشجرة، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»، وقال الله تعالى في حقهم: ﴿لَقَد رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤمِنينَ إِذ يُبايِعونَكَ تَحتَ الشَّجَرَةِ﴾.

ومن أهل بدر والحديبية نستطيع أن نستخلص منهم فضل أهل الشورى، وهم العشرة المبشرون بالجنة، فلا شك أن لهم من الفضل ما ليس لغيرهم.

قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما عند أحمد قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وطلحة في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»، والعاشر هو سعد بن أبي وقاص، رضي الله عن أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثم بعد ذلك يأتي سائر أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا يدل على فضل هؤلاء الصحابة.

وأما المفاضلة بين علي وعثمان فقلنا: هذا كان قديمًا، واستقر الأمر على تفضيل عثمان -رضي الله عنه- على علي.

قال: **(ويقولون بتفضيل الصحابة الذين رضي الله عنهم)**.

إذًا التفضيل تفضيل الصحابة على غيرهم، أو التفضيل بين أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا قائم على الدليل، وليس قائمًا على الهوى والتشهي.

(لقوله تعالى: ﴿لَقَد رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤمِنينَ إِذ يُبايِعونَكَ تَحتَ الشَّجَرَةِ﴾، وقوله: ﴿وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضوا عَنهُ﴾[التوبة: ١٠٠].

قال: ومن أثبت الله رضاه عنه لم يكن منه بعد ذلك ما يُوجب سخط الله -عَزَّ وَجَلَّ-).

لأن الله عدّله وذكر رضاه عنه، وهذا خبر صدق من الله تعال، ولا مبدل لكلماته، والأخبار لا يدخلها النسخ كما هو معلوم.

قال: **(ولم يُوجب ذلك للتابعين إلا بشرط الإحسان)**.

إذًا أوجب الرضا مطلقًا بلا شرط لأصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأوجب الرضا للتابعين ولكن بشرط الإحسان، أن يُحسنوا، وأن يسيروا بسيرة أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقول: **(التابعون لهم بإحسان)** هذا ورد في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- روى أحمد عن مجاشع بن مسعود -رضي الله عنه- أنه أتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بابن أخ له يُبايعه على الهجرة، فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لا، بل يبايع على الإسلام، فإنه لا هجرة بعد الفتح»**، جاء يبايع بعد هجرة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفتح مكة، قال:

«**ويكون من التابعين بإحسان**»، يبايع على الإسلام، وأن يكون من التابعين بإحسان، ولا يفهم من ذلك نفي الصحبة عنه، وهذا صححه الألباني –رحمه الله– في السلسلة الصحيحة.

ثم قال المصنف –رحمه الله–: (**ولم يُوجب ذلك للتابعين إلا بشرط الإحسان، فمن كان من التابعين من بعدهم لم يأتِ بالإحسان فلا مدخل له في ذلك، ومن غاظه مكانهم من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه**).

يُخاف عليه الكفر، الذي يُغيظه مكانة أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عند الله، كلما سمع حديثًا أو آية فيها فضل أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وجد حرجًا في صدره وضيقًا في صدره واغتاظ من ذلك، هذا يُخشى عليه الكفر.

قال: (**لقوله –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَينَهُم﴾ ثم قال: إلى قوله: ﴿وَمَثَلُهُم﴾**).

أي مثل أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

(**﴿فِي الإِنجيلِ كَزَرعٍ أَخرَجَ شَطأَهُ فَآزَرَهُ فَاستَغلَظَ فَاستَوى عَلى سوقِهِ يُعجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفّارَ﴾[الفتح: ٢٩]، قال: فأخبر أنه جعلهم غيظًا للكافرين**).

فمن أبغض أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كان كافرًا؛ لأن حب الصحابة إيمان وبغضهم كفر ونفاق.

وقد جاءت أحاديث النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في بيان فضلهم، قال –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما في حديث أنس قال: «**آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار**»، الذي يحب الأنصار هذا مؤمن، ولا يُبغض الأنصار إلا منافق، والنفاق ظهر بالمدينة موطن الأنصار.

وقال كما في حديث البراء عند مسلم قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في الأنصار قال: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يُبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**».

وقال كذلك: «**لا يُبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر**».

هل تنصيص النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الأنصار خاصة دون المهاجرين دليل على أن الفضل للأنصار دون المهاجرين؟ لا، وإنما نص النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الأنصار ليُعرِّف الناس قدر الأنصار، فالناس ابتداءً يعرفون فضل المهاجرين، ويعرفون فضل قريش، وفضل أهل مكة، إنما أراد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يُعرِّف الناس قدر الأنصار، ولعلمه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الناس يكثرون والأنصار يقلون، وأن الأمر سيكون في المهاجرين من بعده، فلهذه الأمور نص النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على مكانة الأنصار.

هذه الآية التي معنا استدل بها الإمام مالك -رحمه الله- على كفر مُبغضي أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال مالك -رحمه الله-: "من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد أصابته الآية". إذًا الروافض أصابتهم الآية؛ لأنهم يُبغضون ويجهرون بهذا البُغض لأصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال القرطبي معلقًا على استنباط مالك على هذا الاستنباط قال: "لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن تنقَّص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿**لَقَد رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤمِنينَ إِذ يُبايِعونَكَ تَحتَ الشَّجَرَةِ**﴾، إلى غير من الآي التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح"، ثم ذكر القرطبي -رحمه الله- هذه الآيات التي تبين فضل أصحاب النبيين -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نعم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذه الآية في قول الله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَينَهُم**﴾، إلى آخر الآية قال: "فلا بد أن يغيظ بهم الكفار، وكذا كان الكفار يُغاظُون بهم، فمن غِيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أذلهم الله به وأخزاهم، وكبتهم على كفرهم، ولا يشارك الكفار في غيظهم الذين كُبتوا به جزاء لكفرهم إلا كافر؛ لأن المؤمن لا يُكبت جزاء الكفر"، هكذا يعني كلمة غير واضحة.

وقال –رحمه الله–: "ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين، ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبًا لمن بعد إلا الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا اغفِر لَنا وَلِإِخوانِنَا الَّذينَ سَبَقونا بِالإيمانِ وَلا تَجعَل في قُلوبِنا غِلًّا لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا إِنَّكَ رَءوفٌ رَحيمٌ﴾[الحشر: ١٠]".

وقال الشوكاني –رحمه الله–: "فإنه لم يعاديهم ويتعرض لأعراضهم المصونة إلا أخبث الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، وشر من على وجه الأرض من أهل هذه الملة، وأقل أهلها عقولًا، وأحقر أهل الإسلام علومًا، وأضعفهم حلومًا، بل أصل دعوتهم لمكيدة الدين، ومخالفة شريعة المسلمين"، لأن أصل دعوة الرافضة ابن سبأ، ابن سبأ كان يهوديًا، ما دخل في الإسلام إلا من أجل أن يُفسده كما دخل بولس في النصرانية من أجل أن يُفسد المسيحية، ونجح بولس في إفساد المسيحية وصار النصارى كافة يتدينون بدين بولس لا بدين المسيح، فكذلك هناك قطاع عريض ممن ينتسبون إلى الاسلام وليسوا من الإسلام في شيء، كالرافضة ، هؤلاء كذلك نجح ابن سبأ في إفساد دينهم، فأخرجهم عن دين رب العالمين.

فقال ها هنا بعد ذلك: "فأخبر أنه جعلهم غيظًا للكافرين، وقالوا بخلافتهم، لقول الله –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾، فخاطب بقوله: ﴿مِنْكُم﴾".

هذا فيمن طعن في سائر أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فالذي يطعن في سائر أصحاب النبي مُحَمَّد –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كافر، زنديق، والذي يطعن فيمن عدّله القرآن كافر زنديق، فيمن نص القرآن على عدله وبرائته كعائشة –رضي الله عنها– الذي يطعن في عائشة هذا كافر زنديق، ليس بمسلم، لأن الله برَّأها من فوق سبع سماوات، وأما من يطعن في بعض أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كعمرو، أو معاوية، فهذا الصحيح أنه ليس بكافر، وإنما هو فاسق مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر.

ولذلك أهل السنة والجماعة في هذه النقطة لم يُكفّروا سيد قطب، وإنما فسّقوه، لأنه وقع في كبيرة من أكبر الكبائر وهو الطعن في بعض أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أما لو طعن فيمن نص القرآن على عدالته وبرَّأه مما طعن به هؤلاء فهذا يخرج من الإسلام إلى الكفر.

والطعن في واحد من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سبيل للطعن في غيره من الصحابة، يعني الذي يطعن في معاوية لا بد أن يطعن في غيره من الصحابة، لماذا؟ لأنه كما قال السلف: معاوية باب الصحابة، فمن طعن في معاوية فلا بد أن يلج من هذا الباب إلى سائر أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ولذلك ينبغي علينا أن نُطهر قلوبنا وألسنتنا من الخوض والطعن في أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما وقع منهم إنما هو اجتهاد، ما وقع منهم من قتال أو غير ذلك سببه تحريش السبئية، وأهل الفتن، هم الذين أوقعوا التحريش بين أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاجتهدوا، فمنهم من أصاب أجرًا ومنهم من أصاب أجرين، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قطع لجميعهم بالجنة، فقال: **«أصحابي في الجنة»**، وهذا جمع مضاف يعم، يعم كل من صحب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو في الجنة، فنستغفر لهم، ونترضى عنهم، ونسأل الله أن يحشرنا معهم.

قال: **(وقالوا بخلافتهم، لقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾)**.

فخاطب بقوله: **﴿مِنْكُم﴾**، من نزلت الآية فيهم، أو من نزلت الآية وهو مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على دينه.

(فقال بعد ذلك: ﴿لَيَستَخلِفَنَّهُم﴾).

فدل ذلك على أن الخلافة ستكون فيهم بعد موت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(فقال بعد ذلك: ﴿لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دينَهُمُ الَّذِي ارتَضى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا يَعبُدونَني لا يُشرِكونَ بي شَيئًا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾ [النور: ٥٥]).

قال: **(فمكَّن الله بأبي بكر الصديق، وعمر، وعثمان، الدين، وعد الله، آمنين، يَغزون، ولا يُغزون، ويُخيفون العدو، ولا يُخيفهم العدو)**.

كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآية: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا﴾، فصدق دخولهم في هذه الآية.

قال: **(وقال -عَزَّ وَجَلَّ- لقوم تخلفوا عن نبيه -عليه الصلاة والسلام- في الغزوة التي ندبهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- بقوله).**

أي: غزوة تبوك، وكانت في سنة تسع.

(ندبهم الله إليها بقوله: ﴿فَإِن رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنهُم فَاستَأذَنوكَ لِلخُروجِ فَقُل لَن تَخرُجوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقاتِلوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُم رَضيتُم بِالقُعودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقعُدوا مَعَ الخالِفينَ﴾[التوبة: ٨٣]، فلما لقوا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسألونه الإذن في الخروج للغزو فلم يأذن لهم أنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿سَيَقولُ المُخَلَّفونَ إِذَا انطَلَقتُم إِلى مَغانِمَ لِتَأخُذوها ذَرونا نَتَّبِعكُم يُريدونَ أَن يُبَدِّلوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَن تَتَّبِعونا كَذلِكُم قالَ اللَّهُ مِن قَبلُ فَسَيَقولونَ بَل تَحسُدونَنا بَل كانوا لا يَفقَهونَ إِلّا قَليلًا﴾[الفتح: ١٥]).

وهذه الآية في سورة الفتح.

(وقال لهم: ﴿قُل لِلمُخَلَّفينَ مِنَ الأَعرابِ سَتُدعَونَ إِلى قَومٍ أُولي بَأسٍ شَديدٍ تُقاتِلونَهُم أَو يُسلِمونَ فَإِن تُطيعوا يُؤتِكُمُ اللَّهُ أَجرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوا كَما تَوَلَّيتُم مِن قَبلُ يُعَذِّبكُم عَذابًا أَليمًا﴾[الفتح: ١٦]).

ثم قال -رحمه الله-: **(والذين كانوا في عهد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أحياء خُوطبوا بذلك لما تخلفوا عنه، وبقي منهم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- فأوجب لهم بطاعتهم إياهم الأجر، وبترك طاعتهم العذاب الأليم إيذانًا من الله -عَزَّ وَجَلَّ- بخلافتهم -رضي الله عنهم- ولا جعل في قلوبنا غلًا لأحد منهم، فإذا ثبت خلافة واحد منهم انتظم منها خلافة الأربعة).**

يعني على مقتضى هذه الآية.

الدرس الثالث عشر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في قراءة وشرح هذا المعتقد العظيم "معتقد أئمة الحديث"، وكنا قد انتهينا في الدرس الماضي إلى قول المصنف -رحمه الله-: **(ويرون الصلاة؛ الجمعة وغيرها خلف كل إمام مسلم، برًا كان أو فاجرًا، فإن الله -عز وجل- فرض الجمعة وأمر بإتيانها فرضًا مطلقًا، مع علمه تعالى بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاسق، فلم يستثن وقتًا دون وقت، ولا أمرًا بالنداء للجمعة دون أمر)**.

هذا الأصل أصل عظيم، وهذا الأصل قديم جدًا، أهل السنة والجماعة في سائر كتب الاعتقاد ينصون على هذا الأصل، وذلك بسبب المخالفة التي وقعت فيه، فأهل السنة والجماعة غرضهم دائمًا إقامة ما جاء به النبي الأمين -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وهذا الأصل -وهو السمع والطاعة لأئمة المسلمين البر منهم والفاجر- يقوم على هذه القاعدة: تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد تقليلها، فإنه لو لم يسمع الناس إلا للإمام العادل لنجم عن ذلك الشر العظيم، ولذلك كان النص في كتب الاعتقاد وكانت أحاديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المتواترة حول هذا الأصل.

وهذا الأصل ذكره المصنف ها هنا في أكثر من فقرة، أول هذه الفقرات: قال -رحمه الله- فيها: **(ويرون)**.

يعني أهل السنة والجماعة وأئمة الحديث، ومخالفة غيرهم لا عبرة بها.

(يرون الصلاة الجمعة وغيرها خلف كل إمام مسلم).

طالما أنه مسلم فيُصلَّى خلفه، وقد كان الإمام هو الذي يُقيم الجمعة والجماعات.

قال ابن بطال –رحمه الله-: "جرت عادتهم أن الأمير هو الذي يتولى الإمامة بنفسه أو نائبه"، لكن بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وكذلك بعد انقسام بلاد المسلمين إلى دُويلات، صار الأمر إلى ما نرى، ولكن لو كان الأمير هو الذي يُقيم الجمعة والجماعات فواجب عليك أن تصلي خلفه، طالما أنه مسلم؛ لأن الله –تبارك وتعالى- قال: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم**﴾[النساء: ٥٩]، ما معنى هذا القيد ﴿**مِنكُم**﴾؟ أي: من أهل الإسلام، سواءً كان برًا وهو كثير الطاعة أو فاجرًا، أي كثير المعصية، فيُصلَى خلفه.

ثم علل ذلك بقوله: (**فإن الله –عز وجل- فرض الجمعة وأمر بإتيانها**).

وذلك في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِذا نودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَومِ الجُمُعَةِ فَاسعَوا إِلى ذِكرِ اللَّهِ**﴾[الجمعة: ٩]، فالله –تبارك وتعالى- في هذه الآية لم يستثنِ وقتًا دون وقت، يعني ما قال: يا أيها الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة من إمام عادل فاسعوا إلى ذكر الله، ما قيَّدها، وإنما أطلقها.

(**فلم يستثنِ وقتًا دون وقت، ولا أمرًا بالنداء للجمعة دون أمر**).

فسواء نادى بالجمعة الإمام العادل، أو الإمام الظالم الجائر، فالواجب على المسلمين أن يُصلوا خلفه، لماذا؟ لأمر الله تعالى بذلك ولهذه القاعدة التي قررها أهل السنة والجماعة: تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

وهذا الأصل خالف فيه الخوارج الذين يشقون عصا الطاعة، ولا يرون طاعة إلا للإمام العدل، لأن مرتكب الكبيرة عندهم كافر، وكذلك المعتزلة، وكذلك الروافض لا يُصلون الجمعة، أسأل الله –تبارك وتعالى- أن يُزيل دولتهم، وأن يجعل الدائرة عليهم، وأن يُذيقهم من الكأس الذي أذاقوه بلاد المسلمين، فالروافض – وكذلك الخوارج- يرون شغور الزمان، أي لا يوجد إمامة الآن، لماذا؟ لأن الإمام –كما هي عقيدتهم- دخل السرداب، وهو مُحَمَّد بن الحسن العسكري، ولم يخرج إلى الآن، وهم ينتظرونه كل يوم، ويسألون الله تعجيل فرجه، حتى ينشر العدل في الأرض بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا، هكذا يقولون، والذي سيخرج هو المسيح الدجال كما أخبر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويكون هؤلاء تبعًا له.

فالروافض لا يُصلون الجمعة، ولا يُصلون الجماعات، لماذا؟ لأنهم يعتقدون بعدم وجود الإمام المعصوم، وأما أهل السنة والجماعة فكما قلنا، بدءًا من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى وقتنا الحالي هم على هذا الأصل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يُصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد كان يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح أربعة، وقال لهم: إن شئتم زدتكم" أي: على الأربعة، "وجلده عثمان بن عفان على ذلك"، ولكنه كان أميرًا لهم، وكانوا يُصلون خلفه، لماذا؟ من أجل تعطيل المفاسد وتقليلها، لأن العصيان في هذا الأمر يترتب عليه أو ينجم عنه الشر العظيم، أعني فتنة العامة.

يقول: "وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يُصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يُصلون خلف ابن أبي عبيد"، المختار الثقفي، الذي خرج على الحجاج بن يوسف، "وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلى الضلال"، فكانوا يُصلون خلف هؤلاء من أجل دفع المفسدة.

قال ابن أبي زمنين في أصول السنة مثل هذا القول الذي ذكره الحافظ الإسماعيلي تمامًا، لعله بنصه.

وقال الشافعي في الأم: "والجمعة خلف كل إمام صلاها، من أمير، ومأمور، ومُتغلب على بلدة"، فإذا تغلّب الأمير على بلدة صلى الناس خلفه الجمعة.

والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال في صحيح مسلم من حديث أبي ذر -رضي الله عنه- قال لأبي ذر: «**كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يُؤخرون الصلاة عن وقتها أو يُميتون الصلاة عن وقتها؟**»، وهذا كان بنو أمية مشهورين بذلك، بإماتة الصلاة، ربما صلوا الجمعة قريبًا جدًا من وقت العصر، وصلوا العصر عند دخول وقت المغرب، فكان هذا معروفًا عنهم، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا الحديث من أدلة نبوة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنه وقع، قال لأبي ذر: «**كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يُؤخرون الصلاة عن وقتها أو يُميتون**

الصلاة عن وقتها؟»، قال: قلت: فما تأمرني؟ وهذا من أدب الصحابة، لا يتقدمون بين يدي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«صلِّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلِّ، فإنها لك نافلة»**، أي: أمره النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يُصليها معهم في الجماعة حتى لا يشق عصا الطاعة، ويُصليها هو في بيته في وقتها، فتكون صلاته في بيته هذه هي الفريضة المكتوبة، وتكون صلاته معهم نافلة، ما أمره النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يخالف الأمراء، وأن يخرج عليهم، وأن يقول أضعتم الدين وغير ذلك، ولكن انظر إلى ما جاء به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من تعطيل المفاسد وتقليلها.

وأما الخوارج فعلى خلاف ذلك، ولذلك رأينا سيد قطب كان لا يصلي الجمعة ولا يصلي مع الناس، بل كان يصف مساجد المسلمين بأنها معابد الجاهلية!!

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يعلمون أن المخالفة في هذا الأصل تجر إلى فتن عظيمة، والواقع يُصدق ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولعله لا يكاد يُعرَف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي في إزالته"، وهذا هو الواقع الآن، ما أفلح قوم خرجوا على ولي أمرهم، بل خرجوا على رئيس دولتهم ولو كان كافرًا وليست له ولاية، ما أفلح هؤلاء، لماذا؟ لأنهم خالفوا نهج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال: **(ويرون جهاد الكفار معهم وإن كانوا جورة)**.

ومن أئمة أهل السنة الذين صنفوا في الاعتقاد من يضم في هذا الأصل الحج إلى الجهاد، فتراهم كثيرًا يذكرون الحج مع الجهاد.

قال الطحاوي: "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لا يُبطلهما شيء، ولا ينقضهما".

قال ابن أبي العز: "لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر".

إذًا الجهاد والحج لا يكون إلا مع ولي الأمر.

ولذلك لو نظرت في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجدت أمر الجهاد دائمًا موكولًا إلى الإمام، قال الله تعالى مخاطبًا نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذينَ صَدَقوا وَتَعلَمَ الكاذِبينَ﴾[التوبة: ٤٣]، فهذا خطاب لولي أمر، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال تعالى: ﴿فَإِن رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنهُم فَاستَأذَنوكَ لِلخُروجِ فَقُل لَن تَخرُجوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقاتِلوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[التوبة: ٨٣]، الخطاب لمن؟ لولي الأمر.

وعند البخاري: «الإمام جُنَّة»، أي: وقاية، «يُقاتَل مِن ورائه»، أو يُقاتِل مَن وراءه، يُقاتَل مِن، هذه حرفية، تفيد الابتداء، أو يُقاتِل مَن، وهذه موصولة.

قال النووي: "يُقاتَل معه الكفار والبغاة والخوارج، وسائر أهل الفساد والظلم".

قال الحسن البصري: "أربع من أمر الإسلام إلى السلطان: الحكم، والفيء، والجهاد، والجمعة"، الحكم، والفيء: تقسيم الغنيمة، والجهاد والجمعة، فهذه لا تكون إلا للسلطان.

ولذلك قال العثيمين في الشرح الممتع: "لو جاز للناس أن يغزو بدون إذن الإمام" كما هو الحال الآن، تخرج طوائف وجماعات وتدعي الجهاد في سبيل الله، ورفع راية الإسلام، يقول العثيمين -رحمه الله-: "لو جاز للناس أن يغزو بدون إذن الإمام لأصبحت المسألة فوضى، كل من شاء ركب فرسه وغدا، ولأنه لو مُكِّن الناس من ذلك" ما الذي يترتب على هذا الأمر لو أجزنا ذلك للناس؟ "لحصلت مفاسد عظيمة، فقد تتجهز طائفة من الناس على أنهم يريدون العدو وهم يريدون الخروج على الإمام، أو يريدون البغي على طائفة من الناس"، ولذلك كان الأمر موكولًا للسلطان.

قال سفيان الثوري لشعيب بن حرب في جملة ما ذكره من الاعتقاد: "وحتى ترى -أي: لا يصح معتقدك- حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أو عدل"، قال: "فقلت يا أبا عبد الله"، القائل شعيب، يقول: "يا أبا

عبد الله، الصلاة كلها؟" أي: أصلي الصلاة كلها خلف الإمام؟ فقال سفيان: "لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين، صلِّ خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت مُخير لا تصلِّ إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة"، لماذا؟ لأن الإمام هو الذي كان يصلي الجمعة والعيدين، وأما سائر الصلاة فصلِّ في مساجد أهل السنة، ولكن هل يُعيد؟ يعني لو صلى خلف إمام جائر هل يعيد؟ لا يُعيد، الصحيح أنه لا يُعيد الصلاة، إلا إذا صلى خلف من بدعته مُكفرة.

ولذلك قال أحمد -رحمه الله-: "لا يُصلَّى خلف من قال: القرآن مخلوق، فإن صلى عاد"، الذي يقول: القرآن مخلوق، وهذه البدعة كانت ظاهرة أيام أحمد، فإذا صلى إمامًا بالناس وصلى الناس خلفه صلى معهم حتى لا تحدث الفتن، ثم إذا انتهى من صلاته أعاد الصلاة، وأما بخلاف ذلك فلا يعيد صلاته طالما أن البدعة غير مُكفرة.

قال: **(ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل)**.

عندكم بالإصلاح أم بالصلاح؟ بالصلاح

(والعطف إلى العدل).

وهذا من تمام النصيحة لأئمة المسلمين، فإن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«الدين النصيحة، لكتاب الله، ولسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولأئمة المسلمين وعامتهم»**، فالدعاء لهم من تمام النصيحة، أن يدعو المرء لهم، لماذا؟ لأنهم لو صلحوا صلحت الأمة بصلاحهم، وهذا السر في بدء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديث السبعة: **«سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»**، بدأ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالإمام العادل؛ لأنه بصلاحه ينصلح من جاء بعده في هذا الحديث، فإذا صلح الإمام صلحت هذه الأصناف الستة، وصلحت الأمة.

قال أحمد والفضيل: "لو نعلم أن لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان"، لأن الوالي إذا صلح واستقام كان بمنزلة القلب من الجسد، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال عن القلب: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»**.

ولذلك الدعاء للسلطان على المنابر حينًا ليس من البدع، وليس من عبادة الطواغيت، ولا من لعق أحذيتهم، كما يقول أهل البدع، وإنما هو من النصح لأئمة المسلمين، وهؤلاء الذين يصفون من يدعو للإمام أو لولي الأمر بالصلاح هم أنفسهم كانوا يدعون لمن وُلِّي منهم بالصلاح على المنابر، وكانوا يحثون الناس على ذلك، بل كان بعضهم وهو القرضاوي كان يحث الناس على تدريس كتاب الإمارة من صحيح مسلم، والله هذا موجود ومذكور، كان يحث الناس على تدريس كتاب الإمارة الذي فيه السمع والطاعة لأئمة المسلمين، البر منهم والفاجر، يوم أن تولى مرسي، وأما قبل ذلك فيقول: فثوروا، أخرجوا، أصلحوا!! سبحان الله ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ يأتوا إِلَيهِ مُذعِنِينَ﴾[النور: ٤٩].

قال: **(ولا يرون الخروج بالسيف عليهم).**

وهذا الأصل كذلك مبثوث بكثرة في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كتاب الله الأمر بالسمع والطاعة لأئمة المسلمين، في غير معصية الله، وأما في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالأحاديث متواترة في الصبر على أئمة الجور، لا لوقت معين، ولكن حتى نلقى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الحوض.

وبهذا يُرَد على من قال: إلى متى نصبر؟ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**»، ما جعل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لك حدًا في الدنيا، وإنما أمرك بأن تصبر، حتى يستريح بر أو يُستراح من فاجر.

قال: **(ولا يرون الخروج بالسيف عليهم).**

متى يكون الخروج بالسيف عليهم؟

(إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان).

وهذه الشروط من أصعب ما يكون أن تتحقق؛ لأن ذلك يستلزم إقامة الحجة، فلا بد أن يكون الكفر الذي وقع فيه ولي الأمر كفرًا ظاهرًا لا يختلف عليه اثنان، ولا بد من وجود الشروط وانتفاء الموانع، يعني لا بد أن يكون عالمًا، قاصدًا، مختارًا، غير متأول، غير مُكره، ولا بد من

انتفاء الموانع، وجود الشروط وانتفاء الموانع، فإذا تحققت كل هذه الأمور فلا بد من القدرة، ولا بد من مراعاة المصالح والمفاسد.

ولذلك الذين يبحثون في مثل هذه الأمور في كفر الحاكم من عدمه هؤلاء يُضيعون أوقاتهم، ويشغلون أنفسهم ويشغلون الأمة عما هو أنفع لهم، بل هذا لا نفع فيه، لماذا؟ لأن الفائدة التي تعود من هذا الأمر تكاد تكون معدومة، هب أنك قطعت بكفره، فليست عندك المقدرة، إذًا ما ثمرة المسألة؟ والله –تبارك وتعالى– ما كلّفك بذلك.

ولذلك كان أهل السنة والجماعة لا يرون الخروج بالسيف عليهم، ولا الخروج بالكلمة، وما خرج أحد بسيف إلا وقد سبق خروجه خروج بالكلمة، وأول من خرج من هذه الأمة خرج بالكلمة، ذو الخويصرة لما قال للنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: اعدل يا مُحَّد، فقال له –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «خبت وخسرت، إن لم أعدل»، فلا يرون الخروج بالسيف عليهم.

قال ابن أبي العز –رحمه الله–: "وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور"، انظر إلى هذا الفقه، فقه أئمة السنة، الإنسان لو صبر أئمة الجور هذا فيه تكفير للسيئات ومضاعفة للأجر، لماذا؟ لأن هذا هو جزاء الصابرين، ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصّابِرون أَجرَهُم**﴾[الزمر: ١٠] والصابر له أجر، ولكن لا يصبر صبر البهيمة، يعترض أولًا ثم إذا وقع الأمر أو لم يحصل ما أراد يقول: أنا صابر، هذا لا يُؤجَر، وإنما الذي يقتدي بالنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هو الذي يُؤجَر.

قال: "فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل"، طبعًا أنت لو قلت ذلك تراهم يقولون: هذه سلبية، وخنوع، "فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم".

قال: **(ولا القتال في الفتنة)**.

أي لا يرون القتال في الفتنة، سواءً كانت هذه الفتنة فتنة اللسان أو السنان، والفتنة في أصلها تعني الاختبار، الفتنة في أصلها وفي وضعها اللغوي تعني الاختبار، فالفتن ما وُضعت في

الأمة إلا من أجل الاختبار والابتلاء، قال تعالى: ﴿وَاختارَ موسى قَومَهُ سَبعينَ رَجُلًا لِميقاتِنا فَلَمّا أَخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ قالَ رَبِّ لَو شِئتَ أَهلَكتَهُم مِن قَبلُ وَإِيّايَ أَتُهلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا إِن هِيَ إِلّا فِتنَتُكَ﴾[الأعراف: ١٥٥]، أي: اختبار من الله -تبارك وتعالى- هذا الاختبار يترتب عليه الضلال والهداية، فمن استمسك بالصراط المستقيم هُدي، ومن زاغ وانحرف هذا الذي ضل، ولذا قال: ﴿إِن هِيَ إِلّا فِتنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَن تَشاءُ وَتَهدي مَن تَشاءُ أَنتَ وَلِيُّنا فَاغفِر لَنا وَارحَمنا وَأَنتَ خَيرُ الغافِرينَ﴾[الأعراف: ١٥٥].

والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبر أن الدنيا لم يبقى منها إلا بلاء وفتن، وأن الفتن يجيء يرقق بعضها بعضًا، وأن من استشرف للفتنة استشرفته، وعلى المرء أن يجد منها ملاذًا ومعاذًا، وأن يبتعد عنها، بل إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبر أن من الفتن ما يكاد يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعث الجبال ومواقع القطر، يترك الناس جميعًا ويعتزل الناس من أجل الفرار بدينه.

بل قرأنا أن بعض السلف إن هاجت الفتن كان يغلق داره بالطين، ولا يترك إلا كوة من أجل الطعام، كل هذا من أجل ماذا؟ الخشية من الفتن، فحذرنا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الخوض في الفتن باللسان وكذلك بالسنان.

قال: (**ولا يرون القتال في الفتنة، ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العدل، إذا كان ووُجد على شرطهم في ذلك**).

ما الفئة الباغية؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهؤلاء -يعني البغاة- هم الطائفة الممتنعة عن الالتزام ببعض الشرائع"، الفئة الباغية: التي تمتنع من الالتزام ببعض الشرائع عند المحققين من العلماء، امتنعوا عن شعيرة من الشعائر، من دفع الزكاة، من الأذان، من الختان، من غير ذلك، فعلى الإمام أن يرسل لهم من ينصحهم ويبين لهم الحق في ذلك، فإن امتنعوا وأبوا قاتلهم الإمام حتى يعودوا إلى هذه الشعيرة.

قال: **(ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العدل)**.

وهذه الفئة لا تُقاتَل إلا إذا بغت واعتدت، وإلا إذا امتنعت عن قبول الحق، فإذا فاؤوا وفروا فرجعوا إلى بيوتهم أو رجعوا عما كانوا يعتقدونه أو غير ذلك لا يُجهز على جريحهم، ولا تُسبَى نساؤهم، لأنهم ليسوا كفارًا، غاية الأمر أن يُكف شرهم، وأن يعودوا إلى ما كان عليه الأمر قبل بغيهم.

قال: **(إذا كان ووُجد على شرطهم في ذلك)**.

أي: من النصح أولًا، وإزالة الشبهة، فهذا هو الواجب على السلطان أولًا، وأما من خرج على ذي سلطان فهذا لا يُسمى بالفئة الباغية، وإنما هؤلاء خوارج، وليسوا فئة باغية، حتى لا تختلط الأمور، فهناك فرق بين الفئة الباغية والتي قال الله -تبارك وتعالى- فيها: ﴿**وَإِن طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنينَ اقتَتَلوا فَأَصلِحوا بَينَهُما فَإِن بَغَت إِحداهُما عَلَى الأُخرى فَقاتِلُوا الَّتي تَبغي حَتّى تَفيءَ**﴾[الحجرات: ٩]، فسواء بغت إحدى الطائفتين على الأخرى في حق ما أو كان وصفها على هذا الأمر الذي ذكرناه كان الحكم والتعامل معهم على هذه الصورة، ألا يُقتل هؤلاء إذا فروا وإذا آووا، وألا تُسبى نساؤهم وذراريهم، وألا تُؤخَذ أموالهم غنيمة، وأما الخوارج فهؤلاء يُقاتَلون ابتداءً.

بل إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيَّن الأجر العظيم الذي يترتب على قتلهم، فمن قتلوه خير قتيل، كما أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل تمنى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يدركهم ليقتلهم قتل عاد وثمود، وبيَّن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فضل الجيش الذي يقاتلهم ويقتلهم، وهو جيش علي -رضي الله عنه- ففرق بين الفئة الباغية وبين الخوارج.

قال: **(ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر، كما رأته المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة بها ظاهرين، وأهلها مُمكنين منها آمنين)**.

وهذا الأصل أصل مهم جدًا، وهو يدور حول دار الإسلام ودار الحرب، لأن الخوارج يعتبرون كل دار دار حرب إلا دارهم، فالدواعش لا يعتبرون أرضًا أو بلدًا على وجه هذه البسيطة دار إسلام، بل يعتبرون مكة والمدينة دار حرب، أين دار الإسلام؟ دارهم، ولذلك أوجبوا الهجرة

إليهم، فما دار الحرب ودار الإسلام؟ أصح الأقوال في دار الإسلام هذا القول الذي ذكره الإمام الإسماعيلي، وهو القول الذي اعتمده شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وهو: أن دار الإسلام تظهر فيها الشعائر، من النداء للصلاة، والإقامة، والحج، والصدقة، وغير ذلك، وهي الدار التي أهلها مسلمون مُمكنون من شرائعهم، هذه هي دار الإسلام، وإن طرأ عليها ما طرأ من الذنوب والمعاصي، فهذا لا يُخرجها عن حكم أن تكون دار إسلام.

قال الشوكاني –رحمه الله– في السيل الجرار قال: "الاعتبار بظهور الكلمة"، اعتبار دار الإسلام من دار الكفر بظهور الكلمة، "فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام"، وهذا هو الموجود، "بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره"، فإن قيل: لكن النصارى يحتفلون بأعيادهم؟!، الإمام الشوكاني –رحمه الله– ذكر قيدًا، يقول: "بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذونًا له بذلك من أهل الإسلام"، هم الذين أذنوا له، وهذا الإذن وإن كان فاسدًا، إلا أنه الإذن منهم، يقول: "فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها"، هذا لا يضر، "لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم"، وإنما هو ببعد المسلمين عن دينهم، "وإذا كان الأمر بالعكس فالدار بالعكس"، إذا كانت الكلمة لأهل الكفر وظهور الشعائر لأهل الكفر فهذه دار حرب لا دار إسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "وكون الدار دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها"، ليست صفة لازمة لأرض بعينها، قال: "بل هي صفة عارضة بحسب سكانها، فكل أرض سكانها المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسق أو فسوق في ذلك الوقت، فإن سكنها غير من ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم".

وقال كذلك ابن القيم –رحمه الله– في أحكام اهل الذمة: "قال الجمهور: دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام، وما لم تجري عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام وإن لاصقها".

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: "فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام، وإن غلب عليها أحكام الكفار فدار الكفر، ولا دار لغيرهما".

وقال الشيخ العثيمين –رحمه الله– في الشرح الممتع: "دار الإسلام هي التي غلب الإسلام ظهورًا وشيوعًا، بحيث يُؤَذَّن فيها للصلاة، وتُقام فيها الجماعات، ويُصام فيها رمضان ويُعلم، وتظهر فيها الشعائر، حتى وإن كان فيها كفار، فلو قُدر أن الكفار فيها خمسون في المائة أو أكثر فهي دار إسلام، ما دام حكم الإسلام غالبًا عليها، وأما إذا لم يكن حكم الإسلام عليها غالبًا فهي دار كفر، ولو كثر فيها المسلمون، والاعتبار بالمظهر والظاهر".

ولذلك يقول: "ويدل لهذا: أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كان إذا غزا قومًا أمسك حتى يطلع الفجر، فإذا أذّنوا امتنع من قتالهم، وإن لم يُؤذنوا قاتلهم"، وما أكثر المآذن في بلاد المسلمين!!، ومع ذلك تجد الخوارج يُكفّرون المسلمين، ويعتبرون ديارهم ديار حرب.

ولذلك الشيخ ابن عثيمين سُئل أكثر من مرة أيام فتنة الجزائر في التسعينيات، وكان الخوارج هناك من أمثال علي بن حاج وعباس مدني يتصلون بالشيخ ابن عثيمين، وهذه التسجيلات موجودة، ويسألونه عن الجزائر، هل هي دار حرب أم دار إسلام؟ ويسألونه عن ولي أمرهم في ذلك الوقت، يسألون هل هو مسلم أم كافر؟ يقول لهم: يصلي؟ يقولون: يا شيخ يفعل ... يصلي؟ يا شيخ ... يصلي؟ يقولون: نعم يصلي، يقول: إذًا هو ولي أمر مسلم، وداركم دار إسلام، فهذا هو القول الصحيح في هذه المسألة.

وأما من قال بأن دار الإسلام هي التي تحكمها الشريعة لا التي يسكنها المسلمون فهذا قول مرجوح.

ثم إن هؤلاء وضعوا الشريعة في ماذا؟ في إقامة الحدود، فقط، وتركوا ما هو أهم من ذلك، فتجد الواحد منهم يُناضل ويُقاتل ويُفجر نفسه من أجل ماذا؟ من أجل إقامة الحدود، وقد تجده يطوف حول قبر، لا يُنكر على مشرك يذبح لقبر أو ينذر لقبر أو غير ذلك، انظر إلى معظم من كان يتكلم إبان ثورة الخامس والعشرين، هذه الثورة المشؤومة، الذي كان يعتلي المنابر ويظهر في الفضائيات، تجد أكثر هؤلاء قد لا يعرفون معنى كلمة التوحيد، ويقيمون الموالد، ويدعون غير الله، ويتبركون بالصالحين، فهؤلاء كما يقول الشيخ الفوزان –رحمه الله– هؤلاء أرادوا معالجة الجسد دون معالجة الرأس، الرأس إقامة التوحيد وإقامة شرع الله –تبارك وتعالى– عن طريق تحقيق التوحيد

في قلوب الناس، الناس لو حققوا التوحيد تركوا كل ذلك، لكن هؤلاء يريدون علاج العرض دون أصل المرض.

قال: **(لا دار كفر كما رأته المعتزلة)**.

المعتزلة يرون ديار الإسلام ديار كفر، هذا لسببين:

- إما لأنهم يرون الخروج على أئمة الجور، ويُكفّرونهم.

- أو هذا باعتبار ما كان في هذه الفتنة -فتنة خلق القرآن- وقد سبق أن ذكرنا ذلك.

أبو علي الجبائي كما نقل عنه أبو الحسن الأشعري ذلك، كان يرى ديار الإسلام ديار كفر، لماذا؟ لأن الناس لا يقولون بخلق القرآن، فكلهم كفار، فهذه الديار ديار كفر -عياذًا بالله-.

قال: **(ويرون أن أحدًا لا تخلص له الجنة، وإن عمل أي عمل، إلا بفضل الله ورحمته التي يخص بها من يشاء، فإن عمله الخير وتناوله الطاعات إنما كان عن فضل الله الذي لو لم يتفضل به عليه لم يكن لأحد على الله حجة ولا عتب، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ ما زَكى مِنكُم مِن أَحَدٍ أَبَدًا وَلكِنَّ اللَّهَ يُزَكّي مَن يَشاءُ﴾[النور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ لَاتَّبَعتُمُ الشَّيطانَ إِلّا قَليلًا﴾[النساء: ٨٣]، وقال: ﴿يَختَصُّ بِرَحمَتِهِ مَن يَشاءُ﴾[البقرة: ١٠٥])**.

هذا الأصل أصل عظيم، وهو أصل لا يحتاج لمزيد بيان، فالذي يراه أهل السنة والجماعة أن أحدًا لن يدخل الجنة بعمله، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، قال: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»، فدخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله وفضله.

وأما قول الله -تبارك وتعالى-: **﴿وَقالُوا الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ لَقَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ وَنودوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أورِثتُموها بِما كُنتُم**

﴿تعمَلونَ﴾[الأعراف: ٤٣]، فالعمل سبب لدخول الجنة، وليس ثمنًا لدخول الجنة، فهذه الباء في الآية باء السببية، وليست باء العِوض والثمنية، فالكل يدخل الجنة برحمة الله وفضله، أسأل الله – عز وجل– أن يختصنا برحمته.

قال: **(ويقولون: إن الله –عز وجل– أجّل لكل حي مخلوق أجلًا هو بالغه، قال تعالى: ﴿فَإذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ﴾[الأعراف: ٣٤]، قال: وإن مات أو قُتل فهو عند انتهاء أجله المُسمى له، كما قال تعالى: ﴿قُل لَو كُنتُم في بُيوتِكُم لَبَرَزَ الَّذينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ القَتلُ إِلى مَضاجِعِهِم﴾[آل عمران: ١٥٤])**.

لماذا ذكر المصنف هذا الأصل؟ لمخالفة المعتزلة في ذلك، وبعض الناس يقول كما تقول المعتزلة: إذا مات إنسان من حادث أو من هدم أو من غرق يقول العامي: مات ناقص العمر، هكذا يقولون، وهذا كلام باطل، هذا كلام المعتزلة الذين يقولون: إن من قُتل أو غرق أو مات تحت هدم أو غير ذلك هذا قد قُطع أجله، ويختلفون في تفصيل ذلك على أقوال ثلاثة، ماذا لو لم يُقتل؟ منهم من يقول: كان سيموت ميتة طبيعية، ومنهم من يقول: كان سيحيي، باقي حياته، ومنهم من يتوقف، كالقاضي عبد الجبار، كان يتوقف، يقول: هو قُطع أجله، وأما تفصيل ذلك فأنا أتوقف فيه، وهذا الكلام باطل، لماذا؟ لأن من مات مقتولًا أو غريقًا أو غير ذلك مات بسبب، والذي خلق الموت هو الذي خلق أسبابه –سبحانه وتعالى– كما أن الذي خلق الحياة خلق أسبابها، فالنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: «**من أراد أن يُنسَأ له في أثره وأن يُبسَط له في رزقه فليصل رحمه**»، هذا سبب لطول الحياة، وهو أن يصل المرء رحمه، فالله –عز وجل– يكتب في صحف الملائكة أن هذا سيعيش ستين عامًا، وإن وصل رحمه زاده الله من فضله عشرين عامًا، فكتب الله الحياة وسببها، كذلك كتب الموت وسببه –سبحانه وتعالى–.

ولذلك قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود لما قالت أم حبيبة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها– قالت: "اللهم أمتعني بزوجي رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية"، فقال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**قد سألتِ الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يُعجل شيئًا قبل أجله، ولن يُؤخر شيئًا عن أجله**».

قال ابن أبي العز مُعلقا على هذا الحديث قال: "فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا يموت بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله –سبحانه وتعالى– خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة".

وسُئل شيخ الإسلام –كما في مجموع الفتاوى، سُئل عن المقتول–: هل مات بأجله أم قطع القاتل أجله؟ فأجاب: "المقتول كغيره من الموتى، لا يموت أحد قبل أجله، ولا يتأخر أحد عن أجله، بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر، فإن أجل هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء.

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنه قال: «**قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

وثبت في صحيح البخاري أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض**»، وفي لفظ: «**ثم خلق السماوات والأرض**»، وقد قال تعالى: ﴿**فَإِذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ**﴾[الأعراف: ٣٤]، والله يعلم ما كان قبل أن يكون، وقد كتب ذلك، فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن، أو ذا بالجنب، أو الهدم، أو الغرق، أو غير ذلك من الأسباب، وهذا يموت مقتولًا، إما بالسم، وإما بالسيف، وإما بالحجر، وإما بغير ذلك من أسباب القتل، وعلم الله بذلك وكتابته له، بل مشيئته لكل شيء وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب، بل القاتل إن قتل قتيلًا أمر الله به ورسوله كالمجاهد في سبيل الله أثابه الله على ذلك، وإن قتل قتيلًا حرمه الله ورسوله، كقتل القطاع والمعتدين، عاقبه الله على ذلك، وإن قتل قتلًا مباحًا كقتل المقتص لم يُثب ولم يُعاقب، إلا أن يكون له نية حسنة أو سيئة في أحدها".

ثم قال: "**والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد**، وبهذا يتبين معنى قوله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**من سره أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»"، ثم ذكر ما ذكرناه بالمعنى عنه –رحمه الله– نعم.

قال: **(يقولون: وإن الله تعالى يرزق كل حي مخلوق رزق الغذاء الذي به قوام الحياة، وهو ما يضمنه الله لمن أبقاه من خلقه، وهو الذي رزقه من حلال أو من حرام، وكذلك رزق الزينة الفاضل)**.

يعني يرزقه رزق الزينة الفاضل.

(عما يحيا به).

فالله -تبارك وتعالى- هو الذي يرزق كل مخلوقاته -سبحانه وتعالى- قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّماواتِ وَالأَرضِ قُلِ اللَّهُ﴾[سبأ: ٢٤]، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِن دابَّةٍ لا تَحمِلُ رِزقَهَا اللَّهُ يَرزُقُها وَإِيّاكُم وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ﴾[العنكبوت: ٦٠]، فهذه آية عامة لا يخرج عنها أي مخلوق، فرزقه الذي هو الغذاء الذي هو به قوام الحياة هذا تكفل الله -تبارك وتعالى- به، وهذا من مقتضى اسمه الخالق -سبحانه وتعالى- ومن مقتضى اسمه القيوم، الذي يقوم على شئون خلقه -سبحانه وتعالى-.

قال: **(وهو الذي رزقه من حلال أو من حرام)**.

لماذا نص المصنف ها هنا على الحرام؟ هل الحرام من رزق الله؟ نعم هو من رزق الله، كل رزق هو من رزق الله -سبحانه وتعالى- لا يكون شيء في هذا الكون إلا من خلق الله وملكه -سبحانه وتعالى- لكن لماذا نص على الحرام بجانب الحلال؟ لأن المعتزلة يقولون: إن الله يرزق الحلال فقط، حرصًا منهم -زعموا- على توحيد الله وتنزيهه، لأنهم لو أثبتوا رزقه للحرام فكيف يُعذب عليه؟ هي هي نفس مسألة خلق أفعال العباد، فجعلوا للرزق خالقين، الله -عز وجل- يرزق ويخلق الحلال، وغيره يرزق الحرام ويخلق الحرام -عياذًا بالله-.

وهذه الشبهة نفسها قلنا هي التي دخلت عليهم، فأخرجوا أفعال العباد من خلق الله -سبحانه وتعالى- وهذه شبهة باطلة، لماذا؟ لأن الله -تبارك وتعالى- جعل الحلال وجعل الحرام، جعل الحرام من أجل الابتلاء والاختبار، وأنزل لك الكتب، وأرسل لك الرسل، وهداك النجدين، وبيّن لك ذلك، بل وأقام العقوبة على الحرام، فمن سرق قُطعت يده من أجل الزجر، فهذا من أجل الابتلاء والاختبار، وخَلْق الله للرزق الحرام هو كخلقه للحيات، والحشرات، ولإبليس،

وللمسيح الدجال، ولكل هذه الأمور التي تشتمل على ضرر وفساد، فالله –عز وجل– يرزق الحلال والحرام –سبحانه وتعالى–.

وقسّم الرزق ها هنا قسمين:

القسم الأول: وهو رزق الغذاء، وهذا كفله لكل أحد –سبحانه وتعالى– كما جاء في هذه الآية: ﴿وَكَأَيِّن مِن دابَّةٍ لا تَحمِلُ رِزقَهَا اللَّهُ يَرزُقُها وَإِيّاكُم﴾[العنكبوت: ٦٠].

وأما القسم الثاني: فهو الرزق الفاضل، وهو الذي يزيد عن ما تقوم به الحياة، عن الغذاء.

قال: (**وكذلك رزق الزينة الفاضل عم يحيا به**).

وهذا الرزق الفاضل فضل ونعمة من الله –عز وجل– فالغني معه من المال ما يزيد عن حاجته، لكن هذا الرزق يكون نعمة للعبد الصالح، فنعم المال الصالح للعبد الصالح، لماذا؟ لأنه سيستخدمه في طاعة الله –سبحانه وتعالى–.

الرزق الأول –وهو رزق الغذاء– كل المخلوقات ينفقونه ويستخدمونه في إقامة الحياة، وأما الابتلاء ففي ماذا؟ ففي هذا القسم الثاني وهو الرزق الفاضل.

قال: (**ويؤمنون بأن الله تعالى خلق شياطين توسوس للآدميين، ويختدعونهم، ويغرونهم**).

وهذا ما نبدأ به إن شاء الله في الدرس القادم، ولعله يكون الدرس الأخير، ثم بعد ذلك نجعل الدرس لمادة الأصول فقط حتى ننتهي من هذا الكتاب، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الدرس الرابع عشر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فما زال حديثنا موصولًا في التعليق على (**اعتقاد أئمة الحديث**) للحافظ أبي بكر الإسماعيلي –رحمه الله–.

وكنا قد توقفنا في الدرس الماضي عند قول المصنف: (**ويؤمنون بأن الله تعالى خلق شياطين توسوس للآدميين، ويخدعونهم ويغرونهم، وأن الشيطان يتخبط الإنسان، وأن في الدنيا سحرًا وسحرة، وأن السحر استعماله كفر من فاعله، معتقدًا له نافعًا ضارًا بغير إذن الله**).

الكلام ها هنا يدور حول ما تقوم به الشياطين من الوسوسة للآدميين.

والشياطين: جمع شيطان، والشيطان اختُلف في أصله، فقيل: أصله من الفعل شطن، الذي يدل على البُعد، وعلى هذا فالشيطان بعيد عن الرحمة والخير، وقيل: أصله شاط، أي: هلك واحترق، والأصح في ذلك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أن أصله: شطن، فهو بعيد عن الرحمة والخير، ولذلك قُرنت به اللعنة، فالشيطان ملعون، واللعنة: الطرد من رحمة الله.

قال: (**يؤمنون بأن الله تعالى خلق الشياطين**).

فالله –عز وجل– خلق الإنس والجن، والعتاة من الجن يُسمون بالشياطين، والعتاة كذلك من الإنس يُسمون بالشياطين، فكل عاتٍ من الإنس والجن يُسمى الشيطان.

والله –عز وجل– وصفه بالرجيم، قال تعالى: ﴿قالَ فَاخرُج مِنها فَإِنَّكَ رَجيمٌ﴾[الحجر: ٣٤]، فإما أن تكون رجيم أي: راجم بمعنى فاعل، فهو يرجم الناس بالوسوسة، وإما أن تكون رجيم بمعنى مرجوم مفعول، أي: مرجوم بالشُهب –جمع شهاب– عند استراق السمع.

الله -تبارك وتعالى- أمرنا أن نستعيذ منه ومن وسوسته، فالشيطان لما يقوم به من وسوسة لبني آدم أمرنا الله في سورة جاءت في آخر القرآن، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُل أَعوذُ بِرَبِّ النّاسِ﴾، أي: ألتجأ ليدفع عني كل ما يضرني، فالعياذ: هو اللجوء إلى الله -تبارك وتعالى- في دفع ما يضر، واللياذ: هو اللجوء إلى الله -تبارك وتعالى- في جلب ما ينفع، فتقول: ﴿قُل أَعوذُ بِرَبِّ النّاسِ﴾.

وجاء باسم الرب لأن الرب خالق، فالذي خلقهم هو الذي يستطيع أن يدفعهم -سبحانه وتعالى-.

﴿مَلِكِ النّاسِ * إِلهِ النّاسِ * مِن شَرِّ الوَسواسِ الخَنّاسِ * الَّذي يُوَسوِسُ في صُدورِ النّاسِ * مِنَ الجِنَّةِ وَالنّاسِ﴾[الناس: ٢-٦]، فقال ها هنا -سبحانه وتعالى-: ﴿مِن شَرِّ الوَسواسِ الخَنّاسِ﴾، والوسواس: هو الشيطان الرجيم، والخناس: هو الشيطان الرجيم، فتارة يوسوس للإنسان، وتارة يخنس عن الوسوسة ويضعف جدًا، وهذا كله بحسب حال الإنسان، فالله -تبارك وتعالى- في آية وصف كيد الشيطان بالضعف، وفي آية أخرى وصف الإنسان بالضعف، ﴿وَخُلِقَ الإِنسانُ ضَعيفًا﴾[النساء: ٢٨]، ﴿إِنَّ كَيدَ الشَّيطانِ كانَ ضَعيفًا﴾[النساء: ٧٦]، فالإنسان ضعيف إذا سيطر عليه الشيطان، واستطاع أن يُوسوس له، وهذا لا يكون إلا بالبعد عن كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكًا﴾، هذا في الدنيا، ﴿وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أَعمى﴾[طه: ١٢٤]، فالشيطان يوسوس للإنسان على هذه الصفة.

وأما إذا استعاذ المرء بربه من الشيطان الرجيم فقد جاء عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- وغيره من السلف أن الانسان إذا استعاذ بربه من الشيطان الرجيم انخنس، وانقبض، وتوارى، وضعف جدًا، فكان كيده ضعيفًا.

ولذلك أوصانا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كثير من الأذكار بوصايا تُبعد عنا الشيطان، لا تُبعد الشيطان عن أنفسنا فقط، ولكن عن طعامنا، وشرابنا، ومساكننا، وذرياتنا، كل هذا بيَّنه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا خرج المرء مثلًا من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قيل له: كُفيت وهُديت ووُقيت، وتنحى عنه الشيطان، كأن

الشيطان ينتظره عند الباب، فإذا قال هذا الذكر صار هناك حجاب وحاجز بينه وبين الشيطان، فليس للشيطان عليه سبيل، فإذا عاد إلى بيته فقال: بسم الله، قال الشيطان لأقرانه: لا مبيت لكم الليلة، أي: في هذا البيت، فإذا ذكر الله عند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا أراد المرء أن يأتي أهله فقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«فإنه إن قُدر بينهم الولد لم يضره الشيطان أبدًا»**، إن قدر الله -عز وجل- بينهما الولد فليس للشيطان عليه سبيل، وإن كان عليه سبيل فسبيل يسير، لا بد أن يعود إلى ربه -تبارك وتعالى-.

قد يقول إنسان: أقول ذلك ومع ذلك أجد في ولدي ما أجد، نقول: قد لا تكون الشروط متوفرة، أو ربما كانت هناك موانع، قالها الإنسان وهو لاهٍ، أو على سبيل التجريب لا على سبيل اليقين.

من القصص التي سمعتها من الشيخ عبد الرزاق ابن الشيخ عبد المحسن البدر العباد -حفظهم الله أجمعين- أن جده حَمَداً سُئل ذات يوم عن سبب صلاح الذرية، يعني ما الذي صنعته لتكون الذرية صالحة على هذه الصورة؟ فالشيخ عبد المحسن العباد مُحدِّث المدينة الآن، هو المحدث الأول في المدينة، وشارح سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكثر من مرة، وكذلك ولده الشيخ عبد الرزاق هو عالم المدينة الأول في الرقائق، وكذلك في تدريس العقيدة، فهو أستاذ دكتور في قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، فالذرية الصالحة، فسُئل هذا الجد ما السبب في ذلك فقال: ما صنعت شيئًا إلا أمرين: الأمر الأول: أنني أحافظ على أذكار الصباح والمساء، والأمر الثاني: أنني لا أذكر أنني نسيت مرة عند إتيان أهلي أن أقول ما وصانا به رسولنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **«بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا»**، فكان يقول ذلك على سبيل اليقين، فوقاه الله -تبارك وتعالى- ووقى ذريته من وساوس الشياطين.

فقال ها هنا: (**ويؤمنون بأن الله تعالى خلق الشياطين، توسوس للآدميين، ويخدعونهم ويغرونهم**).

فهذا مما يؤمن به أهل السنة والجماعة، وإن لم يروه، نحن لا نرى الشياطين، لأن الله قال عن إبليس: ﴿**إِنَّهُ يَراكُم هُوَ وَقَبيلُهُ مِن حَيثُ لا تَرَونَهُم**﴾[الأعراف: ٢٧]، ومع ذلك نُصدق بكل ما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

قال بعد ذلك: (**وأن الشيطان يتخبط الإنسان**).

أي: يؤمنون بأن الشيطان يتخبط الإنسان مصداقًا لقول الله –تبارك وتعالى–: ﴿**الَّذينَ يَأكُلونَ الرِّبا لا يَقومونَ إِلّا كَما يَقومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ**﴾[البقرة: ٢٧٥]، وهذا تشبيه لحال آكل الربا عند القيام من قبره للقاء رب العالمين، يقوم كالمصروع، كما وصفه ربنا –تبارك وتعالى–.

فالشيطان يتخبط الإنسان ويشاركه في أمور كثيرة، ليس في المس والصرع فقط، ولكن يشاركه في الأولاد، كما قال الله –عز وجل–: ﴿**وَشارِكهُم فِي الأَموالِ وَالأَولادِ**﴾[الإسراء: ٦٤]، وكذلك يستمتع الإنسي بالجني والجني بالإنسي، بل قد يصير الإنسي خادمًا وعابدًا للجني –عياذًا بالله– كما قال الله –عز وجل– في سورة الجن: ﴿**وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنسِ يَعوذونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ فَزادوهُم رَهَقًا**﴾[الجن: ٦]، كان الواحد من هؤلاء إذا نزل واديًا قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيستعيذ بمردة الجن من صغار الجن وسفهائهم، قال تعالى: ﴿**فَزادوهُم رَهَقًا**﴾، أي: تعبًا وخشيةً وخوفًا ورعبًا، لأنهم لم يتوكلوا على ربنا –تبارك وتعالى– يشاركه كذلك في الطعام والشراب والمبيت، كما سبق، وفي الجماع، الشيطان لا يتركك أبدًا، في النوم وفي اليقظة، «**إذا نام الإنسان**» كما أخبر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «**عقد الشيطان على رأسه، يقول: نم، عليك ليل طويل، فيعقد على قافية الإنسان ثلاث عقد**» كما أخبر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «**يبول في أذن العبد إذا نام حتى الصباح**»، ولذلك الذي لا يصلي الصبح في جماعة يصبح خبيث النفس كسلان، كما أخبر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

يسرق من مال العبد، كما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في الصدقة عند البخاري، بل أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه «يجري من ابن آدم مجرى الدم»، فإذا كان الدم يصل لكل جزء ولكل مكان في جسدك فكذلك الشيطان، فخطره عظيم، ودفعه يسير، فالذي يعتصم بكتاب ربنا -تبارك وتعالى- وعنده سلامة في المعتقد هذا ليس للشيطان عليه سبيل، لا من جهة الشهوات ولا من جهة الشبهات، لا يستطيع الشيطان أن يوسوس له، وأما تخبط الشيطان للإنسي فالمقصود به: الصرع.

لماذا نص المصنف على هذه المسألة؟ لأن بعض المتكلمين وبعض أهل البدع أنكر ذلك، فقالوا: إن الشيطان لا يصرع الإنسان، وإنما هي حالة نفسية ترتاب الإنسان، فلا يستطيع الجني أن يدخل جسد الإنسي، وهذا كلام باطل مخالف لكتاب الله ولسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولإجماع أهل السنة.

أما كتاب الله -تبارك وتعالى-: فقد قال الله -عز وجل- عن أهل الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلونَ الرِّبا لا يَقومونَ إِلّا كَما يَقومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥]، قال الحافظ ابن كثير: "أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا".

قال العلامة الصديق حسن خان في فتح البيان، قال: "في هذه الآية دليل على فساد قول من قال إن الصرع لا يكون من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع"، أي مريض نفسي، فالآية ترد عليه.

بل بعض أهل العلم على ما كان عنده من العلم كان ينكر ذلك، وهذا سمعنا عنه في القديم والحديث، كان ينكر دخول الجني في جسد الإنسي، وما آمن بذلك إلا بعد أن شاهد بعينه.

ذكر ذلك القاضي عياض -رحمه الله- في ترتيب المدارك، ذكر عن أحد المالكية أنه كان إمامًا في العلم والفقه والديانة وغير ذلك، ولكنه كان لا يؤمن بذلك، حتى زار قريبًا له، وكان قد صُرِع، فما كان من الجني إلا أن كلمه، فقال له: اسكت يا مشؤوم، يعني لا يصدق هذا الأمر، فقال الجني: إن شئت أخبرتك بحالك، وما في بيتك، وما جرى لك مع خادمك أو خادمتك

البارحة، فلما سمع ذلك قال: اسكت اسكت، ولا تتحدث، فما آمن به إلا بعد أن أخبره هذا الجني على لسان الإنسي أنه يستطيع أن يخبره بكل ما دار في بيته، كيف يكون هذا الإخبار؟ القرين يخبر القرين فما من واحد منا إلا ومعه قرين، فهذا الشيطان يخبر الشيطان، وكذلك يفعل الكهنة، الكُهان ماذا يفعلون؟ تخبرهم الشياطين، فإذا دخل المرء عليه يقول: عندك كذا في البيت، وحدث لك كذا بالأمس، فيظن هذا المسكين ضعيف العقيدة يظن أن هذا الرجل كما يقولون سره باتع، فيجلب له ما يريد، ويصدقه في كل ما يقول، وهذا من الضلال المبين، ومن الكهانة التي حذرنا إياها نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فالشيطان يتخبط الإنسي كما قال ها هنا، وقد رآهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا فيه دليل على أن الإنسان قد يعرض له الشيطان ويراه. كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي ذات يوم فعرض له الشيطان في صلاته، عرض له بشهاب من نار، أراد أن يحرق النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فما كان من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا أن أمسكه، حتى أدلع لعابه، أخرج لعابه، فشعر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ببرد لعابه على يده، فأراد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يربطه في سارية المسجد ليلعب به الصبيان إذا أصبحوا، ثم تذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعوة أخيه سليمان: ﴿**قَالَ رَبِّ اغفِر لِي وَهَب لِي مُلكًا لا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعدِي**﴾[ص: ٣٥]، فهذا أمر مباح، أراد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يربطه في سارية المسجد ليلعب به الصبيان، وهذا فيه دليل على أن الإنسي قد يرى الشيطان، إنسان قد يقول: هذا خاص بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فما بال الصبيان؟ كانوا سيلعبون بهذا الشيطان، واللعب مباح، ومع ذلك امتنع عنه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لماذا؟ بسبب دعوة سليمان.

هذا فيه رد على الذين يستخدمون الجن في علاج الناس من المس وغيره، يقول: معي قرين مسلم، هذا ضلال مبين من أكثر من وجه، أعظم هذه الوجوه:

- أن هذا قد يصل إلى الشرك الأكبر، كيف ذلك؟ هذا القرين حتى ولو قال له: أنا مسلم، واسمي بكر، أو عمر، أو مُحَمَّد، هذا غيب، والإنسان إذا أراد أن يرقي وأن يعالج ماذا يصنع؟ يستعين بالله -تبارك وتعالى- ويقرأ ما بيَّنه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويكون توكله واعتماده على الله -سبحانه وتعالى- أما من يزعم أن معه قرينا فإنه مع مرور الوقت يكون كل اعتماده على القرين لا على الله -تبارك وتعالى- يضعف اعتماده

على الله -سبحانه وتعالى- لماذا؟ بسبب ما يقوم به هذا القرين، يستطيع أن يخبره عن مكان السحر، وما سبب هذا المرض الذي أصابه، وبالتالي يجد النتيجة أمامه كل مرة، فيعتمد عليه دون الله ويتعلق قلبه به، فيقع في الشرك عياذا بالله.

- **الأمر الثاني**: أن هذا غيب، والأصل في الشياطين الكذب، كما أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**صدقك وهو كذوب**»، فالأصل فيه أنه كذاب.
- **الأمر الثالث**: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يُرخص في ذلك حتى في المباحات، وأكثر الذين يعتمدون الرأي أو القول بجواز استعمال الشياطين في المباحات يعتمدون على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: إن عرض الجن للمسلم في أمر مباح جاز له ذلك، جاز له أن يستعين به، وهذا قول مرجوح، وكلٌ يُؤخذ من قوله ويُرد إلا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا قول مرجوح يفتقر للدليل، لا تجوز الاستعانة بالجن مطلقًا، أو أن يكون غاية المنقول في ذلك قضايا أعيان لها ظروفها فلا تعمم.

قال: (**وأن في الدنيا سحرًا وسحرة، وأن السحر واستعماله كفر من فاعله، معتقدًا له نافعًا ضارًا بغير إذن الله**).

السحر يُطلق لغةً على كل ما خفي سببه ولطف، ومنه سُمي السحَر سحَرًا، لأن وقت السحَر وقت خفي، لطيف، لا يدوم طويلًا، ومنه سُمي السحور كذلك سحورًا؛ لأنه يقع خفية، بل إن البيان يسمى سحرًا، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إن من البيان لسحرًا**».

وأما السحر في الشرع فجاء حده في سورة ﴿**قُل أعوذُ بِربِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ ما خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفّاثاتِ في العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ**﴾[الفلق: ١-٥]، والحدود المستقاة من الكتاب والسنة حدود منضبطة، فالسحر في الشرع عبارة عن عُقد وتعاويذ ورقى، ينفث فيها الساحر، والنفث: النفخ بلا ريق، فيتمتم بكلمات معينة يتقرب بها إلى الجن، على عُقد يعقدها، أو على أوراق معينة، فتضر بإذن الله، إن أراد الله -تبارك وتعالى- كونًا وقدرًا أن يكون لهذه العقد تأثير في المرء كان، ولذلك قال الله -عز وجل-: ﴿**وَما هُم بِضارّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلّا بِإِذنِ اللَّهِ**﴾، فالأمر أولًا وآخرًا يرجع إلى قدر الله -تبارك وتعالى-.

والسحر كبيرة من الكبائر، بل هو كفر، وقد دلت آية في كتاب الله على كونه كفرًا من خمسة أوجه، هذه الآية في سورة البقرة، قال الله –عز وجل-: ﴿وَاتَّبَعوا ما تَتلُو الشَّياطينُ عَلى مُلكِ سُلَيمانَ وَما كَفَرَ سُلَيمانُ وَلكِنَّ الشَّياطينَ كَفَروا يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ﴾، قال: ﴿وَما كَفَرَ سُلَيمانُ﴾، هذا يدل على أن سليمان لو كان ساحرًا لكفر، ثم بيّن العلة في تكفير مُعلّم السحر، أو في تكفير من تعاطى هذا الأمر، قال: ﴿وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا﴾، تعليل ذلك: ﴿يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ﴾، فقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ﴾، جملة حالية، أي: كفروا في حال تعليمهم الناس السحر.

قال تعالى عن هاروت وماروت: ﴿وَما يُعَلِّمانِ مِن أَحَدٍ حَتّى يَقولا إِنَّما نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَكفُر﴾، فتعلُّم السحر فتنة، ﴿إِنَّما نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَكفُر﴾، والفتنة: الكفر، فمعنى ذلك: أن تعلم السحر كفر.

قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمونَ ما يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَلَقَد عَلِموا لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ﴾، فالذي يتعاطى السحر ليس له في الآخرة من نصيب، الخلاق بمعنى النصيب.

قال: ﴿ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ﴾، و ﴿خَلاقٍ﴾ نكرة في سياق النفي، مسبوقة بـ من التي تدل على النصية في العموم، فليس له نصيب ولا حظ في الآخرة مطلقًا، معنى ذلك: أنه كفر كفرًا أكبر.

قال في الآية التي بعدها: ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنوا وَاتَّقَوا لَمَثوبَةٌ مِن عِندِ اللَّهِ خَيرٌ لَو كانوا يَعلَمونَ﴾[البقرة: ١٠٣]، والإيمان يقابل الكفر، ولا يُقال للإنسان المؤمن ولو أنه آمن، وإنما يقال ذلك للكافر.

قال الله تعالى: ﴿وَلا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أَتى﴾[طه: ٦٩]، فنفى الله –تبارك وتعالى– عنه جميع أنواع الفلاح، لأن ﴿يُفلِحُ﴾ كذلك في قوله ﴿وَلا يُفلِحُ﴾ فعل مضارع، والفعل يكمن فيه المصدر، فكأن الله قال: ولا فلاح للساحر حيث أتى، فهذه نكرة في سياق النفي، فتعم كل فلاح.

ثم قال: ﴿حَيثُ أَتَى﴾، و ﴿حَيثُ﴾ هذه كذلك تدل على العموم، لأن حيث وحيثما من ألفاظ العموم، ففي كل مكان وفي كل زمان نفى الله -تبارك وتعالى- فلاحه.

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على مُحَمَّد»**.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أكثر العلماء على أن الساحر كافر"، وحدّه: أن يُقتل ردة؛ لأنه كفر بالله العظيم، وهذا قول جمهور أهل العلم، يقولون بالإطلاق لا يُفصلون، لا يُفصلون في كون السحر الذي أتى به هذا الساحر هل هو مما استعان بالشياطين فيه أو كان عن طريق الأدوية؟ بخلاف الشافعي، فإن الشافعي -رحمه الله- قال: "نسأله، فإن وصف لنا سحرًا يستعين فيه بالشياطين قتلناه، وإن وصف لنا سحرًا يستعين فيه بالأدوية والعقاقير وغير ذلك عزّرناه ولم نقتله".

والحقيقة أن هذا التفصيل فيه شيء، لماذا؟ لأن الذي يضر الناس عن طريق الأدوية هذا لا يسمى سحرًا، وإنما السحر الاستعانة بالشياطين، فالصحيح: أن الساحر يكفر، إن كان ضرره بالعقاقير فهذا ليس ساحرًا، وإن سماه بعض أهل العلم ساحرًا، ولكنه في حقيقته ليس بساحر.

ولذلك قال العلامة الفوزان -رحمه الله- قال: "هذا التقسيم لا دليل عليه، بل هو مُتوهَم، لأن الساحر لا يتمكن من عمل السحر إلا إذا خضع للشيطان وأطاعه فيما يأمره به، والأدلة على كفر الساحر لم تُفصِّل هذا التفصيل".

فإذا أيقنا أو أمسكنا بساحر وكان ممن يسحر الناس فعلًا فحده القتل، وهذا جاء عن جندب الصحابي الجليل مرفوعًا وموقوفًا، قال: **«حد الساحر ضربه بالسيف»**، والصحيح أنه موقوف، وصح عن عمر وعثمان وحفصة وعبد الله بن عمر وغيرهم من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنهم قتلوا السحرة، لكن من الذي يقتله؟ ولي الأمر، هو الذي يقتله، ولا يجوز لأحد أن يقتله.

هل سُحر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ نعم سُحر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء ذلك في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها-: **«سحر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

وَسَلَّمَ– رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، فكان النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُخَيَّل إليه أنه كان يفعل الشيء يأتي أهله وما فعله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–»، فهذا ثابت في الصحيحين، فالحديث في أعلى درجات الصحة، ومع ذلك رده المبتدعة من المعتزلة وغيرهم قديما وحديثا، لماذا؟ قالوا: لأن هذا من أخبار الآحاد، ولا نقبل بأخبار الآحاد في مثل هذه الأمور، قالوا: هذا ينافي عصمة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ويُشكك في النبوة، هذا يناقض قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾[المائدة: ٦٧].

وهذه الشُبه كلها مردودة: فخبر الآحاد انعقد الإجماع على قبوله في العلميات والعمليات، جاء الدليل من كتاب الله وسنة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– والإجماع على قبول خبر الواحد، لكن ما معنى خبر الواحد؟

أي: الخبر الذي لم يصل إلى درجة التواتر، فالمتواتر: هو ما يرويه جمع من الناس تُحيل العادة تواطؤهم على الكذب، ويكون مستندهم في ذلك الحس، يقولون: سمعنا، رأينا، فهذا المستند، وكل ما دون المتواتر يسمى آحادًا.

هل يجوز العمل بالآحاد في الشرع؟ نعم، قال الله –عز وجل–: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِن جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنوا﴾[الحجرات: ٦]، فمعنى ذلك: أن خبر العدل الواحد بيان، لا يحتاج إلى أن نتبينه، وهذه واحدة.

قال الله –عز وجل–: ﴿فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا فِي الدّينِ وَلِيُنذِروا قَومَهُم إِذا رَجَعوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرونَ﴾[التوبة: ١٢٢]، والطائفة تُطلق على الاثنين فصاعدًا، وهذا خبر واحد، ومع ذلك أمرنا الله –تبارك وتعالى– أن نقبل خبرهم فيما جاءوا به من العلم.

كذلك سنة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– القولية والفعلية.

القولية: قال –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «ليُبلغ الشاهد الغائب، فرُب حامل فقه ليس بفقيه، ورُب مبلغ أوعى من سامع»، أو كما قال –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فأمرنا النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أن نقبل قول الشاهد ولو كان واحدًا؛ لأن قول الشاهد يصدق على الواحد.

وسنته الفعلية -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كان يُرسل أفرادًا لتبليغ دين الله -تبارك وتعالى- أرسل معاذ بن جبل، وأرسل أبا موسى الأشعري، وأرسل معاذًا بأصول الدين، فقال: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله**»، وهذه عقيدة، ثم بعد ذلك جاء بالعمليات في حديثه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وكذلك عمل أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فرد الحديث على أساس أنه خبر آحاد هذا باطل.

مَن الذي قسَّم الحديث في مبدأ الأمر إلى متواتر وآحاد؟

أئمة الحديث، أهل السنة والجماعة، لماذا؟ لأن بضاعة المتكلمين مزجاة في علم الحديث، لا يعرفون شيئًا عن علم الحديث، قد يُقيم الواحد منهم كتابًا بأكمله على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد لا تجد في الكتاب حديثًا واحدًا، وإن استشهد استشهد بحديث ضعيف، فالمتكلمون من المعتزلة والأشاعرة عالة في تقسيم الحديث على أئمة السنة، فكان الواجب عليهم إذ أخذوا بتقسيم أئمة الحديث إلى متواتر وآحاد أن يأخذوا بمسلكهم في العمل بالمتواتر والآحاد، ولكنهم أخذوا هذا التقسيم وبنوا عليه قولهم الباطل بأن هذا مما يُقبل وهذا مما لا يُقبل، وحالهم كحال كثير من مقلدة مذاهب الأئمة الأربعة، يتابعون الأئمة في الفروع دون الأصول فتراهم أشعرية، أو ماتريدية.

بل من لطائف صحيح البخاري أن أول حديث في صحيح البخاري آحاد، أول حديث في صحيح البخاري «**إنما الأعمال بالنيات**» لم يصح إلا عن صحابي واحد فقط، وهو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- والذي رواه عن عمر واحد فقط كذلك، هو علقمة بن وقَّاصٍ اللَّيثيِّ ، والذي يرويه عن علقمة واحد: محمَّدِ بن إبراهيمَ التَّيميّ ، والذي رواه عن مُحَّد بن إبراهيم واحد، هو يحي بن سعيد الأنصاري، فهذا خبره آحاد، وآخر حديث في صحيح البخاري آحاد، قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان**»، فهذا كذلك خبر آحاد، هذه الشبهة الأولى، وقد جمعت أبرز شبهات من أنكر إعمال أخبار الآحاد في غير هذا الموضع، ويحسن إيرادها هنا والرد عليها كذلك:

فإن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد أخبر عن أقوام يأتون بعده يردُّون سنته ويزعمون الاكتفاء بالقرآن، كما جاء في حديث المقدام بن معدي كرب أنه قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُوشك أن يأتي رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: ما وجدنا في كتاب الله من حلال أحللناه ومن حرام حرمناه»، ثم قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ألا إنما حرم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مثلما حرم الله»، فجاءوا بهذه الشبهات لرد سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولرد الاحتجاج بخبر الآحاد خاصة في باب المعتقد.

وكان لهم في ذلك شبهات، من هذه الشبهات: أنهم يقولون:

الشُّبهة الأولى:

لو اعتبرنا حُجية السنة ومنها خبر الآحاد فذلك يعني وجود مصدر آخر للتشريع، والله أمر أن نحكم بما أنزل فقط، وهو القرآن، فالقرآن هو المصدر الوحيد للتشريع، فكيف إذا جاء في هذه السُنة ما يقول إنه مثل القرآن، فقد جاء في السنة التي تحتجون بها أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه»، فهل في سنة النبي كمثل القرآن في إعجازه وبيانه وغير ذلك؟ فدل ذلك على أن السنة ليست حجة، ومنها خبر الآحاد في العلم والعمل.

وهذه الشبهة جوابها يتلخص في بيان أن سنة النبي -ﷺ- وحي كالقرآن، فإن الذي أنزل القرآن هو الذي أنزل السنة، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو كما جاء في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أنه قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤].

ولو نظرنا في سياق هذه الآية، نجد أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، فالفعل ﴿ يَنْطِقُ﴾ فعل مضارع جاء في سياق النفي، فيعم كل نطق للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مما يتعلق بالتشريع، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا ينطق إلا بما يُقوَّل، وبما يُخبَر به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ويُؤيد ذلك: أنه لما قال أناسٌ لعبد الله بن عمرو بن العاصي -رضي الله عنه-: تكتب كل شيء خلف رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو الذي يتكلم في الغضب؟ فقال -رضي الله عنه-: "اكتب،

فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الحق"، فكل نطق للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو بعيد عن الهوى، بدلالة هذه الآية.

ثم قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، ﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى ما، ما هو إلا وحي يُوحَى، وهذا يفيد القصر بما وإلا، وهذا يفيد أن كل ما ينطق به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مما يتعلق بالتشريع وحي من قِبل الله لا يزيد فيه ولا يُنقص.

ولذلك جاء عند أحمد في المسند وعند غيره في غيره من حديث أبي أمامة ﷺ أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثلُ أحد الحيين: ربيعة، ومضر»، فقال رجل: يا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أوما ربيعة من مضر؟ ربيعة من مضر، أي: أليست ربيعة من مضر؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنما أقول ما أُقوَّل»، وهذا صححه الألباني بشواهده في الصحيحة، وهذا هو الشاهد من الحديث الذي يُبين أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما ينطق بالقرآن كوحي هو كذلك ينطق بالسنة كوحي.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "أي: لا يتبع إلا ما يُوحَى إليه، من الهدى والتقوى في نفسه وفي غيره، ودل ذلك على أن السنة وحي من الله لرسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[النساء:113]"، والحكمة بإجماع المفسرين هي السنة، فالذي أنزل القرآن هو الذي أنزل السنة.

وقال حسان بن عطية -رحمه الله- وهو من سادات التابعين قال كما في الكفاية للخطيب: "كان ينزل على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن".

وهناك وقائع كثيرة في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تبين ذلك؛ الرجل الذي أتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسأله: ما للشهيد من أجر عند الله؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُغفَر له كل شيء»، ثم قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد ذلك: «أين السائل؟»، فقال: أنا يا رسول الله، قال: «ماذا قلت؟»، فسأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

السؤال، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يُغفر له كل شيء إلا الدين، فإن جبريل جاءني وأخبرني بذلك**»، وهذا يدل كذلك على أن السنة وحي كالقرآن.

وأما المثلية التي ردوا بها هذا الحديث فينبغي أن تُفهَم في سياق الحديث؛ لأن السياق له دور مهم في فهم المراد، فهذا الحديث الذي جاء عن المقدام -ﷺ- يقول فيه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا وإنما حرم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مثل ما حرم الله**»، ما الذي أراده النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ها هنا بالمثلية؟ أراد مثلية الوحي، مثلية التحليل والتحريم، مثلية المنع والإباحة، فكما يوجد في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ما يدل على التحريم والاستحباب والإباحة والكراهة فهذا كذلك يوجد في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ودليل ذلك: أنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع**»، وهذا الحكم استقلت به سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون القرآن، فهي وحي كالقرآن، ولا يُفهَم من ذلك من هذه المثليةِ المثلية في النظم والبلاغة والإعجاز، لأنه كما أخبر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هذا مما اختص به كتابه: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[الإسراء:88].

الطالب: ....

الشيخ: أحسنت، نعم، مما يدل على أن السنة وحي: أن رجلًا كان في مجلس عمران بن حصين -ﷺ وعن أبيه- فقال: لا تُحدثونا بهذه الأحاديث، يكفينا القرآن، فقال له عمران: "ادنُ مني، ثم قال له: هل تجد في القرآن الظهر أربعًا؟ هل تجد العصر أربعًا؟ هل تجد المغرب ثلاثًا تجهر في اثنتين وتُسر في الثالثة؟ هل تجد الطواف سبعًا؟ وأخذ يُعدد عليه، ثم قال له: يا هذا، خذوا عنا"، يعني خذوا عنا سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "فإن لم تفعلوا لتضلُن".

فهذا كذلك يدل على أن السنة وحي من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لأن بها بيان المجمل، وتفسير المبهم، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، فكل ذلك جاء في سنة النبي، وإلا فانظر في أعظم العبادات، الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، جاءت هذه الأركان مُجملة في كتاب الله، وبينتها سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

الشُّبهة الثانية

قالوا: إن أخبار الآحاد لا تفيد العلم، وإنما تفيد الظن، والله تعالى قد ذم أقوامًا أخذوا بالظن، حيث قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾[النجم:23]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[النجم:28]، فلو أخذنا بخبر الآحاد في العقيدة أخذنا بالظن دون اليقين، ولذلك لا نعتبر أخبار الآحاد في العقيدة.

والجواب عن ذلك: أن هذا الشرط شرط عقدي، فيحتاج إلى أن يتواتر تواتراً لفظياً، أن يُنقَل ذلك بكثرة تُحيل العادة تواطؤهم على الكذب، ودون ذلك خرط القتاد، هذا أولًا.

الجواب الثاني: أن هذا القول ليس عليه أثارة من علم، لا من كتاب الله، ولا من سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا من قول عالم مُعتبر، بل هو قول محدث ظهر على يد المعتزلة، بل لعله لم يظهر قبل الإسلام على يد أحد حتى ظهر على يد هذه الفرقة -فرقة الجهمية- فإن الأنبياء والرسل كانوا يرسلون أتباعهم ليبلغوا الدين للناس، كما أرسل عيسى -عليه الصلاة والسلام- الحواريين ليبلغوا الدين للناس، لكن هؤلاء جاءوا بقول محدث، وهو قول الجهمية، ثم تلقفه بعد ذلك المتكلمون على اختلاف بدعهم، فكل المتكلمين جهمية فمستقلٌ ومستكثر، ثم لما كانت أغلب الكتب المصنفة في أصول الفقه من وضع المتكلمين انتشر هذا القول كأنه لا خلاف فيه، فأغلب الكتب إن لم تكن كل الكتب المصنفة في الأصول تنص على هذا الأمر؛ أن أخبار الآحاد يُعتد بها في العمل دون العلم والعقيدة، لماذا؟ لأن الذي وضع هذه الكتب أناس تأثروا بالمتكلمين في الاعتقاد.

قال أبو المظفر السمعاني -رحمه الله- في بيان حد الخبر الذي يُقبَل: "إن الخبر إذا صح عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورواه الثقات، والأئمة، وأسنده خَلَفُهم عن سلفِهم، إلى رسول الله -ﷺ- وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يُوجب العلم، قال: وهذا قول عامة أهل الحديث،

والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة".

لماذا اخترعوا ذلك؟ قال: "وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول"، فأحسنوا الظن بهم، فأخذوا القول كأنه من المسلمَّات، فكل من ردد هذا القول ممن هم شافعية، أو مالكية، أو حنفية، أو ممن تأثر به كذلك من متأخري الحنابلة، أو غير ذلك في الفقه، هؤلاء تجدهم أشعرية في المعتقد، أو على الاعتزال، وهذا أمر عجيب يعني، يقول: إنه أشعري في المعتقد وشافعي في المذهب، طيب، وهل كان الشافعي على ضلالة في المعتقد؟ وهل كان مالك على ضلالة في المعتقد؟ وهل كان أبو حنيفة على ضلالة في المعتقد؟ هذا أمر غريب، فكل من ردد ذلك تجد بضاعته مُزجاة في الحديث، وسيأتي بيان السبب الذي من أجله رد هذه الأخبار، فهؤلاء بضاعتهم مزجاة في الحديث، كما نصوا هم أنفسهم على ذلك، كالغزالي، والجويني، والرازي.

ولذلك يقول **ابن تيمية** -رحمه الله- عن هؤلاء في الانتصار لأهل الأثر، والكتاب المطبوع باسم: رد المنطق، قال: "لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يُعد به من عوام أهل الصناعة فضلًا عن خواصها، ولم يعد الواحد من هؤلاء يعرف البخاري ومسلمًا وأحاديثهما إلا بالسماع، كما يذكر ذلك العامة"، يعني زي ما العامي في الشارع كده بيقول ده في واحد اسمه البخاري جامع حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كتاب صحيح البخاري، لا يعرفه إلا ذلك، هؤلاء كذلك ما كانوا يعرفون من هذه الأحاديث إلا كما يعرف العامة، لا يُفرقون بين الصحيح المتواتر والحديث المفترى المكذوب، "وكتبهم أصدق شاهد بذلك، ففيها العجائب".

ولذلك ذكر -رحمه الله- في التسعينية وهو كتاب ألفه في مسألة الكلام، فذكر فيه ما يُقارب التسعين وجهًا أو أكثر من تسعين وجهاً في الرد على هذه البدعة، فذكر -رحمه الله- في التسعينية مثالًا على ذلك من كتب أبي المعالي.

ولذلك نتعجب أنه منقول عن أبي المعالي أنه يقول: "بالإجماع على وجوب العمل بخبر الآحاد"، لعله يقصد العمل دون الاعتقاد، كما يقولون.

شيخ الإسلام يقول: "واعتبر ذلك بأن كتاب أبي المعالي الذي هو نخبة عمره -وهو نهاية المطلب في دراية المذهب في فروع الفقه الشافعي- ليس فيه حديث واحد معزو لصحيح البخاري إلا حديث واحد في البسملة، وليس ذلك الحديث في البخاري كما ذكر"، هكذا يقول شيخ الإسلام، "فأحاديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عندهم -عند هؤلاء المتكلمين ومن تأثر بهم- بمنزلة خليفة يُعطَى السكة والخطبة، رسمًا ولفظًا، كتابةً وقولًا من غير أن يكون له أمر ولا نهي مُطاع"، وهذا وُجد في فترات ضعف الدولة العباسية، لما تسلط بنو بُويه على الدولة العباسية، ما كان للخليفة إلا أن يُدعَى له على المنبر وإلا السكة، أن تُوضَع صورته أو أن يُوضَع اسمه على العملة، الدينار والدرهم، فقط، وأما الأمر والنهي فلهؤلاء.

"فله صورة الإمامة بما جُعل له من السكة والخطبة وليس له حقيقتها، وهذا مبلغ تعظيمهم لحديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"، كأن حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما جُعل للتبرك فقط، يُوضَع في السيارة، أو يُوضَع في البيت، أو يُقرأ كما يَقرأ هؤلاء الذين يُسندون حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأغلبهم متكلمون، ومتصوفة، وأما من علموا بهذا الحديث فلا يعملون به، خاصةً في باب الاعتقاد.

سؤال: ماذا عن هذه الآيات التي استدلوا بها من قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[النجم:23]؟

نقول: هذا استدلال بالآيات في غير محلها؛ لأن الآيات نزلت في ذم المشركين، تذمهم على اتباعهم الظن، الذي هو مجرد التخرص والتخمين، كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[الأنعام:116]، فلو كان المراد كلَّ ظن فهو حجة عليكم، فإنكم تقولون: إن حديث الآحاد او خبر الآحاد يُعمَل به ولا يدخل في الاعتقاد، فلو كانت الآية تُفيد كل ظن لرُدت كل أحاديث الآحاد، فلا تُقبل لا في عمل ولا في علم، بينما أنتم تُفرقون بين الأحكام والعقائد، وهذا التفريق لا دليل عليه كما سبق، بل دل الدليل على أن خبر الواحد الصحيح المحتف بالقرائن، سبق بيان هذه القرائن:

- كأن يأتي في الصحيحين،
- وتتلقاه الأمة بالقبول،

• أن يكون حديثًا مشهورًا، تعددت طُرقه ومخارجه،

• هناك صفة فيمن روى هذا الحديث عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رواة الحديث كلهم أئمة ثقات.

كل هذه قرائن تفيد العلم، وتفيد أنه حجة في العقائد كما هو حجة في العمل، وهذا معروف في عهد النبي -ﷺ- وفي عهد أصحابه ﭫ، ومن جاء بعدهم من القرون الفاضلة.

أذكرُ بعض الأحاديث:

- حديث معاذ -ﭬ- لما بعثه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعثه وحده، السقاف الذي كان الشيخ الألباني يرد عليه يحتج على هذا ويقول: النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يرسل معاذًا وحده، بل أرسل معه أبا موسى، وأرسل معه فلان، فنقول: هذا لا يُخرجه عن حد خبر الواحد، لأن خبر الواحد لا يعني واحدًا فقط، صحيح؟ إنما هو الذي لا يبلغ حد التواتر.
- كذلك حديث مالك بن الحُويرث، لما وفد على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نفر من قومه، والنفر من ثلاثة لعشرة، فقال لهم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم**»، علموهم العمل والعقيدة، العبادات والاعتقادات، الإسلام والإيمان والإحسان، فهذا كذلك حجة عليهم.
- ولذلك بوّب عليه الإمام البخاري -رحمه الله- ما جاء في إجازة خبر الواحد، هذا بالنسبة لعهد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
- ابن عمر -ﭬ- كان يحتج بخبر الواحد في العقائد، وله في ذلك أول حديث في صحيح مسلم، حديث جبريل، يرويه عن أبيه عن عمر، فهو يرويه عن واحد عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو أصل في باب العقيدة.
- النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما عند مسلم لما جاءه تميم الداري -ﭬ- وأخبره بخبر الجساسة، تميم الداري -ﭬ- وكان رجلًا نصرانيًا وأسلم، وكان من خيار أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما جاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأخبره بخبر الجساسة وبخبر المسيح الدجال هل قبِل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منه ذلك أم رده؟ جمع النبي

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أصحابه وطلب من تميم أن يعيد ذلك مرة أخرى على أصحابه -رضي الله عنهم- وهذا خبر كذلك في العقائد.

حتى لو قالوا: إن ذلك يُقبَل لو تنزلنا معهم، إن ذلك يُقبَل في العمل دون العقيدة، فنقول كما قال الشيخ وسبقه إلى ذلك الشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- فقال: "إنه ما من عمل إلا ومعه اعتقاد"، لأنك إن كففت عن شيء فذلك عن اعتقاد أن الله هو الذي حرمه، وإن فعلت شيئًا استحبابًا فهذا عن اعتقاد أن الله هو الذي يُحبه، وكذلك رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكل عمل لا بد أن يقترن بالاعتقاد، نعم.

الطالب: ....

الشيخ: أخبار كثيرة جدًا، نعم أحسنت، جزاكم الله خير، لا يُتصور عمل بدون نية، كذلك لا يُتصور عمل بدون اعتقاد.

إشكالٌ لا جواب له عند مَن يفرق بين العلم والعمل!!

ثم يُقال لهؤلاء الذين يعني يتصدرون على أنهم يُناظرون الحداثيين والمنكرين لسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الأزاهرة وغيرهم، ويقولون دائمًا للحداثيين: البخاري خط أحمر، تجد هذا في مناظرات إبراهيم عيسى وإسلام بحيري وغيرهم، إذا ناظرهم أحد الأزاهرة.

فيقال: كيف لو احتج عليكم إسلام بحيري مثلًا بحديث في البخاري في الاعتقاد، هل ستقولون له هو خبر آحاد؟ ثم إن البخاري خصص كتابًا في صحيحه في أخبار الآحاد، وذكر فيه بعث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمعاذ بن جبل لليمن، وبعث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعبيدة بن الجراح -رضي الله عنه- لأهل نجران يُعلمهم دينهم، وذكر فيه حديث مالك بن الحويرث السابق، وبوَّب ما كان من بعث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للأمراء والملوك من الرسل، ثم آخر كتاب في صحيح البخاري -كتاب التوحيد- ماذا تصنعون لو ناظركم في كل ما جاء في هذا الكتاب؟ واحتج بحديث من هذا الكتاب، كيف ستردون؟ وما وضعه الإمام البخاري إلا للرد على الجهمية، هذا الكتاب في الرد على الجهمية، ما وضعه في بيان أركان الإسلام، ولا الإحسان، ما وضعه في بيان القضاء والقدر، ولكن لوجدت أغلب تبويبات هذا الكتاب تجدها في بيان وإثبات صفات الله -تبارك وتعالى-.

ولذلك **قال الحافظ ابن حجر** -رحمه الله- قال: "ما وضع البخاري هذا الكتاب إلا للرد على الجهمية وأفراخهم ممن لا يحتج بخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في إثبات صفات الرب"، كتاب التوحيد، وفي بعض النسخ كتاب التوحيد والرد على الجهمية.

"وهذا الكتاب – كتاب التوحيد- اشتمل من الأحاديث المرفوعة على مائتي حديث، وخمسة وأربعين حديثًا أغلبها إن لم تكن كلها من أخبار الآحاد، فماذا تفعلون؟"، وذا كلام يُوجَّه للذين يردون على الحداثيين والتنويريين، فالصحيح أن خبر الآحاد يفيد العلم اليقيني إذا احتفت به القرائن، ومن تلكم القرائن كما قلنا إجماع الحفاظ على تصحيحها، كالصحيحين، والإجماع حجة قطعية عند هؤلاء، والأمة لا تجتمع على ضلالة.

الشُّبهةُ الثالثة

من شُبههم كذلك: "يقولون في هذه الأحاديث: ما يُخالف موجبات العقول من تنزيه الله -تبارك وتعالى- عن الشبيه والمثل"، وهذا أصل عندهم، "ويحتجون بقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:11]".

ولعل هذا الأمر يصلح خُطة بحثٍ بالماجستير أو الدكتورة، أعني: احتجاج الطوائف أو الفرق بهذه الآية، الطريقة والآثر المترتب على ذلك، يعني الجهمية يحتجون بهذه الآية، المعتزلة، الأشعرية، الماتريدية، أهل السنة والجماعة، يحتجون بهذه الآية، المثبت يحتج بها والنافي يحتج بها.

فيقولون: في هذه الأحاديث ما يخالف موجبات العقول، من تنزيه الله عن الشبيه والمثل، فإذا أخذنا بهذه الأحاديث في العقائد بوجه عام وفي باب الصفات بوجه خاص هذا يلزم منه إثبات الجسم، والجارحة، والحيز، والأبعاض، والأجزاء لله تعالى، وهذا تجده في الكتب التي يدرسها الأزاهرة في المراحل الإعدادية والثانوية والجامعات، والله -سبحانه وتعالى- منزه عن ذلك من جهة العقل قبل الشرع، فوجب رد هذه الأحاديث.

ونُجيب عن ذلك ونقول: إن ذلك -يعني ما جاء في هذه الأحاديث- ليس مما يُخالف موجبات العقول، لأن الذي خلق العقل هو الذي أنزل النقل، أنزل القرآن وأنزل السنة، كما أن مما تُوجبه العقول السليمة: إثبات الكمالات لله تعالى، ولا يكون ذلك إلا بإثبات ما أثبته الله

لنفسه، وهذا ما كان عليه الصحابة والسلف، فالكمال في الإثبات المفصل، والنفي المجمل، ولذلك كثر الإثبات المفصل في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالذي يُوجبه العقل السليم إثبات ذلك لا نفيه، نعم.

الطالب: ....

الشيخ: نعم، سيأتي هذا، فالمراد بموجبات العقول عند هؤلاء العقولُ الفاسدة، التي -كما جاء عن **عمر** ﵁- "أعيتها السنن أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، فسُئلوا في الدين فقالوا برأيهم"، هذه عقول أهل اليونان، وأصحاب الفلسفات، ليست عقول أهل الإسلام ممن أحسن الفهم عن الله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه عقول الحداثيين المتأثرين بالمناهج الغربية، وكتابات المستشرقين.

وأما قولهم: إن ذلك يلزم منه التمثيل والتشبيه فلا يلزم؛ لأنه -سبحانه وتعالى- ليس كمثله شيء، كما قال في هذه الآية، فكما ليس كذاته ذات فكذلك ليس كصفاته صفات، فنُثبت الصفة كما نُثبت الذات، نحن نُثبت الذات إثبات وجود لا إثبات كيفٍ نعلمه ونحيط به، فكذلك نثبت الصفة إثبات وجود، ومعنى لا إثبات كيف نعلمه، فالقول في الذات كالقول في الصفات، والقول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، وأنتم تقولون بإثبات بعض صفات الرب -تبارك وتعالى-.

وأما هذه الألفاظ التي يذكرونها فإياك أن تخشى من ردها، يعني الجوهر، والعَرَض، والجزء، والبعض، فهذه الألفاظ تُرَد، لكن يُستفصَل عن المعنى، ماذا تريد بالمعنى؟ أو ماذا تريد بهذه الألفاظ هنا؟ فإن أثبتوا معنى حقًا قبلنا المعنى ورددنا اللفظ، لأنه لم يرد لا في كتاب الله ولا في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإن أثبتوا معنى باطلًا يقتضي التمثيل والمشابهة رددنا اللفظ والمعنى.

الطالب: ....

الشيخ: نعم كما قال **شيخ الإسلام**: "متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء".

الطالب:.....

الشيخ: ما كانوا يسألون عن الإسناد، نعم، جزاكم الله خيرًا.

الشُّبهة الرابعة:

يقولون: خبر الواحد يرويه الواحد والاثنان، ومن لم يبلغ مجموعهم حد التواتر، وقد يتطرق إليهم الغلط، سواء كان هذا الغلط في السند، أو في المتن، وما كان سبيله كذلك لم يجز الاحتجاج به في العقائد.

وأفضل جواب لهذه الشبهة: ما ذكره **ابن تيمية** -رحمه الله: في كتابه "جواب الاعتراضات المصرية على الفُتيا الحموية"، فإنه قال -رحمه الله- هم يقولون هذه الأحاديث يتطرق إليها الغلط، صحيح؟ فكيف يُحتج بها في العقائد؟ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما ردَّ ردَّ من أكثر من وجه:

- **الوجه الأول**: "أن هذه الأحاديث تُوافق القرآن وتطابقه، ولذلك الأحاديث التي جاءت في الصفات مذكور أصلها في القرآن، ويدل على ما دلت عليه، وإنما الحديث مع القرآن بمنزلة الحديث مع الحديث الموافق له، والآية مع الآية بمنزلة الآية الموافقة لها، وبمنزلة موافقة القرآن للتوراة، حتى قال النجاشي لما سمع القرآن قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، وكذلك قال ورقة بن نوفل لما ذكرت له خديجة أمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، فإذا كان في القرآن أن لله تعالى علمًا وقدرةً لذكرنا قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث الاستخارة، والذي قال: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في السنن قال: **«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق»**.

قال رحمه الله: فهذا موافق لما جاء في القرآن، وكذلك إذا ذكرنا قوله تعالى في الحديث الصحيح لأهل الجنة: **«ألا أعطيكم ما هو أفضل من ذلك؟»** -يقول الله تبارك وتعالى ذلك لأهل الجنة- **«أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»**، وما جاء في قول الأنبياء في حديث الشفاعة: **«إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»**، أو ذكرنا قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إن الله يحب»** -في إثبات صفة المحبة لله-

«العبد التقي الغني الخفي»، أو قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إن الله يحب العبد المُفتَّن التواب»**، هذا في إسناده كلام، أو قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إن الله يعجب من راعي غنم على رأس جبل شظية»**، أو من قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره»**، أو ذكرنا قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لا تقولوا: ما شاء الله وشاء مُحَمَّد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء مُحَمَّد»**، ونحو ذلك، فإنما نذكر هذه الأحاديث موافقة لكتاب الله تعالى، من غضبه، ورضوانه، ومحبته، وعجبه، ومشيئته، وغير ذلك، فالأحاديث التي يردونها أصلها في كتاب الله -تبارك وتعالى-.

▪ **ثانيًا**: قال: "ولهذا كان أئمة السلف يذكرون الآيات وما يناسبها من الأحاديث في هذا الباب وسائر أبواب العلم"، يعني في العمل والعلم، "مثل ذكر آية الطهارة والصيام والحج والجهاد، وما يناسب ذلك من الأحاديث التي تقرر معناها وتفسر مجمله، وكذلك إذا ذُكرت الآيات في محبة العبد لربه، وتوكله عليه، وإخلاصه له، وخوفه، ورجائه، ونحو ذلك، ذُكر معه الأحاديث الموافقة للقرآن في ذلك، وكذلك إذا ذُكر ما في القرآن من صفة المعاد والجنة والنار ذُكر ما في الأحاديث مما يوافق ذلك، أو ذُكر ما في القرآن من قصص الأولين، وتذكير الله لسلفنا المؤمنين بآلائه عليهم في حياة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".

قال: "ومعلوم بالضرورة أن هذا مما اتفق عليه المسلمون، وهو أحسن ما يكون من بيان اتفاق القرآن والحديث، فهذا نافع في تفسير القرآن الذي هو تأويله الصحيح، ونافع في إثبات ما دل عليه القرآن والحديث من الأحكام الخبرية العلمية الاعتقادية، والأحكام العملية الإرادية، ثم الآية قد تكون نصًا، وقد تكون ظاهرة، وقد يكون فيها إجمال، فالحديث يقرر النص ويكشف معناه كشفًا مفصلًا، ويُقرب المراد بالظاهر، ويدفع عنه الاحتمالات، ويُفسر المجمل ويُبينه ويوضحه، لتقوم حجة الله به، وليتبين أن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيَّن ما أُنزل إليه من ربه، بيَّن معناه وحروفه جميعًا".

قال: "وبهذا جرت عادة أئمة السلف وأتباعهم المصنفين في الأبواب أن يذكروا الآيات والأحاديث، كما جاء عن أحمد، وإسحاق، كانوا يحتجون على أحاديث النزول وصحة معانيها بما في القرآن من آيات المجيء والإتيان، قال: وهل ينكر ذلك من له أدنى عقل؟".

إذن هذه طريقة الأئمة المقتدى بهم من السلف، فماذا صنع الخَلف؟ ماذا صنع هؤلاء؟ تركوا الحديث ولجأوا إلى اللغة.

قال شيخ الإسلام: "وأيما أحسن"، هنا يَردُّ على استدلالهم باللغة وترك حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "أيما أحسن: الاستدلال على معاني الكتاب بما رواه الثقات الأثبات ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المبلغ عن الله المبين لما أنزل الله عليه، وبما قاله الصحابة والتابعون وأئمة الهدى، وتأويل القرآن الذي هو تفسيره بهذه الطرق، أم يُؤخذ تفسير القرآن وتأويله وبيان معانيه من أئمة الضلال وشيوخ التجهم والاعتزال، كالعلاف، والنظام، والمريسي، ونحوهم؟

قال رحمه الله: فإن هذه التفسيرات والتأويلات عنهم وعن أمثالهم، أو ما يُنقل ذلك عن بعض أهل العربية، الذي يتكلم فيه بنوع من الظن والهوى، وإن كان أئمة العربية وعلماؤها على خلاف، أيما أحسن؟ الاستشهاد على معاني القرآن بنفس ألفاظ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وألفاظ الصحابة والتابعين التي يُستفاد بها معنى الآيات على الخصوص وهو المطلوب، ويُعلَم بها اللغة التي نزل بها القرآن، وبها خاطب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالنقل الصحيح الثابت، أو الاستشهاد على ذلك ببيت من شعر؟"، وهذه كذلك تصلح رسالة ماجستير أو دكتوراة، ألا وهي الاستشهاد بالشعر أو أبيات الشعر التي استدلت بها الفِرق في نصرة عقيدتها، طيب.

كقوله ....:

إن الكلام لفي الفـــؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلًا

وهذا البيت يستدل به الأشعرية على مسألة الكلام النفسي.

قال: وكقوله:

قد استوى بشر على العراق من غير سيـــف ودم مهـــراق

وهذا يستدل بها طوائف الجهمية على نفي استواء الله -تبارك وتعالى- حقيقةً على عرشه، وتأويل ذلك أو تحريفه بالاستيلاء.

وكقوله:

وجـــوه يوم بدر ناضـــرات إلى الرحمن تنتظر الفـــلاح

فيستدلون به على أن النظر الوارد في الآية هو الانتظار، وليس هو النظر إلى وجه الله –تبارك وتعالى–.

قال: "وأمثال ذلك من الشعر الذي قد يقال فيه إنه لم يُروَ بإسناد صحيح عن قائله، بل كثير من أهل صنعة الشعر يُكذبه، قال: ولو رُوي بإسناد فمن المعلوم أن –حتى لو رُويَ بالإسناد– قال: من المعلوم أن أسانيد الحديث والآثار أكثر وأكبر، والعلماء بها أعلم وأصدق، وهم أعداد لا يحصيهم إلا الله".

ثم قال بعد ذلك: "من المعلوم أن اللغة المستفادة من الشعر والغريب الذي يعلمه الآحاد دون ما يُستفاد من نقل أهل الحديث، فإذًا لا يُفيد العلم بأن اللغة أو بأن العربي قاله، ولو علمنا أن العربي قاله لم يكن علمنا بمراد العربي منه إلا دون علمنا بمراد الرسول والصحابة والتابعين من ألفاظهم، فإذا كان هذا دون الحديث في النقل والدلالة لم يكن حمل معاني القرآن عليه بأولى من حملها على معنى الحديث والآثار، بل تلك أولى من وجوه كثيرة، بل لا يجوز أن يقال هذا معنى الآية لمجرد إسناد الشعر والغريب، ودلالة ذلك، إذ هما لا يفيدان العلم به، فيكون تفسير القرآن بهذه الطريق قولًا على الله بلا علم".

الطالب: ....

الشيخ: نعم، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في نقض المنطق ذكر، لكن لا أذكر لفظ كلامه، قال إن أذكى الناس أهل السنة والجماعة، أذكى الناس وأعقل الناس أهل السنة والجماعة.

الشُّبهة الخامسة:

قالوا: قد جاءت بعض الأحاديث التي فيها عدم قبول خبر الواحد، ومنها:

1- حديث ذي اليدين، لما سلّم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في صلاة الظهر أو العصر من ركعتين، فقال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لم أنسَ ولم تُقصَر»، فقال: بلى قد نسيت، الحديث، فقالوا: هذا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يقبل الخبر الواحد، فدل ذلك على أن خبر الواحد ليس بحجة.

وهذا يُرد عليه أنه: هذا الحديث الذي يستدلون به خبر واحد.

الطالب: ....

الشيخ: نعم، فقال ذو اليدين للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: بلى قد نسيت، فسأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصحابة، وكان فيهم أبو بكر وعمر، فقالوا: نعم، صليت يا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ركعتين، فقام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان قد أسند ظهره إلى المنبر وجاء بركعتين، وأتم الصلاة، فقالوا: هذا دليل على أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يقبل خبر الواحد.

- **أول رد**: أن ذلك خبر واحد، فكيف تستدلون بخبر الواحد على رد خبر الواحد؟ هذا أولًا.
- **الأمر الثاني**: أن الحديث حجة عليهم؛ لأنه في الأحكام، لا في العقائد، وأنتم تقبلون مثل ذلك في الأحكام دون العقائد.
- **الأمر الثالث**: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يرد خبر ذي اليدين لأنه خبر آحاد، بل لأنه عارض ما غلب عنده من الظن، ولذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**لم أنسَ ولم أقصر**»، في هنا دلالة لا بد من وجودها، أو مقتضى لا بد من وجوده، لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نسي وقصر في الصلاة، ومع ذلك قال: «**لم أنسَ ولم أقصر**»، هل كذب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ذلك؟ حاشاه وكلا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنما لم أنسَ ولم أقصر في ظني، هذا لا بد من وجوده، فعارض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بينما غلب على ظنه وترجح في ظنه وما قاله ذو اليدين، والذي حمله

على ذلك -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سكوت أبي بكر وعمر، لأنه لما سكت أبو بكر وعمر ترجح لدى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه لم ينسَ.

الطالب: ......

الشيخ: نعم، إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ترجح أنه لم يقصر ولم ينس لوجود وزيريه -رضي الله عنهما-.

2- **كذلك يستدلون بحديث الاستئذان في قصة عمر، وهذا الاستدلال مشهور عندهم، أن أبا موسى ذهب إلى عمر -ﷺ- فاستأذنه، فلم يُؤذَن له، فرجع، فقابله عمر بعد ذلك فقال له: لماذا لم تأتنا؟ فقال: قد جئتك واستأذنت ثلاثًا، وقد قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له فليرجع»، فقال عمر: البينة وإلا أوجعتك، فذهب أبو موسى -ﷺ- يبحث في الصحابة عمن يقول إنه سمع هذا الحديث من رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقام معه أبو سعيد الخدري -ﷺ- وكان أصغر القوم، فذهب وأخبر عمر**، فهل لما أخبر أبو سعيد الخدري -ﷺ- عمر خرج الحديث عن كونه آحاد؟ ما خرج عن كونه آحاد، صحيح؟ فهذا كذلك لا يُستدل به.

3- **حديث توريث الجدة، يستدلون كذلك به، لما شهد المغيرة أنه حضر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعطيها السدس، لما قال لها أبو بكر ... وهذا الحديث في إسناده كلام، ويُصححه بعض أهل العلم، فقال: "لا أجد لكِ شيئًا في كتاب الله"، فقام مُحَمَّد بن مسلمة لما شهد المغيرة -ﷺ- فشهد كذلك بمثل ما شهد به المغيرة، فأنفذه أبو بكر الصديق**، فالرد كذلك أن شهادة مُحَمَّد بن مسلمة لا تُخرج الحديث عن خبر الواحد.

الطالب: ......

الشيخ: نعم، ثم الثابت عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحبه قبول خبر الواحد العدل الثقة، كما في حديث الجساسة، وكما في حديث ابن عمر عن أبيه، وكذلك قبول التابعين الأخبار التي جاء بها الصحابة عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث قتادة عن أنس

عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لا يزال يُلقَى فيها** -أي: في النار- **وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العالمين قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض**»، ففيها إثبات القدم لله -تبارك وتعالى-.

قال **أبو المظفر السمعاني** كما في كتابه "الانتصار" قال: "فإن قالوا: فقد كثرت الآثار في أيدي الناس، واختلطت عليهم، قلنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، أما العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير، فيُميزون زيوفها ويأخذون خيارها، ولئن دخل في غمار الرواة من وُسم بالغلط في الأحاديث فلا يرد ذلك على جهابذة أصحاب الحديث ورُتُّوت العلماء"، الرُتُّوت يعني: رؤوس العلماء، "حتى إنهم عدوا أغاليط من غلط في الأسانيد والمتون، بل تراهم يعدون على كل واحد منهم كم في حديث غلط، وفي كل حرف حرف، وماذا صُحّف، فإذا لم يرج عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد والمتون والحروف، فكيف يروج وضع الزنادقة وتوليدهم الأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها؟ وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب، يريد أن يُهجّن -أي: يعيب- بهذه الدعوة الكاذبة صحاح أحاديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وآثاره الصادقة".

ثم قال -رحمه الله-: "فتدبر رحمك الله، أيُجعَل حكم من أفنى عمره في طلب آثار النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شرقًا وغربًا، وبرًا وبحرًا، وارتحل في الحديث الواحد فراسخ".

قلتُ: كما فعل جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- لما ارتحل للشام شهرًا يسمع حديث عبد الله بن أُنيس الذي سمعه من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يا آدم أخرج بعث النار**»، وكما رحل شعبة بن الحجاج -رحمه الله- أمير المؤمنين في الحديث، وقصته ذكرها ابن حبان في بداية كتاب "المجروحين"، لما خرج ذات يوم ووجد أبا الحارس الوراق يجلس عند بابه، ويُحدّث بحديث عن أبي إسحاق السبيعي، وهو من المدلسين، بإسناد إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول فيه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**من توضأ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله فُتحت له أبواب الجنة الثمانية**»، طبعًا الحديث ثابت من حديث عمر -رضي الله عنه- لكنه ليس ثابتًا من رواية أبي إسحاق السبيعي، فنهره، بل ضربه شعبة بن حجاج -رحمه الله- وذكر قصته في التثبت من هذا الحديث، وكيف أنه خرج من البصرة إلى مكة، لا يريد الحج، يعني ليست في نيته

الحج، وإنما خرج من أجل هذا الحديث، فلما وصل مكة سأل عن أحد الرواة، سأل مالكًا، فقال له: إنه لم يحج هذا العام، وكان مدنيًا، فذهب إلى المدينة، فسأل عنه حتى وصل إليه، ثم عاد بعد ذلك إلى البصرة، كل ذلك في التثبت من حديث واحد عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولذلك كانوا يرتحلون الفراسخ في معرفة حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال **السمعاني** رحمه الله: "ومنهم من اتهم أباه وأدناه في خبر يرويه عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا كان موضع تهمة" علي بن المديني سُئل عن أبيه فقال: سلوا غيري، فسُئل مرة أخرى قال: أبي ضعيف"، هذا دين، فما كان الواحد منهم يُحابي أحدًا في حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثم قال -رحمه الله-: ثم ألف هؤلاء الكتب في معرفة المحدثين، وأسمائهم، وأنسابهم، وقدر أعمالهم، وذكر أعصارهم وشمائلهم وأخبارهم، وفصلوا بين الرديء والجيد، والصحيح والسقيم، حبًا لله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وغيرة على الإسلام والسنة، ثم استعمل -يعني استعمل هؤلاء- آثار النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلها، حتى فيما عدا العبادات، من أكله، وطعامه، وشرابه، ونومه، ويقظته، وقيامه، وقعوده، ودخوله، وخروجه، وجميع سننه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسيرته، حتى في خطواته وخطراته ولحظاته، ثم دعا هؤلاء -يعني أهل الحديث- الناس إلى ذلك، وحثوهم عليه، وندبوهم إلى استعماله، وحببوا الناس لذلك في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكل ما يملكون، حتى بذلوا في ذلك أموالهم ونفوسهم، هل يستوي هذا كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وآرائه وخواطره وهواجسه؟! ثم تراه بعد ذلك يرد ما هو أوضح من الصبح من سنن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأشهر من الشمس، برأي دخيل، واستحسان دميم، وظن فاسد، ونظر مشوب بالهوى، فأي الفريقين أحق أن يُنسَب إلى اتباع السنة واستعمال الأثر؟".

قال: "فإذا قضيت بين هذين بوافر لبك، وصحيح نظرك، وثاقب فهمك، فليكن شكرك لربك على حسب ما أراك من الحق، ووفقك للصواب، وألهمك من السداد".

قال ابن القيم معلقًا على هذا الكلام في *مختصر الصواعق* قال: "ومن المعلوم أن من هذا عنايته بسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسيرته وهديه، فإنها تفيد عنده من العلم الضروري والنظري ما لا تفيده عند المعرض عنها المشتغل بغيرها".

قلتُ: ولذلك أحاديث الآحاد عند علماء الحديث متواترة، لكن أي تواتر؟ التواتر الخاص، أجمعوا على قبولها والعمل بها، فهذا متواتر عندهم تواترًا خاصًا، والناس تبع لهم، لأنهم أهل الشأن، وأهل الاختصاص، فلا بد أن يقبل الناس قولهم في هذا الباب، وأما من أعرض عن أحاديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واشتغل بغيرها بالفلسفات والأقيسة الباطلة فصارت هذه الفلسفات هي العلم لا غيره عندهم، يعني لما اشتغل أهل الحديث بحديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صار حديث النبي هو العلم، طب لما اشتغل المتكلمون بفلسفات اليونان؟ صارت هذه الفلسفات وهذه العقول الفاسدة هي العلم، ولذلك عرضوا على هذه الفلسفات كل ما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالأحاديث الواردة في العقائد كما يقول ابن القيم: "تدور بين اليقين والظن الراجح عند أهلها المشتغلين بها، والناس تبع لهم في ذلك"، فأهل كل فن هم المتكلمون فيه، وقولهم هو الذي يُقبَل في هذا الفن، فإذا تكلم النحوي مثلًا في علم النحو فالناس تبع لهم في ذلك، بما في ذلك المحدثون، تبع للنحاة في هذا الباب، وإذا تكلم علماء الحديث المقتدون بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولًا وعملًا بما جاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المحققون لصحة هذه الأحاديث من عدمها إذا تكلموا في هذا الباب وبيّنوا أنه يفيد العلم أو يفيد العلم والعمل فالناس تبع لهم في ذلك، لكن ظهر هذا القول كما قلنا رد هذه الأحاديث عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظهر بسبب أن الذين ألفوا في أصول الفقه، وهذا الباب يُدرَس أكثر ما يُدرَس في أصول الفقه، هذا الباب -باب حديث الآحاد- أكثر ما يُدرَس في أصول الفقه، حتى مسألة الخلاف في حد التواتر، هل هم اثنى عشر زي كعدد الذين انصرفوا عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[الجمعة:١١]، أو أربعين كالذين صلوا أول جمعة في المدينة، أم ثلاثمائة وأربعة عشر كعدد أهل ، أم سبعون كعدد من كانوا مع موسى عليه السلام.

هذه الأعداد لا تجدوها إلا في كتب أصول الفقه الموسعة، وما نص عليها إلا المتكلمون، فلما تأثروا بالمعتزلة والجهمية وانتشر ذلك عنهم، صار بين الناس كأنه هو الأصل، والأصل أن خبر الآحاد كما يُؤخذ به في العمل يُؤخذ به كذلك في الاعتقاد.

الطالب: .....

الشيخ: نعم، أحسنت يا شيخ، هذه الأحاديث التي دوّنت أخبار الآحاد، تواترت، الكتب التي دُونت في هذه الأحاديث تواترت بين الناس بعد تدوينها، وهذا كذلك مما يدل على تواترها التواتر الخاص.

نعود لموضوع سحر النبي ﷺ فنقول: وأما ما يتعلق بعصمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسحره لا يقدح في عصمته، لماذا؟ لأن السحر لم يؤثر في عقله، إنما غاية الأمر أنه مرض كسائر الأمراض التي تصيب البشر، والله -عز وجل- وصف نبيه بأنه بشر، قال تعالى: ﴿**قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم**﴾[الكهف: ١١٠]، يصيبه ما يصيب البشر، ولكن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُوحَى إليه، ولذلك شُجت رأس النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في غزوة أحد، وكُسرت رباعيته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دخل المغفر في وجنتيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو في وجهه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو بشر، لا نقول كما يقول الجُهال من المبتدعة من المتصوفة، كما رأيت الأسبوع الماضي رجلًا خرج في برنامج مع امرأة فقال لها: أقول لكِ أمرًا لعلكِ تسمعينه للمرة الأولى، الصحابة لم يروا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-!!! لم ير الواحد منهم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنما كانوا يرون نورًا، وكان كل واحد من الصحابة يرى نورًا على قدر إيمانه، أما رؤية النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلم ير الواحد منهم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا كذاب، وإلا فكيف وصف الصحابة كل شيء يتعلق بخَلق النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصفوا صدره، ووصفوا لحيته، ووصفوا أنفه، كان أقنى الأنف -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عريض الصدر، وصفوا مشيته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانوا يعرفون قراءته باضطراب لحيته، أليس هذا خَلق النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ حتى خاتم النبوة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصفوه، فهذا من الدجل والكذب، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان بشرًا.

وأما حديث جابر المشهور: أتدري مما خُلق نبيك يا جابر؟ خُلق من نور، هذا حديث موضوع لا أصل له، ليس له أصل، هذا كذب، فالله -عز وجل- قال: ﴿**قُل**﴾ يا مُحَّد ﴿**قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم**﴾[الكهف: ١١٠]، وقال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿**وَإِذَا مَرِضتُ فَهُوَ يَشفِينِ**﴾[الشعراء: ٨٠]، فالأنبياء يمرضون، والسحر من جملة المرض.

وأما تأثيره على عقل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا لم يكن، وإلا فكيف قال الله -عز وجل-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[المائدة: ٣]، وأما أن ذلك ينافي العصمة وينافي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]، **فالمقصود ها هنا:** العصمة من القتل، لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان له حارس، فلما نزلت هذه الآية صرف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حارسه، لما قال له الله -عز وجل-: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]، كان الحارس الذي يقف على خيمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحرسه صرفه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فدل ذلك على أن العصمة إنما هي من القتل، كما جاء بيان ذلك في السنة.

هل السحر يقلب الأعيان أم هو تخييل؟ هل يستطيع الساحر أن يقلب هذا الكوب حمامة كما يصنع؟ أن يجعل هذه السارية تتحرك إلى أن تأتي إلى جوار هذه السارية؟ لا يستطيع أن يقلب ذلك؛ لأن الذي يفعل ذلك ربنا -تبارك وتعالى- وإنما غاية الأمر أن هذا قبيل التخييل، قال الله -عز وجل- عن سحرة موسى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[طه: ٦٦].

قال ابن حزم: "والسحر حيل وتخييل لا يُحيل طبيعة أصلًا".

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في القول المفيد: "فالمهم أن السحر يُؤثر بلا شك"، لأن الله قال: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ﴾ فأثبت الضرر، وقال الله -عز وجل-: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، فأثبت الشر لهم، فالسحر يؤثر بلا شك، لكنه لا يقلب الأعيان إلى أعيان أخرى؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله -عز وجل- وإنما يُخَيَّل للمسحور أن هذا الشيء انقلب وهذا الشيء تحرك أو مشى، وما أشبه ذلك كما جرى لموسى -عليه السلام- أمام سحرة آل فرعون، حيث كان يُخَيَّل إليهم من سحرهم أنها تسعى، فماذا يصنع الساحر؟ إما أن يؤثر في عين المسحور، وإما أن يؤثر في الشيء الذي هو أمام المسحور، يؤثر في عين المسحور فيرى هذا الإنسان هذا الكوب قد انقلب إلى حمامة، أو اختفى، أو غير ذلك، أو أن يؤثر سحره في الشيء نفسه، فيجعله يبدو كشيء آخر، ولكن هو في حقيقة الأمر لم ينقلب.

حَل السحر

هل يجوز حل السحر بالسحر؟ لا يجوز، وإنما يُحَل بكتاب الله وبسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ﴾[الإسراء: ٨٢]، و ﴿مِنَ﴾ ها هنا للجنس، وليست للتبعيض، يعني ليست هناك آيات معينة مُخصصة للسحر، وإنما من كل القرآن، من جنس القرآن، هذا شفاء، والأولى في ذلك ما بيّنه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعني أن يقرأ المعوذات، وكذلك الفاتحة، وأما أن يقرأ الآيات التي في سورة الأعراف، أو صدر سورة الصافات، أو آيات معينة من سورة يونس، أو غير ذلك، فهذا ليس عليه دليل، كل القرآن شفاء، كما أخبر الله -تبارك وتعالى- فحل السحر لا يكون إلا بالقرآن، وبسنة النبي العدنان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بما جاء في الدعاء.

وأما النُشرة التي هي حل السحر بسحر مثله فهذا حرام ولا يجوز؛ لأن الله -عز وجل- لم يجعل دواءً فيما حرّمه على أمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا أولًا، ولأن القول بجواز حل السحر بسحر مثله ينجم عنه ضرر وشر عظيم.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "وهذا القول"، يعني القول بجواز حل السحر بسحر مثله، أن يذهب المرء إلى ساحر، قال: "هذا القول ينشأ عنه مفسدة، وهي كثرة تعلم السحر من أجل حل السحر" ، لأن حل السحر قد يكون بعِوض كبير جدًا، فيصبح الناس يتعلمون السحر ليفكوا السحر بالقيمة الكبيرة، فلهذا يمنع منه، "ثم إننا نقول: إن حل السحر بالسحر قد يحصل وقد لا يحصل، ثم إنه لا يتعين حل السحر بالسحر، فقد يُحل السحر بالقرآن والأدوية المباحة، وما أشبه ذلك، فليس هناك ضرورة"، أي لا يقال إن الضرورات تُبيح المحظورات، فليست هناك ضرورة.

ثم قال: **(ويرون مجانبة البدعة)**.

وقوله: مجانبة أي: أن يكون المرء في جانب والبدعة في جانب آخر، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجنُبني وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، أي: اجعلني في جانب والأصنام في جانب آخر.

والبدعة في اللغة: هي الشيء المخترع على غير مثال سابق، قال تعالى: ﴿بَديعُ السَّماواتِ وَالأَرضِ﴾[البقرة: ١١٧]، وعلى المعنى اللغوي يُحمل قول عمر لما دخل ووجد الناس يصلون جماعة صلاة قيام رمضان فقال: "نِعمة البدعة هذه"، فقول عمر لا يُستدل به على تحسين البدع، كيف يُستدل به والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «كل بدعة ضلالة»؟ كان يُكرر ذلك أمام الصحابة كثيرًا، فقول عمر: "نعمة البدعة هذه" المقصود به البدعة في اللغة، قال العلامة ابن باز -رحمه الله-: "لأنه ﷺ جمع الناس على إمام واحد ، وكانوا متفرقين في عهد النبي ﷺ، وفي عهد الصديق ، فلما كان عهده ﷺ جمعهم على إمام واحد ، ومر عليهم ذات ليلة وهم يصلون فقال : نعمت هذه البدعة ، يعني: جمعه لهم على إمام واحد مستمر منتظم . هذا من حيث اللغة العربية ، وليس مقصوده أن هذه البدع، الأساس والأصل، فإنه ﷺ لا يمكن أن يوجد البدع ، ولا يقر البدع " . انتهى كلامه رحمه الله.

ليس في الإسلام بدعة حسنة وبدعة سيئة، كل بدعة ضلالة، البدع كلها مذمومة، البدع الدينية، الذي يخترع أمرًا في الدين يريد به أن يتقرب به إلى الله -تبارك وتعالى- هذا مبتدع في الدين ابتداعًا مذمومًا، وأما البدعة التي تنقسم أحكامها إلى الأحكام التكليفية الخمسة فهي البدعة في الدنيا، يعني صناعة الطائرات، صناعة السيارات، التوسعة على الناس في الملبس وفي المأكل والمشرب، وغير ذلك، هذه البدع الدنيوية هي التي تنقسم إلى الأحكام الخمسة. قد تكون هذه البدعة مستحبة، وقد تكون مكروهة، أو مباحة، أو غير ذلك، لكن البدعة في الدين كلها حرام، البدع كلها حرام، وليس في الدين بدعة حسنة.

وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في أثناء قراءة كتاب الاعتصام، وقد رد الشاطبي على القرافي وعلى العز بن عبد السلام لما قسّموا البدعة إلى أقسامها الخمسة، يعني الأقسام التكليفية الخمسة.

وأما البدعة في الشرع فأفضل من عرَّفها الشاطبي، فقال: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، أي تشبه الطريقة الشرعية، فيها بعض الحق، وإلا لما تمسك المبتدع بها. لها وجه حق، لكن من الجانب الآخر سواءً كان في صفتها، أو في عددها، أو في زمانها، أو في مكانها، أو في هيئتها، تخالف الشرع، فهي بدعة. لماذا يبتدع المبتدع؟ يُقصد بها المبالغة في التعبد.

والبدع ضررها عظيم؛ ولذلك كانت البدعة أحب إلى إبليس من المعصية. الشيطان له خطوات، يتدرج بها مع الإنسان، يحاول أولًا أن يُوقعه في الكفر، أن يُخرجه من الإسلام، فإن لم يستطع نقله إلى البدعة، فان لم يستطع نقله إلى الكبيرة، فإن لم يستطع نقله إلى الصغيرة، فإن لم يستطع شغله بالمفضول عن الفاضل، فتجده يصلي قيام الليل ولا يقوم لصلاة الصبح، فيشغله بالمفضول عن الفاضل، فتأتي البدعة في الدرجة الثانية بعد الكفر.

فالبدعة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا تزال تُخرج من صغير إلى كبير، حتى تُخرج المرء إلى الإلحاد" -عياذًا بالله-.

ولذلك إنما يمرق من الدين ويرتد على عقبيه المبتدع، قال مُحَمَّد بن سيرين: "أسرع الناس ردةً أهل الأهواء".

وقال مُحَمَّد بن سيرين أيضًا كما في أصول الاعتقاد قال: "لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء".

ولذلك عند الفتن دائمًا تجد أكثر الناس إسراعًا وولوجًا فيها أهل الأهواء والبدع، بل يتبجحون أنهم هم مُسعّروها، وأنهم هم أهلها.

هذه الثورة المشؤومة؛ ثورة الربيع العبري ثورة خمسة وعشرين يناير، كنا نسمع ليل نهار الإخوان المسلمين في المساجد يتكلمون، نحن من قام بالثورة، ففي كل فتنة تجد أكثر الناس إسراعًا إليها أهل الأهواء والبدع.

ولذلك أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الدجال إذا خرج آخر الزمان يتبعه الخوارج، أهل البدع، فنسأل الله -عز وجل- أن يُسلمنا من البدع صغيرها وكبيراها.

الدرس الخامس عشر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

قال أبو بكر الإسماعيلي –رحمه الله– عن أهل السنة والجماعة: **(ويرون مجانبة الآثام، والفخر، والتكبر، والعجب)**.

(ويرون) يعني أهل السنة والجماعة، فهذا فيه نقل الإجماع، فأهل السنة والجماعة يجتنبون أمورًا تتنافى مع الأخلاق الإسلامية والهدي النبوي، من هذه الأمور:

يجتنبون الآثام، والآثام: جمع إثم.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة في بيان أصل هذه الكلمة –كلمة الإثم– قال: "الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد، وهو البطء والتأخر، فيقال: ناقة آثمة، أي: متأخرة، والإثم مشتق من ذلك؛ لأن ذا الإثم"، هذا كلام ابن فارس، "لأن ذا الإثم –أي: صاحب الإثم– بطيء عن الخير متأخر عنه".

قال: "وقال الخليل: أثم فلان: وقع في الإثم، فإذا تحرج وكف قيل تأثم"، فإذا وقع في الإثم يقال: أثم فلان، وإذا تحرج عن فعل الإثم يقال: تأثَّم.

قال: "كما يقال: حرج، أي: وقع في الحرج، وتحرج: تباعد عن الحرج، ويقال: رجل آثم وأثيم وأثوم، والإثم يُطلق كذلك على الخمر، كما قال الأخفش، وعلى ذلك فسر بعضهم قول الله تعالى: ﴿قُل إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنها وَما بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ بِغَيرِ الحَقّ﴾[الأعراف: ٣٣]، أي: الخمر"، انتهى كلام ابن فارس –رحمه الله–.

وقد عرَّف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الإثم بأثره، فقال: «**الإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»، فكل ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس فهذا هو الإثم.

فأهل السنة يجتنبون الآثام ما ظهر منها وما بطن، ولا يفخرون على أحد.

ولذلك قال: (**ويرون مجانبة الفخر**)، لا يفخرون عليهم لا في دين ولا في دنيا، لأن الله تعالى نهى عن ذلك، قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا يَسخَر قَومٌ مِن قَومٍ عَسى أَن يَكونوا خَيرًا مِنهُم وَلا نِساءٌ مِن نِساءٍ عَسى أَن يَكُنَّ خَيرًا مِنهُنَّ**﴾[الحجرات: ١١].

وكذلك قال نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما صح عنه: «**إنه أُوحيَ إليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»، فأهل السنة يرون مجانبة الآثام، ومجانبة الفخر كذلك، والتكبر، لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى كذلك عن التكبر.

وهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها المصنف -رحمه الله- وهي: الفخر، والتكبر، والعجب، متلازمة، فإن الإنسان إذا عجب بنفسه أو أُعجب بنفسه تكبَّر وافتخر على غيره، فهي متلازمة.

وقد بيّن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن أهل النار كل عتل جواظ مستكبر، وهي ألفاظ متقاربة، وقالت النار: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وأما الجنة فيدخلها الضعفاء المساكين.

قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث عبد الله بن مسعود قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، وهذا الحديث له توجيهان:

التوجيه الأول: وهو ما ذكره السفاريني في قوله: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال: "الكبر الذي لا يدخل صاحبه الجنة كبر الكفر"، فالذي يستكبر عن عبادة الله -تبارك وتعالى- ولو كان هذا الكبر كمثقال الذرة هذا يحرم عليه أن يدخل الجنة، قال: "فإن العبد قد يتكبر على الخالق لفرط جهله، فيكفر به ولا يعبده، وربما تكبر على أنبيائه ورسله، وهذا كافر لا يدخل الجنة أبدًا".

وكذلك قال ابن الأثير في النهاية قال: "في قوله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» قال: يعني كبر الكفر والشرك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتي سَيَدخُلونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ﴾[غافر: ٦٠]".

وقال العلامة الفوزان –رحمه الله- وهذا هو التأويل الثاني للحديث: "وقد يكون هذا الحديث من أحاديث الوعيد التي تُمر كما جاءت ولا تُفسَّر"، فيُحمل على كبر الكفر، ويُحمل كذلك على الكبر الذي هو التكبر على الناس، وهذا كبيرة من الكبائر، فإما ألا يدخل الجنة ابتداءً، يُعذَّب على قدر ذنبه، وهذا هو المقصود بهذا الحديث، وإما أن يكون في مشيئة الله –تبارك وتعالى- ومن مقتضى هذه المشيئة أن الله قد يغفر له ويدخل الجنة برحمته –سبحانه وتعالى-.

فالحديث إما أن يُحمل على كبر الكفر، وإما أن يُحمل على أنه كبيرة من الكبائر، وبالتالي يكون من أحاديث الوعيد، فأهل السنة والجماعة يرون مجانبة كل ذلك.

قال: **(ويرون مجانبة الخيانة، والدغل، والاغتيال، والسعاية).**

والخيانة خلق مذموم أبدًا، ولذلك لم يُوصف ربنا –تبارك وتعالى- بها مطلقًا، قال: ﴿وَإِن يُريدوا خِيانَتَكَ فَقَد خانُوا اللَّهَ مِن قَبلُ فَأَمكَنَ مِنهُم﴾[الأنفال: ٧١]، مع أن الله –تبارك وتعالى- وصف نفسه ببعض الصفات التي تكون مدحًا إذا كانت على سبيل المقابلة، قال: ﴿إِنَّهُم يَكيدونَ كَيدًا * وَأَكيدُ كَيدًا﴾[الطارق: ١٥-١٦]، قال الله –عز وجل-: ﴿يُخادِعونَ اللَّهَ وَهُوَ خادِعُهُم﴾[النساء: ١٤٢]، في سورة البقرة، في أول سورة البقرة، عند الكلام عن المنافقين، ماذا قال الله –عز وجل-؟ ﴿وَإِذا لَقُوا الَّذينَ آمَنوا قالوا آمَنّا وَإِذا خَلَوا إِلى شَياطينِهِم قالوا إِنّا مَعَكُم إِنَّما نَحنُ مُستَهزِئونَ﴾، فوصفوا أنفسهم بالاستهزاء، فقابل الله –عز وجل- ذلك قال: ﴿اللَّهُ يَستَهزِئُ بِهِم﴾[البقرة: ١٤-١٥]، فمثل هذه الصفات المقيدة هي مدح إذا جاءت على سبيل التقييد، وأما الخيانة فهي مذمومة أبدًا، لا تُمدح لا في الإطلاق ولا في التقييد، ولذلك ذمها ربنا –تبارك وتعالى- ولم يصف نفسه بها –سبحانه وتعالى-.

قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[الأنفال: ٥٨]، هذه الآية لنا معها أكثر من وقفة:

الوقفة الأولى: في بيان معنى هذه الآية، الله -عز وجل- يخاطب نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سورة الأنفال يقول له: إذا كنت في حرب، وإذا كنت في عهد، فإن خفت الخيانة من هؤلاء فانبذ إليهم على سواء، ما معنى على سواء؟ أي: لا بد أن تتساوى أنت وهم في العلم بنبذ العهد، وهذا من كمال هذا الدين، فالله يأمر نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه إن خاف الخيانة من قوم معاهدين فلا بد أن ينبذ إليهم العهد، لا بد أن يقول لهم: نبذنا عهدكم، ولا بد أن يكون هذا النبذ معلومًا على السواء، كما يعلمه المسلمون لا بد أن يعلمه هؤلاء، ولا يكفي أن أقول أنا الأمير: نبذت العهد بيني وبين هؤلاء، لا بد أن نحاربهم، لا، لا بد أن يصل إليهم نبذ العهد، لماذا؟ لأن الله -تبارك وتعالى- حرّم الخيانة، ولو كانت هذه الخيانة مع قوم محاربين.

ولذلك هناك فرق بين الخيانة والخديعة، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الحرب خدعة»، وأما الخيانة فلا تكون في دين الإسلام أبدًا، ويكفي في التدليل على أن خيانة العهد قد تكون سببًا في جر البلاء، وفي أن يُديل الكفر على الإسلام، أن يُديل الله -تبارك وتعالى- الكفر على أهل الإسلام، أن يجعل دولة الكفر ظاهرة على دولة الإسلام، يكفي في ذلك لو نظرنا في سبب استيلاء التتار على بلاد المسلمين، التتار كانوا في شرق آسيا، كيف كان بدء ظهورهم على بلاد المسلمين؟ كان من خيانة العهد، فقد كان ملك المسلمين على بخارى وسمرقند خوارزم شاة، وكان هذه الفترة الذي يحكم التتار جنكيز خان، وسيّر جنكيز خان جماعة من التجار لسمرقند وبخارى ليشتروا له ثيابًا للكسوة، فأمر خوارزم شاة بقتلهم، وأخذ ما معهم من الأموال، وفرّقه على تجار سمرقند وبخارى، ولم يكن هناك حرب بيننا وبين التتار، فخرج التتار لينتصروا لأولئك التجار من أطراف الصين، وقصدوا تركستان، ثم سمرقند، وبخارى، إلى خراسان، إلى أن عاثوا في الأرض فسادًا، حتى وصلوا إلى ديار الخلافة، وحتى قتلوا الخليفة، ووضعوه في جوال كما يُذكر في التواريخ، وركلوه بالأرجل، وكان سبب كل ذلك ماذا؟ عدم الوفاء بالعهد، ولذلك ينبغي أن نفي بالعهد حتى مع غير المسلمين.

ولما غدر الحركيون –أمثال أسامة بن لادن، وأيمن الظواهري، وغير هؤلاء– بالعهود التي بين بلاد المسلمين وغير المسلمين، أدى ذلك إلى الدمار العظيم الذي أصاب بلاد المسلمين، ما الذي أدى إلى دمار العراق وتقتيل أطفالها وتشريد شعبها؟ أليس سبب ذلك خيانة العهد؟ بلى، هؤلاء ماذا يصنعون؟ يفجرون في بلاد الكفر، ويحسبون أن ذلك من الجهاد، هؤلاء لما حدثت أحداث ١١ سبتمبر وتم تفجير البرجين خرج هؤلاء وأعلنوا أنهم الذين فجروا البرجين، مع أننا نعلم علم اليقين أن هذا التفجير كان بأيدي اليهود، وكان بتخطيط اليهود، لأن البرجين في هذا اليوم لم يذهب إليهما واحد من اليهود، فكانوا على علم بهذا التفجير، وهذا بكلام الأمريكان أنفسهم، هم الذين بيّنوا ذلك وبيّنوا أن الخطة كانت من قِبل اليهود، ولكن هؤلاء اليهود استعملوا من؟ استعملوا الحركيين، وأوعزوا إليهم بعلم أو غير علم، بشعور أو غير شعور، أن هذا من الجهاد، ومن ثمَّ قاموا بتنفيذ هذه العمليات، وهل هذا يجوز في دين الإسلام؟ لا يجوز في دين الإسلام، تفجير النفس في غير بلاد المسلمين التي بيننا وبينها عهود ومواثيق هذا لا يجوز، فكانت خيانة العهد في عصرنا الحاضر من قِبل الحركيين سببًا كذلك في دمار بلاد المسلمين.

وكذلك لو نظرنا في مصرنا، الإخوان لما فعل معهم عبد الناصر ما فعل من سجنهم، وقتلهم، وتشريدهم، لما مات عبد الناصر من الذي خلفه؟ السادات، فكانت هذه الحقبة هي الحقبة المزدهرة بالنسبة للإخوان، حقبة السادات ، فنشروا فيها دعوتهم، وكان السادات قد أخرجهم على أساس أن يكونوا أهل دعوة، ولكنه قد يكون خفي عليه أنهم لا يريدون الدعوة وإنما يريدون المناصب، ولهذا خانوا العهد معه، فماذا فعلوا؟ قتلوه.

فقال ها هنا منبهًا على أن هذا الأصل من أصول أهل السنة والجماعة، وإن ظن بعضهم أنه من الفروع، بل هو من أصول الأخلاق.

قال: (**ويرون مجانبة الخيانة، والدغل، والاغتيال، والسعاية**).

الدغل: الذي هو الحقد والحسد، فأهل السنة ليس في قلوبهم حقد على أحد، وإنما قلوبهم صافية، ولذلك تجد محبتهم في الله، وبغضهم لله، إذا أحبوا إنسانًا أحبوه في الله، وإذا أبغضوا إنسانًا أبغضوه لله، لا يُحبونه لا لمنصب، ولا لجاه، ولا لحاجة لهم عنده، وهذا هو الأصل في أهل

السنة والجماعة، فإن وجدت إنسانًا على خلاف ذلك فليس الخطأ في الأصل، وليس الخلل في الأصل، ولكن الخلل في صاحب هذا الحقد والغل.

فالغدر والخيانة كما قلنا من أسباب هزيمة المسلمين، وليس من أسباب نصرهم كما يتوهمه هؤلاء.

بل قال ابن عباس -رضي الله عنه-: "ما نقض قوم العهد إلا أُديل عليهم العدو"، وهذا ذكره مالك في الموطأ، "ما نقض قوم العهد إلا أُديل عليهم العدو".

وقال علي -رضي الله عنه-: "إني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم، وطاعتكم إمامهم، وخيانتكم، وأمانتهم".

فالخيانة والغدر شر وشؤم، وصد عن سبيل الله، وهذا الذي نجح فيه الدواعش، فالدواعش نجحوا في الصد عن سبيل الله وعن الإسلام أكثر مما قد تنجح فيه جيوش الكفر، لماذا؟ لأنهم يخرجون يقولون: قال الله، قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم لا تجدوا من هؤلاء إلا خيانة العهد، وإلا القتل بطريقة بشعة جدًا، ما فعلها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من تحريق، ومن إغراق، ومن إشعال للنيران داخل قفص معين يُوضع فيه المسجون، ومن إمساك بالرأس، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما قال لقريش: «جئتكم بالذبح» كان هذا من باب التهديد، ما رأينا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذبح مشركًا، جئني بموضع واحد وقد حارب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وغزا أكثر من غزوة، جئني بموضع واحد ضرب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو ذبح عنق مشرك في حرب وأمسكها هكذا كما يفعل هؤلاء، هؤلاء يفعلون كل هذه الأمور من أجل تبشيع الإسلام في عيون الناس.

فقال ها هنا: **(ويرون مجانبة الخيانة، والدغل، والاغتيال)**.

فليس في الإسلام اغتيال لأهل الإسلام، وإنما الذي سن ذلك الإخوان المسلمون، هم الذين سنوا سنة الاغتيال، وسنة الحزام الناسف، وكان أول من فعل ذلك هذا الذي اغتال النقراشي باشا رئيس الوزراء بعد حل جماعة الإخوان المسلمين بعشرين يومًا، لما حُلت جماعة الإخوان المسلمين قام واحد من هذه الجماعة ولبس ثياب الجيش أو الشرطة ودخل وزارة الداخلية أو المقر

الذي يُوجد فيه النقراشي باشا، فلم يشك فيه أحد، ولما واجه النقراشي باشا ما كان منه إلا أن قام بقتله، وسدد الرصاص في صدره، فالاغتيال ليس من سنة المسلمين.

قال: (**ويرون كف الأذى، وترك الغيبة، إلا لمن أظهر بدعة وهوى يدعو إليها، فالقول فيه ليس بغيبة عندهم**).

هذه الأمور التي ذكرها مُحرمة، وهي أذية للمسلم، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤذونَ المُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ بِغَيرِ مَا اكتَسَبوا فَقَدِ احتَمَلوا بُهتانًا وَإِثمًا مُبينًا**﴾[الأحزاب: ٥٨].

والغيبة من الكبائر، ويكفي أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مر على قبرين يُعذبان فقال: «**أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالغيبة**»، هكذا في بعض الروايات، «**بالغيبة**»، وفي الرواية الأشهر التي في الصحيح: «**بالنميمة**»، فدل ذلك على أن الغيبة من الكبائر، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إنهما يُعذبان ولا يُعذبان في كبير**»، أي: في أعين الناس، «**وإنه لكبير**»، وقال الله تعالى: ﴿**وَلا يَغتَب بَعضُكُم بَعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأكُلَ لَحمَ أَخيهِ مَيتًا فَكَرِهتُموهُ**﴾[الحجرات: ١٢]، فشبَّه الله -تبارك وتعالى- المغتاب بالجبان الذي لا يستطيع أن يأكل لحم أخيه حيَّة، وإنما لا يأكله إلا بعد مماته.

ويُستثنى من الغيبة أمور:

منها: الكلام في أهل البدع، فالكلام في أهل البدع ليس من الغيبة، وهذا الكلام ليس وليد الأيام، وإنما هذا كلام النص عليه السلف الصالح، قال عبد الله ابن الإمام أحمد: "جاء أبو تراب إلى أبي، فجعل أبي يقول: فلان ضعيف، فلان ثقة، فقال أبو تراب: لا تغتب العلماء، فالتفت أبي إليه فقال: ويحك، هذه نصيحة، ليس هذا غيبة".

وقال إبراهيم النخعي: "ليس لصاحب البدعة غيبة".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين"، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في

أهل البدع؟ فقال: "إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، فهذا أفضل"، ولكن هذا لا بد فيه من قيد مهم، وهذا القيد هو: أن الكلام في أهل البدع لا بد أن يكون خالصًا لله تعالى، لا يكون من أجل التشفي، ولا من أجل حب الظهور، ولا من أجل الانتقام فيتعدى إلى الجور وقول غير الحق، فلا بد أن يكون خالصًا لله -عز وجل- ذبًا عن الشريعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- محذرًا من هؤلاء الذين يتكلمون في كل أحد بغير بينة، أو يتكلمون لا من أجل الله، قال: "ثم القائل في ذلك بعلم لا بد له من حسن نية"، إذًا لا بد أن يتكلم بعلم، إذا قال: فلان مبتدع فهذا لا بد أن يكون عن علم وبينة؛ لأن إخراج الناس من السنة أمر شديد، لا يجوز لأحد أن يُخرج أحدًا من السنة إلا ببينة، فلا بد أن يتكلم بعلم، ولا بد له من حسن النية، قبل أن يتكلم في فلان يسأل نفسه: لماذا تُحذر من فلان؟ فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغير الله أصلح نيته.

قال: "فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء"، يتكلم بحق ولكن لا لأجل الله، وإنما من أجل العلو في الأرض، ليقال: فلان هذا حامل لواء الجرح والتعديل، أو هذا أول من حذّر من فلان، فهذا كمن قاتل حمية ورياء، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصًا له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله، من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل.

قال عاصم الأحول لقتادة: "ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض؟ فقال: يا أحول، أو لا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تُذكَر حتى تُحذَر؟".

وقال الشاطبي في الرد على المخطئين والمبتدعين: "فمثل هؤلاء لا بد من ذكرهم والتشريد بهم؛ لأن ما يعود على المسلمين من ضررهما إذا تُركوا" يعني المخطئين والمبتدعين، "إذا تُركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم، إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة".

قال: "ولا شك أن التفرق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم إذا أُقيم هذا أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين ومن شايعهم واتبعهم".

ما معنى هذا الكلام؟ أي إذا كان المرء في مبدأ إظهاره للبدعة أنكرت عليه، وحذرت منه، هذا سيؤدي إلى الفرقة، ولكن هذه الفرقة أسهل وأيسر من الفُرقة التي ستحصل بعد ذلك، ما الفرقة التي ستحصل بعد ذلك؟ أنه إن تُرك كان له أشياع، وبالتالي إن حذرت منه ومن أشياعه بعد ذلك كانت الفرقة أعظم، ولذلك ينبغي أن يُحذَّر من هؤلاء.

قال: (**ويرون تعلم العلم وطلبه من مظانه، والجد في تعلم القرآن وعلومه وتفسيره، وسماع سنن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجمعها، والتفقه فيها، وطلب آثار أصحابه -رضي الله عنهم-**).

هذه القطعة في بيان أهمية العلم وطلب العلم، وهذا مما اختص الله به أهل السنة والجماعة، فلا تجد أحدًا حريصًا على طلب العلم والتفقه في دين الله كأهل السنة والجماعة، لماذا؟ لأن العلم هو مفتاح ووسيلة إلى كل فضيلة، كما قال ربيعة بن عبد الرحمن -رحمه الله-: "العلم مفتاح ووسيلة إلى كل فضيلة"، ولأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولازم ذلك -يعني مفهوم المخالفة- أن من لم يُفقهه الله في الدين لم يُرد به خيرًا، فيكون التفقه في الدين فرضًا"، وهذا الحديث يُبين لنا أهمية طلب العلم.

عمن نأخذ العلم؟ لا يُؤخَذ العلم إلا عن صاحب سنة مشهور بذلك، وأما اهل البدع فلا يُؤخذ عنهم العلم، أن يكون مشهورا بالسنة ومعروفا بالتلقي عن العلماء، لا بالأخذ من الكتب.

قال سليمان بن موسى: "لا يُؤخذ العلم من صحفي" أي الذي يأخذ علمه من الصحف، أي الكتب، "ولا يتلقى ذلك من العلماء"؛ لأن من كان شيخه كتابه كان خطؤه أسرع إليه من صوابه، فيأخذ من أفواه العلماء لا من الصحف، وأن يكون صاحب سنة لا صاحب بدعة؛ لأن مجالسة أهل البدع تُورث الإعراض عن الحق، يجلس المرء إلى أهل البدع يُعجب بلسانهم وبنبوغهم في فرع من فروع العلم، ينبغون في علم الحديث، أو علم الفقه، أو علم اللغة، أو علم التاريخ، فإذا جلس المرء إلى أهل البدع وأُعجب بمنطقهم في الحديث واللغة وغير ذلك ربما أورثه ذلك الإعراض

عن الحق، فإذا نزلت نازلة، ووقعت فتنة، وكان حب شيخه قد شغل قلبه، أعرض عن الحق، يقال له: قال الله، قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال أصحاب النبي -رضي الله عنهم- يقول: قال شيخي، كما رأينا في الفتنة الماضية، فكم رأينا من أناس قيل لهم: قال الله، قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال السلف في كتب الاعتقاد، يقول: هل أنت أفضل من الشيخ .

فالإنسان لا يُصغي لصاحب بدعة، حتى ولو كان عنده من العلم ما عنده، فأهل السنة وإن كان علمهم قليلًا في باب معين ففيه بركة، يُوقفونك على الأصول، وتستطيع بعد ذلك أن تسأل عن أي إشكال ، أما أن تغتر بأهل البدع، وأن تأخذ عنهم، وتقول إنني مُحصَّن من التأثر ببدعتهم وغير ذلك، فهذا يُخشَى عليه.

قال سفيان الثوري: "من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمعه، ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة"، وهذا زجر شديد، كيف ينقض الإسلام عروة عروة بمجرد مصافحة المبتدع؟ لأن مصافحة المبتدع فيه رفع لشأن هذا المبتدع، والناس لو رأوك تصافح المبتدع، وتقف معه، وتتبسم في وجهه، ولا تُنكر عليه بدعته، ظنوا أنه على الحق، ثم اغتروا به، فهذا يكون سببًا لنقض الإسلام عروة عروة.

إذا كان الأمر كذلك، فما العلم الذي ينبغي أن يجتهد المرء في تحصيله؟ الإنسان ينبغي أن يجتهد في تحصيل الأصول، وأول الأصول وأصل الأصول علم التوحيد، أن يجتهد في تعلم توحيد رب العالمين، وهذا العلم لا يكفي فيه محاضرة ولا محاضرتان، ولا يكفي فيه سماع شرح لكتاب ولا كتابين، وإنما هو علم إلى أن تموت، ما يمل المرء من القراءة في كتب العقيدة، ومن سماع أهل الاعتقاد، ومن تقرير مسائل العقيدة، لأن هذا مما يُرسخ الإيمان في قلب الإنسان، هذا ما ينبغي للمرء أن يهتم به ابتداءً، فعليه أن يهتم بهذا العلم، وأن يكون فهمه لسائر العلوم على فهم السلف الصالح؛ لأن الإنسان قد يطلب علم العقيدة ولكن ليس على سبيل السلف الصالح، سبيل الأشعرية، أو الماتريدية، هؤلاء الذين يُسمونهم أهل السنة والجماعة، وهم بمنأى عن أهل السنة والجماعة، الإنسان إذا طلب العلم لا بد أن يفهمه على فهم أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "كثير من قاصري العلم يحتجون بعموم نص على حكم، ويغفلون عن عمل صاحب الشريعة، وعمل أصحابه الذي يُبين مراده، ومن تدبر هذا علم به مراد النصوص وفهم معانيها"، فالإنسان يقتفي دائمًا أثر أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قال رحمه الله: "مع لزوم الجماعة"، هذه الأخلاق تكون مع لزوم الجماعة.

والجماعة ورد ذِكرها في أحاديث كثيرة عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث عبد الله بن عباس: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**».

وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قال: قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفِرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**».

الجماعة جماعتان:

الجماعة الأولى: وهم أهل العلم والناس تبع لهم. أهل العلم بالوصف الذي ذكرناه، من كانوا على هدي أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهؤلاء هم الجماعة

ولذلك سُئل عبد الله بن المبارك -رحمه الله-: من الجماعة؟ قال: "أبو بكر وعمر، قيل: قد مات، قال: فلان وفلان، قيل: قد مات، قال: أبو حمزة السكري هو الجماعة"، وأبو حمزة السكري مُحَمَّد بن ميمون، وكان يسمى بذلك أبو حمزة السكري ليس لأنه كان يبيع السكر، ولكن لعذوبة منطقه، وحلاوة كلامه، وكان من الأئمة السائرين على نهج السلف الصالح، فلما سُئل ابن المبارك عن الجماعة قال: أبو حمزة السكري، فالجماعة في التعريف الأول هم أهل العلم، وهذا الذي مال إليه البخاري -رحمه الله- في صحيحه.

وأما الجماعة في تعريف بعض أهل العلم أو التعريف الثاني: فهم من أطاعوا أميرهم في غير معصية الله، وهذا هو الذي مال إليه الطبري -رحمه الله- كما نقل عنه ذلك ابن حجر في فتح الباري.

والقولان متلازمان، فإنه لن يخرج أحد على إمام المسلمين بالكلمة أو بالسيف إلا وقد سبق ذلك خروج على علماء المسلمين، وفهم السلف الصالح، أعيد هذه الكلمة مرة ثانية، لن يخرج أحد على إمام المسلمين، مَن إمام المسلمين؟ رئيس الدولة، طالما أنه مسلم، طالما أنه يصلي، طالما أنه لم يمنعك من الصلاة ، هذا كلام من؟ كلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما ذكر هؤلاء الأمراء الذين يكونون من بعده، نعرف منهم ونُنكر، قال الصحابة: أفلا نُنابذهم بالسيف؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لا ما صلوا**»، فأهل العلم قالوا: إما أن نحمل اللفظ على ظاهره، طالما أنهم يُصلون فهم مسلمون، فالصلاة شعار أهل الإسلام.

ولذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما كان يُغير على بلد إلا بعد أن يسمع الأذان، فإذا سمع الأذان رجع -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإذا لم يسمع أذانًا علم أنهم ليسوا بمسلمين، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لا ما صلوا**»، فإذا كان هو يصلي فهذا لا يجوز الخروج عليه.

وقال بعضهم: «**ما صلوا**» أي: ما تركوكم تُصلون، فطالما أنه لم يمنعك من الصلاة، ولا من الزكاة، ولا من الحج، ولا أنكر فريضة من فرائض الإسلام، فهو أيضًا مسلم.

ولذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»، لا بد أن يكفر كفرًا لا يختلف عليه اثنان، طيب هو ظالم وقاتل وسفاح وسفاك للدماء، نقول: هو ولي أمرنا، نسمع له في طاعة الله، ولا نطيعه في معصية الله، وهذا كلام قديم، ونحن ذكرنا في درس الخميس الماضي في الملتقى الشهري ما كان من الأوزاعي تجاه الدولة العباسية، قلنا: الأوزاعي عاصر الربع الأول من الدولة العباسية، وآخر الدولة الأموية، الأوزاعي -رحمه الله- يعلم كيف قامت دولة بني العباس. قامت على دماء وأشلاء بني أمية، قيل: قتل سبعون من البيت الأموي، ووضع عليهم الفرش، وأكل وشرب فوق أجسادهم، قتلهم، ووضع الفرش على أجسادهم، ونصب مائدة الطعام وأكل وشرب، السفاح الذي أقام دولة بني العباس، ومع ذلك كيف كان حال الأئمة تجاه هؤلاء؟ السمع والطاعة في غير معصية الله، يسمعون ويطيعون في

غير معصية الله. هذا الذي فعلوه ظلم ولا ليس بظلم؟ ظلم شديد، قتل النفس ظلم شديد، ولذلك السفاح لما جاء بالإمام الأوزاعي وسأله عن فعله هذا ما تقول فيه؟ قلنا: فأراد أن يحيد، فما تركه السفاح ليحيد، فقال: يا أمير المؤمنين، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث»**، وذكر أنه يُنكر ذلك، ولكن هذا لا يجعله يخرج عليه، وينزع اليد من الطاعة، نقول: هو ولي أمرنا، شئنا أم أبينا، أحببناه أم أبغضناه.

ولذلك هؤلاء الذين يستدلون بقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: خيار أئمتكم، وشرار أئمتكم، قالوا: النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«شرار أئمتكم الذين تبغضونه ويبغضونكم وتلعنونهم»**، إذًا سيكون من هؤلاء الأئمة من نبغضهم ولا نحبهم، ومع ذلك لا يحملك ذلك على الخروج عليه، وإنما نصبر حتى يستريح بر أو يُستراَح من فاجر، فهذا هو القول الثاني في تفسير الجماعة.

ولذلك قال ابن عباس -رضي الله عنه-: **«من رأى من أميره شيئًا فليصبر عليه»**، انظر إلى هذا الحديث، هذا قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **«من رأى من أميره شيئًا»**، "شيئًا" هذه نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء، تعم الشيء القليل والكثير، أخذ منك جنيها تصبر، قتل قريبًا لك تصبر، طردك من العمل تصبر، سجنك مدة حياتك تصبر، لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو أفصح الخلق، قال: **«من رأى من أميره شيئًا يكرهه»**، قال: **«فليصبر عليه»**.

قال: **«فليصبر»**، الصبر ها هنا مُقيد أم مُطلق؟ مطلق، ما قال: فليصبر عشر سنوات، ولا عشرين سنة، ولا ثلاثين سنة، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«فليصبر»**، وأطلقها، ما قيدها. قيدها في حديث آخر: تصبر حتى تموت، قال: **«اصبروا حتى تلقوني على الحوض»**، اصبر واحتسب، ولا يكن صبرك صبر البهيمة، الإنسان يجزع ويتضجر ثم بعد ذلك يقول: أنا صابر، لا. من صبر على جور الأئمة كان من الذين يردون حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن داهن الأئمة والظلمة وزين لهم أعمالهم كان من المطرودين عن حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولذلك قلنا: أهل السنة دائمًا حالهم وسط، فالجماعة إما تكون جماعة أهل العلم، وإما أن تكون جماعة المسلمين خلف إمامهم، وقلنا: القولان متلازمان، نعم.

الشيخ الألباني -رحمه الله- ومعذرة أننا أطلنا في هذا الأصل لكن هذا الأصل عظيم ينبغي أن يُنبَّه عليه، الشيخ الألباني -رحمه الله- يقول: "الذي يُقتل في الخروج على ولاة الأمور ليس بشهيد وإن طلعت الشمس من مغربها"، هؤلاء ليسوا بشهداء، قد نقول: بعض هؤلاء غُرر بهم، فيُؤجرون على نياتهم، هم ليسوا من الخوارج، ولكن غرر بهم الخوارج والإخوان المسلمون وقالوا: هذا جهاد في سبيل الله ثم تركوهم وفروا، وأنا أعرف بعضهم كذلك، كان يخرج مع المظاهرة فإذا اقتربت من الشرطة عاد بأولاده ومشى في شارع جانبي، أعرف بعضهم، ومن الذي قُتل؟ كثير ممن قُتل وممن شُرد به من المتعاطفين مع الإخوان المسلمين، الذين أحسنوا بهم الظن، وظنوا أنهم يقيمون شرع الله، ومرسي أول ما تولى ما فرق بين المسلم والنصراني، وقال الخلاف الديناميكي!! تسأله المذيعة: هل ستطبقون الشريعة؟ قال: الشريعة متطبقة في الدستور، already، إذن لماذا أخرجتم الناس لهذه الفتن ولسفك الدماء ولغير ذلك؟ فنسأل الله السلامة والعافية.

قال: **(والتعفف في المأكل والمشرب والملبس)**.

يرى أهل السنة والجماعة التعفف في المأكل والمشرب والملبس؛ لأن الله -تبارك وتعالى- أثنى على هؤلاء، قال تعالى: ﴿**لِلفُقَراءِ الَّذينَ أُحصِروا في سَبيلِ اللَّهِ لا يَستَطيعونَ ضَربًا فِي الأَرضِ يَحسَبُهُمُ الجاهِلُ أَغنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعرِفُهُم بِسيماهُم لا يَسأَلونَ النّاسَ إِلحافًا وَما تُنفِقوا مِن خَيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَليمٌ**﴾[البقرة: ٢٧٣].

وقد بايع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أصحابه على ذلك، قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأصحابه: «**بايعوني على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس**»، أي: على الصلوات الخمس، «**وتطيعوا**»، تطيعوا ولي الأمر، في غير معصية الله، «**ولا تسألوا الناس**»، قال عوف بن مالك راوي هذا الحديث -رضي الله عنه-: "فلقد رأيت بعض أولئك النفر" يعني من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدًا يناوله إياه"، فاذا سقط سوطه نزل من على فرسه لأخذ السوط وعاد مرة ثانية، لأن النبي -صلى وسلم عليه وسلم- بايعهم على التعفف، فعلى الإنسان أن يتعفف في المأكل، والمشرب، والملبس، وألا يأكل إلا الحلال.

قال: (**والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**).

وهذا هو سبب خيرية هذه الأمة، الله -عز وجل- قال: ﴿**كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنّاسِ تَأمُرونَ بِالمَعروفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنونَ بِاللَّهِ**﴾[آل عمران: ١١٠]، قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله مع أن الإيمان بالله هو الأصل، ليُنبه على أهميته في هذه الأمة، فخيرية الأمة موجودة طالما أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

قال تعالى: ﴿**وَلتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرونَ بِالمَعروفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ**﴾[آل عمران: ١٠٤]، وهذه الآية تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، لأن الله قال: ﴿**وَلتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ**﴾، أي: طائفة، فهو فرض كفاية، ولكن قد يتعين هذا الأمر، في حالات ذكرها النووي في شرحه على مسلم، إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، فإن كان لا يعلم بالمنكر إلا هو تعين عليه أن يُنكر المنكر، وإن كان لا يتمكن من إزالته إلا هو، كأن يكون المنكر صادرًا من زوجته، ولن يتمكن من إزالة هذا المنكر إلا الزوج، فيتعين عليه أن يزيل هذا المنكر، أو إذا ولَّاه السلطان الحسبة، والحسبة كانت وظيفة يُوليها السلطان بعض عُماله كما هو الحال في المملكة، أهل الحسبة هؤلاء يمرون في الطرقات، فإذا سمعوا منكرًا أنكروه، وإذا رأوا منكرًا في الأسواق كذلك ردوه وأنكروه، وإذا وجدوا الناس مثلًا لا يصلون منعوهم عن ذلك، ودفعوهم إلى الصلاة.

قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مبينًا مراتب إنكار المنكر قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده**»، وهذا لا يختص بأصحاب الولايات، يعني هذه المرتبة ليست للسلطان والأمير فقط، وإنما هي لكل من يستطيع ذلك مما لا يُعد افتياتا على ولي الأمر، يعني إذا استطعت أن تغير المنكر في شارعك بيدك فلك ذلك، لو كنت في شارعك مثلًا صاحب هيبة وسلطان، ورأيت منكرًا، وأنت تعلم أنك لو غيرت هذا المنكر بيدك لن يترتب عليه ضرر أعظم وأكثر، فواجب عليك أن تغيره بيدك، طيب، فإن لم يستطع؟ قال: «**فبلسانه**»، وهذه هي المرتبة الثانية، أن يُنكر المرء بلسانه، يصير المرء إليه إذا عجز عن الإنكار بيده، لأن الإنكار منوط بالاستطاعة.

قال: «**فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، ولكن هذا الذي يُنكر المنكر بقلبه لا بد أن يكون منكرًا حقًا لهذا المنكر، لأن بعض الناس مثلًا قد ينكر المنكر بقلبه وتجده موجودًا

مع أهل المنكر، هذا لا يجوز، إما أن تزيل المنكر، وإما أن تزول أنت، فأنت مثلًا جالس مع مجموعة في فرح من الأفراح مثلًا، يشربون الدخان، أو يتعاطون المخدرات، وأنت تُنكر ذلك، تقول: أنا أنكر ذلك بقلبي، إذن لماذا تجلس معهم؟ إذا كنت لا تستطيع أن تنكر ذلك لا بيدك ولا بلسانك فمما يقتضيه الإنكار بالقلب أن تزول من هذا المكان، وأن تترك هذا المكان، فالإنكار بالقلب معناه كراهة ذلك، والبعد عن ذلك بقدر المستطاع.

جلست مع والدك وأعمامك، ووجدتهم يغتابون الناس، وأنت تعلم شدة والدك، وأنك لو أنكرت عليه بلسانك قد يترتب على ذلك ضرر عظيم، لا أقل من أن تغادر هذا المجلس، ولا يجوز لك أن تجلس معهم بحجة أنك تُنكر ذلك بقلبك، ولكن إن استطعت أن تترك هذا المجلس فواجب عليك أن تتركه.

فإنكار المنكر والأمر بالمعروف من سيما أهل السنة والجماعة، ومما فضّل الله –عز وجل– به هذه الأمة، وجعل خيريتها في ذلك.

قال: **(والإعراض عن الجاهلين حتى يعلموهم ويبينوا لهم الحق)**.

فأهل السنة والجماعة كذلك يُعرضون عن الجاهلين، ويعلمونهم، ويبينون لهم الحق، قال الله –عز وجل–: **﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأعرِض عَنِ الجاهِلينَ﴾**[الأعراف: ١٩٩].

جاء في مدارج السالكين: "وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية".

قال ابن القيم –رحمه الله– في بيان الواجب تجاه جهل الجاهلين قال: "وواجبه عند جهل الجاهلين عليه الإعراض عنهم، وعدم مقابلتهم بالمثل، والانتقام منهم لنفسه"، يعني الإنسان لا ينزل بمستواه إلى أن يكون في مستوى الجاهل، وإنما يترفع عن ذلك، إما أن يُعرض عنه ويتركه، وإما أن يُعلمه بالحسنى، فإن لم يتقبل منه أعرض عنه، لأن الله تعالى قال لنبيه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأعرِض عَنِ الجاهِلينَ﴾**[الأعراف: ١٩٩].

ثم قال في ختام هذه العقيدة المباركة قال: **(هذا أصل الدين والمذهب)**.

يعني الذي مضى هو أصل دين الإسلام، وهذه العقيدة -كما قلنا- مما اتفق عليها أهل السنة والجماعة، ولا يعني المصنف ها هنا تقسيم الدين إلى أصول وفروع بالمعنى الذي تميل إليه المعتزلة، أن الأصول يكفر تاركها وأن الفروع لا يكفر تاركها، وإلا فقد ذكر في هذه الأصول التعفف عن الحرام، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلاة، والمعتزلة يجعلون هذه الأمور في الفروع لا الأصول.

قال: **(هذا أصل الدين والمذهب).**

يعني مذهب أهل السنة والجماعة.

(واعتقاد أئمة أهل الحديث الذين لم تشنهم بدعة).

من الفعل "شان".

(ولم تلبسهم فتنة، ولم يخفّوا إلى مكروه في الدين).

فأهل السنة والجماعة عمدتهم وعدتهم كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفهم أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال الخطيب البغدادي في بيان صفة أهل السنة والجماعة: "فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار، في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يُعرجون عنه إلى رأي ولا هوى، قبلوا شريعته قولًا وفعلًا، وحرسوا سنته حفظًا ونقلًا، حتى ثبّتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها".

قال: **(فتمسكوا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا عنه، واعلم أن الله أوجب محبته ومغفرته لمتبعي رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كتابه، وجعلهم الفرقة الناجية، والجماعة المتبعة، فقال -عز وجل- لمن ادعى أنه يحب الله -عز وجل-: ﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم﴾[آل عمران: ٣١]).**

نفعنا الله وإياكم بالعلم، وعصمنا بالتقوى من الزيغ والضلالة عنه، ونفعنا كذلك برحمته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا العلم والعمل، وأن يثبتنا على هذا المعتقد الصحيح حتى نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.